

الجزؤ الاول

كتاب الحيوان للجاحظ ١٠

٩٩٥ مكرر

بسم الله الرحمن الرحيم

جنبك الله الشبهة • وعصمك من الحيرة • وجعل بينك وبين المعرفة نسبا • وبين الصدق سببا • وحبب اليك التثبت • وزين في عينك الانصاف • واذاقك حلاوة التقوى • واشعر قلبك عز الحق • واودع صدرك برد اليقين • وطرد عنك ذل الطمع • والجمك عز الياس • وعرفك ما في الباطل من الذلة • وما في الجهل من القلة • ولعمري لقد كان غير هذا الدعاء اصوب في امرك • وادل على مقدار وزنك • وعلى الحال التي وضعت نفسك فيها • ووسمت عرضك بها • ورضيتها لدينك حظا • ولمروتك شكلا • فقد انتهى الي ميلك على ابي اسحق وحملك عليه • وطعنك على معبد وتنقصك له في الذي كان جرى بينهما في مساوى الديك ومحاسنه • وفي ذكر منافع الكلب ومضاره • والذي خرجا اليه من استقصاء ذلك وجمعه • ومن تتبعه ونظمه • ومن الموازنة بينهما والحكم فيهما • ثم عبتني بكتاب حيل اللصوص وكتاب غش الصناعات • وعبتني بكتاب الملح والطرف وما حر من النوادر وبرد وما عاد بارده حارا لفرط برده حتى امتع باكثر من امتاع الحار • وعبتني بكتاب احتجاجات البخلاء • ومناقضتهم للسمحاء • والقول في الفرق بين الصدق اذا كان ضارا في العاجل • والكذب اذا كان نافعا في الآجل • ولم جعل الصدق ابدا محمودا • والكذب ابدا مذموما • والفرق بين الغيرة وبين اضاعة الناموس • وبين الافراط في الحمية والانفة وبين التقصير في حفظ حق الحرمة وقلة الاكتراث لسماع القالة • وهل الغيرة

اكتساب وعادة • ام بعض ما يعرض من جهة الديانة ولبعض التزيد فيه والتحسن به • او يكون ذلك من طباع الحرية وحقيقة الجوهرية ما كانت العقول سليمة والآفات منفية والاخلاط معتدلة • وعبتني بكتاب الصرحاء والهجناء ومفاخرة السودان والحمران • وموازنة ما بين حق الخؤولة والعمومة • وعبتني بكتاب النخل والزرع والزيتون والاعناب واقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات • وبكتاب فضل ما بين الرجال والنساء وفرق ما بين الذكور والاناث وفي اي موضع يغلبن ويفضلن وفي اي موضع يكن المغلوبات والمفضولات ونصيب ايهما في الولد اوفر وفي اي موضع يكون حقهن اوجب واي عمل هو بهن اليق واي صناعة هي فيهن ابلغ وعبتني بكتاب القحطانية وكتاب العدنانية في الرد على القحطانية وزعمت اني تجاوزت فيه حد الحمية الى حد العصبية واني لم اصل الى تفضيل العدنانية الا بتنقص القحطانية • وعبتني بكتاب العرب والموالي وزعمت اني بخست الموالي حقوقهم كما اني اعطيت العرب ما ليس لهم • وعبتني بكتاب العرب والعجم فزعمت ان القول في فرق ما بين العرب والعجم هو القول في فرق ما بين الموالي والعرب فنسبتني الى التكرار والترداد والى التكثير والجهل بما في المعاد من الخطل وتحميل الناس المؤن • وعبتني بكتاب الاصنام وبذكر اعتلالات الهند لها وسبب عبادة العرب اياها وكيف اختلفا في جهة العلة مع اتفاقهما على جملة الديانة وكيف صار عباد البددة والمتمسكون بعبادة الاوثان المنحوتة والاصنام المنجورة اشد الديانين الفا لما دانوا به وشغفا بما تعبدوا له واظهرهم جدا واشدهم على من خالفهم ضغنا وبما دانوا به صبابة وعجبا وما الفرق بين البد والوثن وما الفرق بين الوثن والصنم وما الفرق بين الدمية والجثة ولم صوروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم صور عظمايهم ورجال دعوتهم ولم تانقوا في التصوير وتجودوا في اقامة التركيب وبالغوا في التحسين والتفخيم وكيف كانت اولية تلك العبادات وكيف افترقت تلك النحل ومن اي شكل كانت خدع تلك السدنة وكيف لم يزالوا اكثر الاصناف

علـى داو كيف شمل ذلك المذهب الأجناس المختلفة • وعبتني بكتاب المعادن والقول في جواهر الأرض وفي اختلاف اجناس الفلز والاخبار عن ذايبها وجامدها ومخلوقها ومصنوعها وكيف يسرع الانقلاب الى بعضها ويبطئ عن بعض وكيف بعض الالوان يصبغ ولا ينصبغ وبعضها ينصبغ ولا يصبغ وبعضها يصبغ وينصبغ وما القول في الأكسير والتلطيف • وعبتني بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس وبكتاب فرق ما بين الجن والانس وفرق ما بين الملئكة والجن وكيف القول في استطاعة العفريت ومعرفة الهدهد وفي الذي كان عنده علم من الكتاب وما الذي هو ذلك العلم وما تاويل قولهم كان عنده اسم الله الأعظم • وعبتني بكتاب الارفاق والرفاقات وما القول في الارزاق والانفاقات وكيف اسباب التثمير والترقيح وكيف تجتلب التجار الحرفاء وكيف الاحتيال للودايع وكيف التسبب للوصايا وما الذي يوجب لهم التعديل ويصرف اليهم باب حسن الظن وكيف ذكرنا غش الصناعات والتجارات وكيف التسبب الى تعرف ما قد ستروا وكشف ما موهوا وكيف باب الاحتراس منه والسلامة من اهله •

وعبتني برسايلي وبكل ما حاجه منه باقيا وملح لا يزال اثره ناميا وملح تضحك وتبكي ومواعظ ومزح وجد وافصاح وتعريض وتقابل وتوقيف مما كتبته الى اخواني وخلطاي • وعبتني برسايلي الهاشميات وزعمت اني قد خرجت بذلك من حد المعتزلة الى حد الزيدية ومن حد الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه الى حد السرف والافراط وزعمت ان مقالة الزيدية خطبة مقالة الرافضة وان مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية فزعمت ان في اصل القضية والذي جرت عليه العادة ان كل كبير فاوله صغير وان كل كثير فانما هو قليل جمع الى قليل •

وانشدت قول الراجز

قد يلحق الصغير بالجليل ٭ وانما القرم من الافيل ٭ وسحق النخل من الفسيل ٭ وانشدت

رب كبير هاجه صغير ٭ وفي البحور تغرق البحور ٭ وقلت وقال يزيد بن الحكم

واعلم بني

واعلم بني فانه ٭ بالعلم ينتفع العليم ٭ ان الامور دقيقها ٭ مما يهيج له العظيم ٭

وقلت وقال الاخر ٭ صار جدا ما مزحت به ٭ رب جد ساقه اللعب ٭ وانشدت

قول الاخر وهو طرفه و وردة امه ٭ ما تنظرون بحق وردة فيكم ٭ تقضى الامور ورهط

قد يبعث الامر الكبير صغيره ٭ حتى تظل له الدماء تصبب ٭ وقالت كبيشة بنت معدي كرب

جدعتم بعبد الله آنف قومه ٭ بني مازن ان سب راعي المخزم ٭ وقال الاخر

ايه نار قدح القادح ٭ واي جد بلغ المازح ٭ وتقول العرب العصى من العصية

ولا تلد الحية الا حية • وعبت كتابي في خلق القرآن كما عبت كتابي في الرد على المشبهة وعبت كتابي في القول في اصول الفتيا والاحكام كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القران وغريب تاليفه وبديع تركيبه • وعبت كتاب معارضتي للزيدية وتفضيل الاعتزال على كل نحلة كما عبت كتابي في الوعد والوعيد وكتابي على النصارى واليهود •

ثم عبت جملة كتبي في المعرفة والتمست تهجينها بكل حيلة وصغرت من شانها وحططت من قدرها واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها فعبت كتاب الجوابات وكتاب المسايل وكتاب الرد على اصحاب الالهام وكتاب الحجة في تثبيت النبوة وكتاب الاخبار • ثم عبت انكاري بصيرة المرتدين وبصيرة كل جاحد وملحد وتفريقي بين اعتراض الغمر وبين استبصار المحق • وعبت كتابي في الرد على الجهمية في الادراك وفي قولهم في الجهالات وكتاب فرق ما بين النبي والمتنبي والفرق بين الحيل والمخارق وبين الحقايق الظاهرة والاعلام الباهرة ثم قصدت الى كتابي هذا لتصغير قدره والتهجين لنظمه والاعتراض على لفظه والتحقير لمعانيه فزريت على نحته وسبكه كما زريت على معناه ولفظه ثم طعنت في الغرض الذي اليه نزعنا والغاية التي اليها اجرينا • وهذا كتاب معناه ابنه من اسمه وحقيقته آنق من لفظه وهو كتاب يحتاج اليه المتوسط العامي كما يحتاج اليه العالم الخاصي ويحتاج اليه الريض كما يحتاج اليه الحاذق اما الريض فللتعليم والدربة وللترتيب والرياضة وللتمرين وتمكين العادة اذ كان جليله يتقدم دقيقه واذ كانت مقدماته مرتبة وطبقات معانيه منزلة • واما الحاذق

فالكفاية المؤنة لان كل من التقط كتابا جامعا وبابا من امهات العلم مجموعا كان له
غنمه وعلى مؤلفه غرمه وكان له نفعه وعلى صاحبه كدّه مع تعرّضه لمطاعن البغاة
ولاعتراض المنافسين ومع عرضه عقله المكدود على العقول الفارغه ومعانيه على
الجهابذة وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة ومتى ظفر بمثله صاحب علم او هجم عليه طالب
فقه وهو وادع رافه ونشيط جام ومؤلفه متعب مكدود فقد كفى مؤنة جمعه وخزنه
وطلبه وتتبعه واغناه ذلك عن طول التفكر واستنفاد العمر وفلّ الحدّ وادرك اقصى
حاجته وهو مجتمع القوة وعلى ان له عند ذلك ان يجعل هجومه عليه من التوفيق وظفره
به من التسديد • وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الامم وتتشابه فيه العرب والعجم
لانه وان كان عربيا اعرابيا واسلاميا جماعيا فقد اخذ من طرف الفلسفة وجمع بين
معرفة السماع وعلم التجربة واشترك في علم الكتاب والسنه ووجدان الحاسة واحساس
الغريزه وتشتهيه الفتيان كما تشتهيه المشيوخ ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك
ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه المجدّ ذو الحزم ويشتهيه الغفل كما يشتهيه
الاديب ويشتهيه الغبي كما يشتهيه الفطن • وعبتني بحكاية قول العثمانية
والضرارية وانت تسمعني اقول في اول كتابي وقالت العثمانية والضرارية كما سمعتني
اقول قالت الرافضة والزيديه فحكمت علي بالنصب لحكايتي فهلا حكمت علي بالتشيع
لحكايتي وهلا كنت عندك من الغالية لحكايتي حجج الغالية كما كنت عندك من الناصبة
لحكايتي قول الناصبة وقد حكينا في كتابنا قول الاباضية والصفرية كما حكينا قول الازارقة
والنجدية وعلى هذه الاركان الاربعة بنيت الخارجية وكل اسم سواها فانما هو
فرع ونتيجة واشتقاق منها ومحمول عليها فهلا كنا عندك من الحكمة والخارجة
كما صرنا عندك من الضرارية والناصبة والاباضية فكيف رضيت بان تكون
الشيعة اسرع الى اغراض الناس من المارقة اللهم الا ان تكون وجدت حكايتي عن
العثمانية والضرارية اشبع واجمع واتم واحكم واجود صنعة وابعد غاية ورايتني
قد وهنت حق اوليائك بقدر ما قويت باطل اعدائك ولو كان ذلك كذلك لكان شاهد

من الكتاب حاضرا وبرهانك على ما ادعيت واضحا • وعبتني بكتاب العباسية فهلا عبتني
بحكاية مقالة من ابا وجوب الامامة ومن يرى الامتناع من طاعة الائمة الذين زعموا
ان ترك الناس سدى بلا قيم اردّ عليهم وهملا بلا راع اربح لهم واجدر ان يجمع لهم
ذلك بين سلامة العاجل وغنيمة الاجل وان تركهم نشرا لا نظام لهم ابعد لهم من
المفاسد واجمع لهم على المراشد بل ليس ذلك بك ولكنه لما بهرك ما سمعت وملأ صدرك
الذي قرأت وابعلك وابطرك فلم تتجه للحجة وهي لك معرضة ولم تعرف المقاتل وهي
لك بادية ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ولم تعرف المصادر اذ
جهلت الموارد رايت ان سب الاولياء اشفى لدائك وابلغ في شفاء سقمك ورايت
ان ارسال اللسان احضر لذة وابعد من النصب ومن اطالة الفكرة ومن الاختلاف
الى ارباب هذه الصناعة ولو كنت فطنت لعجزك وصلت نقصك بتمام غيرك واستكفيت
من هو موقوف على كفاية مثلك وحبيس على تقويم اشباهك كان ذلك زين في العاجل
واحق بالمثوبة في الاجل وكنت ان اخطاتك الغنيمة لم تخطئك السلامة وقد سلم
عليك المخالف بقدر ما ابتلي منك الموافق وعلى انه لم يبتل منك الا بقدر ما الزمته من
مؤنة تثقيفك والتشاغل بتقويمك وهل كنت في ذلك الا كما قال العربي العبدي •
وهل يضر السحاب نباح الكلاب • والا كما قال الشاعر • هل يضر البحر امسى زاخرا •
ان رمى فيه غلام بحجر • وهل حالنا في ذلك الا كما قال الشاعر • ما ضر تغلب وائل اهجوتها
ام بلت حيث تناطح البحران • وكما قال حسان • ما ابالي انبّ بالحزن تيس •
ام لحاني بظهر غيب لئيم • وما اشك انك قد جعلت اعراضنا عنك مطية لك ووجهت
حلمنا عنك الى الخوف منك وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم يرع حق الصفح فجعل
العفو سببا الى سوء القول • وان عدت والله الذي فوق عرشه •
منحتك مسنون الغرارين ازرقا • فان دواء الجهل ان تضرب الطلى • وان يغمس العريض
وقال الاول • وضغاين داويتها بضغاين • حتى يمتن وبالحقود حقودا • وقال
وما نفى عنك قوما انت خايفهم • كمثل وقمك جهالا بجهال • فاقعس اذا حدبوا واحدب اذا

حتى يغرقا

قعسوا

ووازن الشر مثقال الاعتقال ۞ فانا وان لم تكن عندنا سنان بن الحارث ولا معارضة هولاء
الشر بالشر والجهل بالجهل والحقد بالحقد فان عندي ما قال المسعودي ۰
فمن تراب الارض منه خلقتما ۞ وفيه المعاد والمصير الى الحشر ۞ ولا تانفا ان ترجعا فتسلما ۰
فما كسي الاقوام شرا من الكبر ۞ فلو شيت ادلى فيكما غير واحد ۞ علانية او قال عندي في السر
فان انا لم آمر ولم انه عنكما ۞ ضحكت له حتى يلج ويستشري ۞ وقال النمر بن تولب ۰
جزا الله عني جمرة ابنة نوفل ۞ جزاء مغل بالامانة كاذب ۞ بما خبرت عني الوشاة ليكذبوا
علي وقد اوليتها في النوايب ۞ يقول اخرجت خبرها مخرج من يشتهي ان يعاب عندها
ولو نشتهي ان نعارضك لعارضناك من القول بما هو اقبح اثرا وابقى وسما واصدق قيلا
واعدل شاهدا وليس كل من ترك المعارضة فقد صفح كما انه ليس كل من عارض فقد انتصر
وقد قال الشاعر فولا ان فهمته كفيتنا مؤنة المعارضة وكفيت نفسك لزوم العار وهو
قوله ۞ ان كنت لا ترهب ذمي لما ۞ تعرف من صفحي عن الجاهل ۞
فاخش سكوتي اذا انا منصت ۞ فيك لمسموع خنا القايل ۞ فالسامع الذم شريك له ۞
والمطعم الماكول كالاكل ۞ مقالة السوء الى اهلها ۞ اسرع من منحدر سايل ۞
ومن دعا الناس الى ذمه ۞ ذموه بالحق وبالباطل ۞ فلا تهج ان كنت ذا اربة ۞
حرب اخي التجربة العاقل ۞ فان ذا العقل اذا هجته ۞ هجت به ذا خبل خابل ۞
تبصر في عاجل شداته ۞ عليك غب الضرر الاجل ۞ وقد يقال ان العفو يفسد من اللئيم
بقدر اصلاحه من الكريم ۞ وقد قال الشاعر والعفو عند لبيب القوم موعظة ۞
وبعضه لسفيه القوم تدريب ۞ فان كنا فرسانا في هذا التفريع والتوقيف فالذي
لم ياخذنا بحكم القرآن ولا باداب الرسول عليه الصلوة والسلام ولم يفزع الى ما
في الفطن الصحيحة والى ما توجبه المقاييس المطردة والامثال المضروبة والاشعار
السايرة اولى بالاساءة واحق باللايمة قال الله عز وجل ۰ وابراهيم الذي وفى الا
تزر وازرة وزر اخرى ۰ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجني يمينك على شمالك ۰
وهذا حكم الله وادب رسول الله والذي انزل به الكتاب ودل عليه في حجج العقول

فاما ما قالوا من المثل المضروب وقول الشعراء وذم الخطباء لمن اخذ انسانا بذنب
غيره وما ضربوا في ذلك من الامثال ۰ كقول النابغة في شعره حيث يقول ۞
وكلفتني ذنب امرئ وتركته ۞ كذي العر يكوى غيره وهو راتع ۞
وكانوا اذا اصاب ابلهم العر كووا السليم ليذهب العر عن السقيم فاسقموا الصحيح
من غير ان يبرئوا السقيم وكانوا اذا كثرت ابل احدهم فبلغت الالف فقؤوا عين الفحل
فان زادت الابل على الالف فقؤوا العين الاخرى فذلك المفقى والمعمى اللذان سمعت
بهما وكانوا يزعمون ان المفقا يطرد عنها العين والسواف والغارة ۰ فقال في ذلك الاول
فقات لها عين الفحيل تعيفا ۞ وفيهن رعلاء المسامع والحام ۞ وقال الاخر ۰
فكان شكر القوم عند المنن ۞ كي الصحيحات وفقا الاعين ۞ وقال الفرزدق ۰
غلبتك بالمفقا والمعمى ۞ وبيت المحتبي والخافقات ۞ وكانوا يقولون في موضع الكفارة
والامنية كقول الرجل اذا بلغت ابلي كذا وكذا وكذا كذا فعلي ان اذبح عند الاوثان كذا وكذا
عتيرة والعتيرة من نسك الرجبية والجمع عتاير والعتاير من الشاء فاذا بلغت ابل احدهم
او غنمه ذلك العدد استعمل التاويل وقال انما قلت اني اذبح كذا وكذا شاة والظباء شاء
كما ان الغنم شاء فيجعل ذلك القربان كله مما يصيد من الظباء فلذلك يقول الحرث بن حلزة اليشكري
عنتا باطلا وظلما كما تعـــتر عن حجرة الربيض الظباء ۞ بعد ان قال ۞ ام علينا جناح كندة ان
يغنم غازيهم ومنا الجزاء ۞ وكانوا اذا اوردوا البقر فلم تشرب اما لكدر الماء واما لقلة عطش
ضربوا الثور ليقتحم الماء لان البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل وكما تتبع اتن الوحش الحمار
فقال في ذلك عوف بن الخرع ۞ تمنت طيئ جهلا وجبنا ۞ وقد خاليتهم فابوا خلائي ۞
هجوني ان هجوت جبال سلمى ۞ كضرب الثور للبقر الظماء ۞ وقال في ذلك انس بن مدرك في
قتله سليك بن السلكة ۞ اني وقتلي سليكا ثم اعقله ۞ كالثور يضرب لما عافت البقر ۞
انفت للمرء اذ نيكت حليلته ۞ واذ يشد على وجعائها الثفر ۞ وقال الهيبان الفقيمي ۰
كما ضرب اليعسوب ان عاف باقر ۞ وما ذنبه ان عافت الماء باقر ۞ ولما كان الثور امير
البقر وهي تطيعه كطاعة اناث النحل اليعسوب سماه باسم امير النحل وكانوا يزعمون

ان الجن هي التي تصدّ الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب حتى تهلك ٠
وقال في ذلك الاعشى ٠ فاني وما كلفتموني وربكم ٭ لاعلم من امسى اعق واحوبا ٭
لكالثور والجني يضرب ظهره ٭ وما ذنبه ان عافت الماء مشربا ٭ وما ذنبه ان عافت الماء باقر
وما ان تعاف الماء الا ليضربا ٭ كانه قال اذا كان يضرب ابدا لانها عافت الماء فكانها
انما عافت الماء ليضرب ٠ وقال يحيى بن منصور الذهلي في ذلك ٠
لكالثور والجني يضرب وجهه ٭ وما ذنبه ان كانت الجن ظالمه ٭ وقال نهشل بن حري
اتترك عارض وبنو عدي ٭ وتغرم دارم وهم براء ٭ كداب الثور يضرب بالهراوى
اذا ما عافت البقر الظماء ٭ وكيف تكلفنا الشعرى سيلا ٭ وبينهما الكواكب والسماء ٭
وقال ابو نويرة بن الحصين حين اخذه الحكم بن ايوب بذنب العطرق ٠
ابا يوسف لو كنت تعرف طاعتي ٭ ونصحي اذا ما بعتني بالمحلق ٭
ولا ساق سراق العراقه صالح ٭ بني ولا كلفت ذنب العطرق ٭ وقال خراش
بن زهير حين اخذ بذنب ابني محارب ٠ اكلف قتلى معشر لست منهم ٭ ولا دارهم داري

مصري ولا مصرهم

اكلف قتلى العيص عيص شواحط ٭ وذلك امر لم تثقف له قدري ٭ وقال الآخر ٠
اذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا ٭ عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل ٭ ولما وجد اليهودي
ابا حنبض الضبابي في منزله فخصاه فمات واخذ حنبض بني عبس بجناية اليهودي
قال قيس بن زهير اتاخذنا بذنب غيرنا وتسئلنا العقل والقاتل يهودي من اهل تيماء
فقال والله لو قتله هيف الرياح لوديتموه فقال قيس لبني عبس الموت في بني ذبيان
خير لكم من الحياة في بني عامر ثم انشا يقول ٠ اكلفها الحصين ان كان ظالما ٭
وان كنت مظلوما وان كنت شاطنا ٭ خصاه امرؤ من اهل تيماء طابن ٭
ولا يعلم الانسي والجن طابنا ٭ فهلا بنو ذبيان امك هابل ٭ رهنت بسيف الربع ان

كنت راهنا

اذا قلت قد فات من شر حنبض ٭ اتاني باخرى شره متباطنا ٭ فقد جعلت اكبادنا تجتويكم
كما تجتوي سوق العضاه الكوازنا ٭ ولما قتل لقمان بن عاد ابنته وهي صحر بنت لقمان
قال حين قتلها الست امراة وذلك انه كان قد تزوج عدة نساء كلهن خنته
في نفسهن فلما قتل آخرهن ونزل من الجبل كان اول من تلقاه صحر ابنته فوثب
عليها فقتلها فقال وانت ايضا امراة وكان قد ابتلي باخته كانت محمقة وكذلك
كان زوجها فقالت لاحدى نساء لقمان هذه ليلة طهري وهي ليلتك فدعيني
انام في مضجعك فان لقمان رجل منجب فعسى ان يقع علي فانجب فوقع على اخته
فحملت بلقيم ٠ فهو قول النمر بن تولب ٠
لقيم بن لقمان من اخته ٭ فكان ابن اخت له وابن ما ٭ ليالي حمق فاستحصنت
عليه فغر بها مظلما ٭ فاحبلها رجل محكم ٭ فجاءت به رجلا محكما ٭
فضربت العرب في ذلك المثل بقتل لقمان ابنته صحرا فقال خفاف بن ندبة في
ذلك وندبة امه ٠ وعباس يدب لي المنايا ٭ وما اذنبت الا ذنب صحر ٭
وقال ابن اذينه ٠ اتجمع هيا ما بليلى اذا نات ٭ وهجرانها ظلما كما ظلمت صحر ٭
وقال الحارث بن عباد ٠ قربا مربط النعامة مني ٭ لقحت حرب وائل عن حيال ٭
لم اكن من جناتها علم الله ٭ واني بحرها اليوم صال ٭ وقال الشاعر واظنه ابن المقفع ٠
فلا تلم المرء في شانه ٭ فرب ملوم ولم يذنب ٭ وقال الآخر ٠ لعل له عذرا وانت تلوم ٭
وكم لائم قد لام وهو مليم ٭ وقالت العرب في قتل بعض الملوك لسنمار الرومي
فانه لما علا على الخورنق وراي بنيانا لم ير مثله وراى ذلك المستشرف وخاف
ان هو استبقاه ان يموت فيبني مثل ذلك البنيان لرجل آخر من الملوك رمي به من
فوق القصر فقال في ذلك الكلبي في شي كان بينه وبين بعض الملوك ٠

بحجة

جزاني جزاه الله شر جزائه ٭ جزاء سنمار وما كان ذا ذنب ٭ سوى رصه البنيان سبعين
يعلي عليه بالقراميد والسكب ٭ فلما راى البنيان تم سحوقه ٭ وآض كمثل الطود ذي الباذخ

الصعب

وظن سنمار به كل حظوة ٭ وفاز لديه بالمودة والقرب ٭ فقال اقذفوا بالعلج من راس

هضبة

شاهق
فذاك لعمر الله من اعظم الخطب ٭ وجا المسلمون يروي خلف عن سلف وتابع عن سابق
وآخر عن اول انهم لم يختلفوا في عيب قول زياد لاخذن الولي بالولي والسمي بالسمي
والجار بالجار ٠ ولم يختلفوا في لعن شاعرهم حيث يقول ٠ اذا اخذ البري بغير ذنب

تجنّب ما يحاذره السقيم ٭ قال وقيل لعمرو بن عبيد ان فلانا لما قدم رجلا ليضرب عنقه
فقيل له انه مجنون قال لولا ان المجنون يلد عاقلا لخلّيت سبيله قال فقال عمرو ما خلق
الله النار الا بالحق ٭ ولما قالت التغلبية للجحاف في وقعة البشر فضّ الله فاك واعما
واطال سهادك واقلّ رقادك واكبى زنادك فوالله ان قتلت الا نساء اعاليهن ثدي
واسافلهن دمي فقال لمن حوله لولا ان تلد مثلها لخلّيت سبيلها فبلغ ذلك الحسن
فقال انما الجحاف جذوة من نار جهنّم ٭ قال وذم رجل عند الاحنف بن قيس الكمأة بالسمن
فقال عند ذلك الاحنف رب ملوم لا ذنب له فبهذه السيرة سرت فينا وما احسن ما
قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان ٭ فان امرا يمسي ويصبح سالما ٭
من الناس الا ما جنى لسعيد ٭ وقلت وما بال اهل العلم والنظر واصحاب الفكر والعبر
وارباب النحل والعلماء واهل البصر بمخارج الملل وورثة الانبياء واعوان الخلفاء يكتبون
كتب الظرفاء والملحاء وكتب الفراغ والخلعاء وكتب الملاهي والفكاهات وكتب اصحاب
المراء والخصومات وكتب اصحاب العصبية والحمية الجاهلية حتى كانهم لا يحاسبون
انفسهم ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم ولا يخافون تصفّح العلماء ولا رؤية الادباء
وشنف الاكفاء ومسايل الجلساء فهلا امسكت يرحمك الله عن عيبها والطعن عليها
وعن المشورة والموعظة وعن تخويف ما في سوء العاقبة الى ان تبلغ حال العلماء
ومراتب الاكفاء واما كتابنا هذا فسنذكر جملة المذهب فيه وسناتي على
التفسير ولعل رايك عند ذلك يتحوّل وقولك ان يتبدّل فتثبت قبل ان تقول
قد اخرجت من التوقف نصيبا واقول ان العالم بما فيه من الاجسام على ثلثة انحاء
متفق ومختلف ومتضادّ وكلها في جملة القول جماد ونام وكان حقيقة القول في
هذه القسمة ان يقال نام وغير نام ولو كان الحكماء وضعوا للنامي اسما لاتّبعنا اكثرهم
وانما ننتهي الى حيث انتهوا وما اكثر ما تكون دلالة قولهم جماد كدلالة قولهم موات
وقد يفترقان في مواضع بعض الافتراق واذا اخرجت من العالم الافلاك والبروج
والنجوم والشمس والقمر وجدتها غير نامية ولم تجدهم يسمّون شيا منها بجماد ولا موات

وليس لانها تتحرك من تلقاء انفسها لم تسمّ جمادا ولا مواتا وناس يجعلونها مدبّرة غير
مدبَّرة ويجعلونها مسخِّرة غير مسخَّرة ويجعلونها احيا من الحيوان اذ كان الحيوان
انما يحيا باحيائها له وبما تعطيه وتعيره وانما هذا منهم راي والامم كلها على خلافهم ونحن
في هذا الموضع انما نعبر عن لغتنا وليس في لغتنا الا ما ذكرنا والناس يسمّون الارض
جمادا وربما جعلوها مواتا اذا كانت لم تنبت قديما وهي موتان الارض وذلك قولهم
من احيا ارضا مواتا فهي له وهم لا يجعلون الماء والنار والهواء جمادا ولا مواتا ولا
يسمّونها حيوانا ما دامت كذلك وان كانت لا تضاف الى النمو والحس والارض
احد الاركان الاربعة التي هي الارض والماء والهواء والنار فهذان الاسمان
لا يقعان عندهم الا الارض ثم النامي على قسمين حيوان ونبات ثم الحيوان
على اربعة اقسام شي يمشي وشي يطير وشي يعوم وشي ينساح الا ان كل طاير
يمشي وليس كل شي يمشي هو طاير والنوع الذي يمشي على اربعة اقسام ناس
وبهايم وسباع وحشرات على ان الحشرات راجعة في الحقيقة والمعنى الى
مشاكلة طباع البهايم والسباع الا اننا في هذا كله انما نتّبع الاسماء القايمة
المعروفة البائنات بانفسها المتميّزات عن سامعيها من اهل هذه اللغة واصحاب
هذا اللسان وانما نفرد ما افردوا ونجمع ما جمعوا والطير كله سبع وبهيمة وهمج
والسباع من الطير على ضربين فمنها العتاق والاحرار والجوارح ومنها البغاث
وهو كل ما عظم من الطير سبعا كان او غير سبع بهيمة اذا لم يكن من ذوات السلاح
والمخالب المعقّفة كالنسور والرخم والغربان واشباهها من لئام السباع ٭
ثم الخشاش وهو ما لطف جرمه وصغر شخصه وكان عديم السلاح ولا يكون
كالزرق واليؤيؤ والباذنجار فاما الهمج فليس من الطير ولكنه يطير والهمج فيما يطير
كالحشرات فيما يمشي والحيات من الحشرات واي سبع ادخل في معنى السبعية من
الافاعي والثعابين ولكن ليس ذلك من اسمايها وانما كانت من ذوات الانياب
واكّالة اللحوم واعدا الانس وجميع البهايم ولذلك تاكلها الوعول والخنازير

والقنافذ والغربان والشاهمرك والسنانير وغير ذلك من البهايم والسباع فمن جعل
الحيات سباعا وسماها بذلك عند بعض القول والسبب فقد اصاب ومن جعل ذلك
لها كالاسم الذي هو العلامة كالكلب والفهد والذيب والأسد فقد اخطأه
ومن سباع الطير شكل يكون سلاحه المخالب كالعقاب وما اشبهها وشكل يكون سلاحه
المناقير كالنسور والرخم والغربان وانما جعلناها سباعا لانها اكالة لحوم ومن بهايم
الطير ما يكون سلاحه المناقر كالكراكي وما اشبهها ومنه ما يكون سلاحه الأسنان
كالبوم والوطواط وما اشبهها ومنه ما يكون سلاحه الصياصي كالديكة ومنه
ما يكون سلاحه سُلاحه كالحباري والثعلب والسبع من الطير ما اكل اللحم خاصّة
وفي الفن الذي يجمعهما من الخلق المركّب والطبع المشترك كلام سنأتي عليه في موضعه
ان شاء الله تعالى والمشترك عندهم كالعصفور فانه ليس بذي مخلب معقّف
ولا منسر وهو يلقط الحب وهو مع هذا يصيد النمل اذا طار ويصيد الجراد ويأكل
اللحم ولا يزقّ فراخه كما تزقّ الحمام بل يلقمها كما تلقم السباع من الطير فراخها واشباه
العصافير من المشترك كثير وسنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى وليس كل ما
طار بجناحين فهو من الطير قد تطير الجعلان والجحلان واليعاسيب والذبّان والزنابير
والجراد والنمل والفراش والبعوض والارضة والنحل وغير ذلك ولا يسمّى بالطير
وقد يقال ذلك لها عند بعض الذكر والسبب وقد يسمّون الدجاج طير ولا يسمون
بذلك الجراد والجراد طير والمثل المضروب به اشهر والمليكة تطير ولها اجنحة وليست
من الطير وجعفر بن ابي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء وليس جعفر
من الطير واسم طاير يقع على ثلثة اشياء صورة وطبيعة وجناح وليس بالريش والقوادم
والأباهر والخوافي يسمى طايرا ولا بعدمه يسقط ذلك عنه الا ترى ان الخفاش والوطواط
من الطير وان كانا امرطين ليس لهما ريش ولا زغب ولا شكير ولا قصب وهما مشهوران
بالحبل والولادة والرضاع وبظهور حجم الاذان وبكثرة الأسنان • والنعامة ذات
ريش ومنقار وبيض وجناحين وليست من الطير وليس ايضا كل عايم سمكة وان كان

والاباهر من ريش الطاير ما يلي الكلى اولها القوادم ثم المناكب ثم الخوافي ثم الاباهر ثم الكلى

مناسبا

مناسبا للسمك في كثير من معانيه الا ترى ان في الماء كلب الماء وعنز الماء وخنزير
الماء وفيه الزق والسلحفاة وفيه الضفدع وفيه السرطان والتيتل والتمساح والكوسج
والدلفين والحخم والبلبل وغير ذلك من الاصناف والكوسج والدلاخم وليس للكوسج
اب يعرف وعامة ذا يعيش في الماء ويبيت خارجا من الماء ويبيض في الشط ويبيض
بيضا له صفرة وقيض وغرقئ وهو مع ذلك مما يكون في الماء مع السمك ثم لا يخرج
الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح واعجم كذلك يقال في الجملة كما يقال الصامت
لما لا يصنع صمتا قط ولا يجوز عليه خلافه والناطق لما لم يتكلم قط فيجعلون ما يرغو
ويثغو وينهق ويصهل ويشحج ويخور ويبغم ويعوي وينبح ويزقو ويضغو ويهدر
ويصفر ويصرصر ويقوقي وينعب ويزير ويزبزب ويكش ويبغم على نطق الانسان
اذا جمع بعضه الى بعض ولذلك اشباه كالذكور والأناث اذا اجتمعا وكالعير التي
تسمّى لطيمة وكالظعن فان هذه الأشياء اذا وجد بعضها مع بعض او اخذ
بعضها من بعض سمّيت بابنة النوعين ذكرا وباقواها امرا والفصيح هو الانسان
والأعجم كل ذي صوت لا يفهم ارادته الا ما كان من جنسه ولعمري انا نفهم عن
الفرس والحمار والكلب والسنّور والبعير كثيرا من ارادته وحوايجه وقصوده كما نفهم
ارادة الصبي في مهده ونعلم وهو من جليل العلم ان بكاءه يدل على خلاف ما يدل
عليه ضحكه وحمحمة الفرس عند رؤية الخلاة خلاف حمحمته عند رؤية الحجر ودعاء
الهرة الهر خلاف دعايها لولدها وهذا كثير والانسان فصيح وان عبر عن نفسه بالفارسية
او بالهندية او بالرومية وليس العربي اسوا فهما لطمطمة الرومي من الرومي لبيان
لسان العربي فكل انسان من هذا الوجه يقال له فصيح فاذا قالوا فصيح واعجم فهذا
هو التأويل في قولهم اعجم واذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح واعجم فليس
هذا المعنى يريدون انما يعنون انه لا يتكلم بالعربية وان العرب لا تفهم عنه •
قال كثير • فبورك ما اعطى ابن ليلى بنيّة • وصامت ما اعطى ابن ليلى وناطقه •
ويقال جاء بما صاء وصمت فالصامت مثل الذهب والفضة وقوله صاء يعني الحيوان

كله ومعناه نطق وسكت والصامت في كل شيء سوى الحيوان • ووجدنا العالم بما فيه حكمة
ووجدنا الحكمة على ضربين شيء جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة وشيء جعل حكمة وهو
يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة فاستوى بذلك الشيء العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على انه حكمة
واختلفا من جهة ان احدهما دليل لا يستدل والآخر دليل يستدل فكل مستدل دليل وليس
كل دليل مستدلا فشارك كل حيوان سوى الانسان جميع الجماد في الدلالة وفي عدم الاستدلال
واجتمع الانسان بان كان دليلا مستدلا ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله
ووجوه ما نتج له الاستدلال وسموا ذلك بيانا وجعل البيان على اربعة اقسام لفظ وخط
وعقد واشارة وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكينه المستدل من نفسه واقتياده كل
فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان وحشي من الدلالة واودع من عجيب الحكمة فالاجسام
الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحة الشهادة على ان الذي فيها
من التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره وناطق لمن كما يخبر الهزال وكسوف اللون عن سوء الحال
وكما ينطق السمن والنضرة عن حسن الحال • وقد قال الشاعر •

فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله • ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب • وقال اخر •
فما يك من عدو او صديق • تخبرك العيون عن القلوب • وقد قال العكلي في صفة قشم الذيب
وفي شدة حسه واسترواحه • يستخبر الريح اذا لم يسمع • بمثل مقراع الصفا الموقع • وقال
عنترة يصف الغراب • حرق الجناح كان لحيي راسه • جلمان بالاخبار هش مولع •

وقال الفضل بن عيسى في قصصه سل الارض فقل من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى
ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا فوضع الجسم ونصبته دليل على ما فيه ودليه اليه
ومنبهة عليه فالجماد الابكم الاخرس من هذا الوجه قد شارك في البيان الانسان الحي الناطق
فمن جعل اقسام البيان خمسة فقد ذهب ايضا مذهبا حسنا له جواز في اللغة وشاهد في العقل
فهذا احد قسمي الحكمة واحد معنى ما استخزنها الله من الوديعه • والقسمة الاخرى ما اودع الله
صدور صنوف الحيوان من ضروب المعارف وفطرها عليه من غريب الهدايات وسخر حناجرها
له من ضروب النغم الموزونة والاصوات الملحنة والمخارج الشجية والاغاني المطربة فقد يقال

انجميع

ان جميع اصواتها معدلة وموزونة موقعة ثم الذي سهل لها من الرفق العجيب في الصنعة
مما ذلله الله لمناقيرها واكفها وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ما هيا لها من الالة وكيف
اعطى كثيرا منها من الحس اللطيف والصنعة البديعة من غير تاديب وتثقيف ومن
غير تقويم وتلقين ومن غير تدريج وتمرين فبلغت بعفوها ومقدار قوى فطرتها
من البديهة والارتجال ومن الابتداء والاقتضاب ما لا يقدر عليه حذاق رجال الراي
وفلاسفة علماء البشر بيد ولا آلة بل لا يبلغ ذلك من الناس اكملهم خصالا واتمهم خلالا
لا من جهة الاقتضاب والارتجال ولا من جهة التعسف والاقتدار ولا من جهة التقدم
فيه والتاتي له والترتيب لمقدماته وتمكين الاسباب المعينة عليه فصار حمك الانسان
الثاقب الحس الجامع القوى المتصرف في الوجوه المتقدم في الامور يعجز عن عفو
كثير منها وهو ينظر الى ضروب ما يجيء منها كما اعطيت العنكبوت وكما اعطيت السرفة
وكما علم النحل وعرف الينبوط من بديع المعرفة ومن غريب الصنعة في غير ذلك من
اصناف الخلق ثم لم يوجدهم المعجز في انفسهم في اكثر ذلك الا بما قوي عليه الهمج والخشاش
وصغار الحشرات ثم جعل الانسان ذا العقل والتمكين والاستطاعة والتصريف وذا
التكلف والتجربة وذا التاني والمنافسة وصاحب الحسد والمشانفة وصاحب
الادخار والمتفقد لما في العاقبة متى احسن شيئا كان كل شيء دونه في الغموض عليه اسهل
وجعل ساير الحيوان وان كان يحسن احدها ما لا يحسن احذق الناس متى احسن شيئا
عجيبا لم يمكنه ان يحسن ما هو اقرب منه في الظن واسهل منه في الراي بل لا يحسن ما هو
اقرب منه في الحقيقة فلا الانسان جعل نفسه كذلك ولا شيء من الحيوان اختار ذلك
فاحسنت هذه الاجناس بلا تعلم ما يمتنع على الانسان وان تعلم فصار لا يحاوله اذ كان
لا يطمع فيه ولا يحسدها اذ كان لا يامل اللحاق بها ثم جعل تعالى وعز هاتين الحكمتين
بازاء عيون الناظرين وتجاه اسماع المعتبرين ثم حث على التفكر والاعتبار وعلى
الاتعاظ والازدجار وعلى التعرف والتبين وعلى التوقف والتذكر فجعلها مذكرة
ومنبهة وجعل الفكر ينشي الخواطر ويجول باهلها في المذاهب ذلك الله رب العالمين

فتبارك الله احسن الخالقين • وهذا كتاب موعظة وتعريف وتفقه وتنبيه واراك
قد عجبته قبل ان تقف على حدوده وتتفكر في فصوله وتتذكر اخره باوله ومصادره بموارده
وقد غلطك فيه بعض ما رايت من مزح لم تعرف معناه ومن بطالة لم تطلع على
غورها ولم تدر لم اجتلبت ولا لاي علة تكلفت واي شي اريغ بها ولاي جد احتملت
تلك الهزلة ولاي رياضة تجشمت تلك البطالة ولم تدر ان المزاح جد اذا اجتلب
ليكون علة للجد وان البطالة وقار ورزانة اذا تكلفت لتلك العاقبة • ولما قال الخليل بن
احمد لا يطلب احد من علم النحو الا ما يحتاج اليه ولا يصل الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج
اليه قال ابو شمر اذا كان لا يوصل الى ما يحتاج اليه الا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج
اليه يحتاج اليه وذلك مثل كتابنا هذا لانه ان حملنا جميع من يتكلف قراة هذا الكتاب على
مر الحق وصعوبة الجد وثقل المؤنة وحلية الوقار لم يصبر عليه مع طوله الا من تجرد للعلم
وفهم معناه وذاق من ثمرته واستشعر قلبه من عزه ونال من سروره على حسب ما يورث
الطول من الكد والكثرة من السامة وما اكثر من يقاد الى حظه بالسواجير والسوق العنيف
وبالاخافة الشديدة ثم لم ارك رضيت بالطعن على كل كتاب لي بعينه حتى تجاوزت ذلك
الى ان عبت وضع الكتب كيف ما دارت بها الحال وكيف تصرفت بها الوجوه وقد كنت
اعجب من عيبك البعض بلا علم حتى عبت الكل بلا علم ثم تجاوزت ذلك الى التشنيع ثم تجاوزت
ذلك الى نصب الحرب فعبت الكتاب ونعم الذخر والعقدة هو ونعم الجليس والعدة ونعم
النشرة والنزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد
الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب وعاء ملي علما وظرف حشي ظرفا
واناء شحن مزاحا وجدا ان شيت كان ابين من سحبان وايل وان شيت كان اعيى من باقل
وان شيت ضحكت من نوادره وان شيت عجبت من غرايب فوايده وان شيت الهتك طرايفه
وان شيت اشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبناطق اخرس
وبارد حار • وفي البارد الحار يقول الحسن بن هانئ • قل لزهير اذا اتكى وشدا •
اقلل او اكثر فانت مهذار • سخنت من شدة البرودة • حتى صرت عندي كانك النار •

لا يعجب السامعون من صفتي • كذلك الثلج بارد حار • ومن لك بطبيب اعرابي ومن لك
برومي هندي وبفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت ممتع ومن لك بشي يجمع لك الاول
والاخر والناقص والوافر والخفي والظاهر والشاهد والغايب والرفيع والوضيع والغث
والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده وبعد فمتى رايت بستانا يحمل في ردن
وروضة تقلب في حجر وناطقا ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحيا ومن لك بمونس لا ينام
الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض واكتم للسر من صاحب السر واضبط
لحفظ الوديعة من ارباب الوديعة واحفظ لما استحفظ من الاميين ومن الاعراب المتعربين
بل من الصبيان قبل اعتراض الاشغال ومن العميان قبل التمتع بتمييز الاشخاص حين
العناية تامة لم تنقص والاذهان فارغة لم تقتسم والارادة وافرة لم تتشعب والطينة لينة
فهي اقبل ما تكون للطابع والقضيب رطب فهو اقرب ما يكون من العلوق حين هذه الخصال
لم يخلق جديدها ولم يفل غربها ولم تتفرق قواها وكانت كما قال الشاعر •
اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى • فصادف قلبي فارغا فتمكنا • وقال عبدة بن الطبيب
لا تامنوا قوما يشب صبيهم • بين القوابل بالعداوة ينشع • هذا مع قولهم التعلم في الصغر
كالنقش في الحجر • وقد قال جران العود • تركن برجلة الروحاء حتى • تنكرت الديار على البصير
كوحي في الحجارة او وشوم • بايدي الروم باقية النوور • وقال اخر وهو صالح بن عبد القدوس
وان من ادبته في الصبا • كالعود يسقى الماء في غرسه • حتى تراه مورقا ناضرا •
بعد الذي ابصرت من يبسه • وقال اخر • وتروض عرسك بعدما هرمت •
ومن العناء رياضة الهرم • وقد قال ذو الرمة لعيسى بن عمر اكتب شعري فالكتاب
احب الي من الحفظ لان الاعرابي ينسى الكلمة قد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها
كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام •
وعبت الكتاب ولا اعلم جارا ابر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع
ولا صاحبا اظهر كفاية ولا اقل جناية ولا اقل املالا وابراما ولا احفل اخلاقا ولا
اقل خلافا واجراما ولا اقل غيبة ولا ابعد من عضيهة ولا اكثر اعجوبة وتصرفا ولا

اقل تصلفا وتكلفا ولا ابعد من مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال
من كتاب ولا اعلم قرينا احسن مواتاة ولا اعجل مكافاة ولا احضر معونة ولا اخف مؤنة ولا
شجرة اطول عمرا ولا اجمع امرا ولا اطيب ثمرة ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكا ولا اوجد
في كل ابان من كتاب ولا اعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان
وجوده يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن اثار العقول الصحيحة ومحمود
الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن الاخبار
عن القرون الماضية والبلاد المتنازحة والامثال السايرة والامم البايدة ما يجمع لك الكتاب
قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم فوصف
نفسه تبارك وتعالى بان علم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم واعتد بذلك في نعمه العظام
وفي اياديه الجسام وقد قالوا القلم احد اللسانين وقالوا كل من عرف النعمة في بيان اللسان
كان بفضل النعمة في بيان القلم اعرف ثم جعل هذا الامر قرانا ثم جعله في اول التنزيل
ومستفتح الكتاب ثم اعلم رحمك الله ان حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة لطبا
وخلقة قايمة في جواهرهم وثابتة لا تزايلهم ومحيطة بجماعتهم ومشتملة على ادناهم واقصاهم
وحاجتهم الى ما غاب عنهم مما يعيشهم ويحييهم ويمسك بارماقهم ويصلح بالهم ويجمع شملهم
والى التعاون في درك ذلك والتوافق عليه كحاجتهم الى التعاون على معرفة ما يعضرهم
والتوازر على ما يحتاجون اليه من الارتفاق بامورهم التي لم تغب عنهم فحاجة الغايب موصولة
بحاجة الشاهد ولاحتياج الادنى الى معرفة الاقصى واحتياج الاقصى الى معونة
الادنى معان متضمنة واسباب متصلة وحبال منعقدة • وجعل حاجتنا الى اخبار من
كان قبلنا كحاجة من يكون بعدنا الى اخبارنا ولذلك تقدمت في كتب الله البشارات
بالرسل ولم يسخر لهم جميع خلقه الا وهم يحتاجون الى الارتفاق بجميع خلقه وجعل
الحاجة حاجتين احداهما قوام وقوت والاخرى لذة وامتاع وازدياد في الالة وفي
ما اجذل النفوس وجمع لهم العتاد وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم
وشهواتهم وعلى قدر اتساع معرفتهم وبعد غورهم وعلى قدر احتمال الطبع البشرية

وفطرة

وفطرة الانسانية ثم لم يقطع الزيادة الا لعجز خلقهم عن احتمالها ولم يجز ان يفرق
بينهم وبين العجز الا بعدم الاعيان اذ كان العجز صفة من صفات الخلق ونعتا
من نعوت العبيد ولم يخلق الله احدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة
ببعض من سخر له فادناهم مسخر لاقصاهم واجلهم ميسر لادقهم وعلى ذلك احوج
الملوك الى السوقة في باب واحوج السوقة الى الملوك في باب وكذلك الغني والفقير
والعبد وسيده ثم جعل الله كل شيء للانسان خولا وفي يده مذللا ميسرا اما بالاحتيال
له والتلطف في ارادته واستمالته واما بالصولة عليه والفتك به واما ان ياتيه
سهوا رهوا وعلى ان الانسان لولا حاجته اليها لما احتال لها ولا صال عليها الا ان الحاجة تفترق
في الجنس والجهة والجبلة وفي الحظ والتقدير ثم تعبد الانسان بالتفكر والنظر في امورها
وبالاعتبار بما يرى ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة وتلك الحاجات اللازمة
بالنظر والتفكير والتنقيب والتنقير وبالتثبت والتوقف ووصل معارفهم بمواقع
حاجاتهم اليها وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها وهو البيان الذي جعله الله
سببا فيما بينهم ومعبرا عن حاجاتهم ومعرفا لمواضع سد الخلة ورفع الشبهة ومداواة
الحيرة لان اكثر الناس عن الناس افهم منهم عن الاشباح الماثلة والاجسام الجامدة
والاجرام الساكنة التي لا يتعرف ما فيها من دقايق الحكمة وكنوز الاداب وينابيع
العلم الا بالعقل اللطيف الثاقب وبالنظر التام النافذ وبالاداة الكاملة وبالاسباب
الوافرة والصبر على مكروه الفكر والاحتراس من وجوه الخدع والتحفظ من دواعي
الهوى ولان الشكل افهم عن شكله واسكن اليه واصب به وذلك موجود في اجناس
البهايم وضروب السباع والصبي عن الصبي افهم وله آلف واليه انزع وكذلك
العالم والعالم والجاهل والجاهل وقال الله عز وجل لنبيه عليه السلم ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا لان الانسان عن الانسان افهم وطباعه بطباعه آنس وعلى قدر
ذلك يكون موقع ما يسمع منه ثم لم يرض لهم من البيان بصنف واحد بل جمع ذلك ولم
يفرق وكثر ولم يقلل واظهر ولم يخف فجعل اصناف البيان التي بها يتعارفون معانيهم

والترجمان الذي اليه يرجعون عند اختلافهم في اربعة اشياء وفي خصلة خامسة
وان نقصت عن بلوغ هذه الاربعة في جهاتها فقد تكمل بجنسها الذي وضعت له
وصرفت اليه وهذه الخصال هي اللفظ والخط والاشارة والعقد والخصلة الخامسة
ما اوجد من صحة الدلالة وصدق الشهادة ووضوح البرهان في الاجرام الجامدة
والصامتة والساكنة الثابتة التي لا تتبين ولا تحس ولا تتحرك الا بداخل يدخل
عليها او عند ممسك خلى عنها بعد تقييد كان لها ثم قسم الاقسام ورتب المحسوسات
وحصل الموجودات فجعل اللفظ للسامع وجعل الاشارة للناظر واشرك بين
الناظر واللامس في معرفة العقد الا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك
على نصيب اللامس وجعل الخط دليلا له على ما غاب من حوايجه عنه وسببا موصولا
بينه وبين اعوانه وجعله خازنا لما لا يأمن نسيانه مما قد احصاه وحفظه واتقنه وجمعه
وتكلف الاحاطة به ولم يجعل للشام والذايق في ذلك نصيبا   ولولا خطوط الهند
لضاع من الحساب الكثير الجسيط ولبطلت معرفة التضاعيف ولعدموا الاحاطة
بالباوات وباوات الباوات ولو ادركوا ذلك لما ادركوه الا بعد ان تغلظ المؤنة
وتنتقض المنة ولصاروا الى حال معجزة وحسور والى حال مضيعة وكلال حد مع التغافل
بامور لولا فقد هذه الدلالة لكان اربح لهم وارد عليهم ان يصرفوا ذلك للشغل في ادب
منافع الدين والدنيا ونفع الحساب معلوم والخلة في موضع فقده معروفة قال الله
عز وجل الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ثم قال الشمس والقمر بحسبان
وبالبيان عرف الناس القرآن وقال الله تبارك وتعالى هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فاجرى الحساب مجرى البيان
والحق البيان بالقران وبحساب منازل القمر عرفنا حالات الجزر والمد وكيف تكون الزيادات
في الاهلة وانصاف الشهور وكيف يكون النقصان في خلال ذلك وكيف تلك المراتب
والاقدار   ولولا الكتب المدونة والاخبار المخلدة والحكم المخطوطة التي تحصر الحساب
وغير الحساب لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس

مفزع الى موضع الاستذكار ولو تم ذلك لحرمنا اكثر النفع اذ كنا قد علمنا ان مقدار
حفظ الناس لعواجل حاجاتهم واواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ولا يغني فيه
غناء محمودا ولو كلف عامة من يطلب العلم ويصطنع الكتب الا يزال حافظا لفهرست
كتبه لاعجزه ذلك ولكلف شططا ولشغله ذلك عن كثير مما هو اولى به وفهمك لمعاني
كلام الناس ينقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجردا وابعد فهمك لصوت
صاحبك ومعاملك والمعاون لك ما كان صياحا صرفا وصوتا مصمتا ونداء خالصا
ولا يكون ذلك الا وهو بعيد من المفاهمة وعطل من الدلالة فجعل اللفظ لاقرب الحاجات
والصوت لانفس من ذلك قليلا والكتاب للنازح من الحاجات فاما الاشارة فاقرب
المفهوم منها رفع الحواجب وكسر الاجفان ولي الشفاه وتحريك الاعناق وقبض جلدة
الوجه وابعدها ان تلوى بثوب على مقطع جبل تجاه عين الناظر ثم ينقطع عملها ويدرس اثرها
ويموت ذكرها ويصير بعد كل شيء فضل عن انتهاء حد الصوت ومنتهى الطرف الى الحاجة
الى التفاهم بالخطوط والكتب فاي نفع اعظم واي مرفق اعون من الخط والحال فيه
كما ذكرنا وليس للعقد حظ الاشارة في بعد الغاية فلذلك وضع الله عز وجل القلم
في المكان الرفيع ونوه بذكره في المنصب الشريف حين قال ن والقلم وما يسطرون
فاقسم بالقلم كما اقسم بما يخط بالقلم اذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ولا يشق غباره ولا
يجري مجراه ولا يتكلف بعد غايته ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة اكثر من
حاجاتهم في ساير الاماكن وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة قايمة راكدة وراهنة ثابتة
وكانت الحاجة الى بيان القلم امرا يكون في الغيبة وعند النايبة الا ما خصت به الدواوين
فان بيان القلم هناك ابسط واثره اعم فلذلك قدموا اللسان على القلم فاللسان الآن
انما هو في منافع اليد والمرافق التي فيها والحاجات التي تبلغها فمن ذلك حظها او قسطها
مع منافع الاشارة ثم نصيبها في تقويم القلم ثم حظها في التصوير ثم حظها في الصناعات
ثم حظها في العقد ثم حظها في الدفع عن النفس ثم حظها في ايصال الطعام والشراب
الى الفم ثم التوضؤ والامتساح ثم انتقاد الدنانير والدراهم ثم لبس الثياب وفي الدفع

عن النفس اصناف الرمي واصناف الضرب واصناف الطعن ثم النقر بالعود وتحريك
الوتر ولولا ذلك لبطل الضرب كله او عامته وكيف لا يكون ذلك كذلك وها ضرب
الطبل والدف وتحريك الصفاقتين وتحريك مخارق خروق المزامير وما في ذلك من
الاطلاق والحبس ولو لم يكن في اليد الا امساك العنان والزمام والخطام لكان ذلك
من اعظم الحظوظ وقد اضطربوا في الحكم بين العقد والاشارة ولولا ان مغزانا في هذا
الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما احب ان يعرفه اخواننا وخلطاؤنا ولا ينبغي
ايضا لنا ان ناخذ في هذا الباب من الكلام الا بعد الفراغ مما هو اولى بنا منه اذ كنت لم
تنازعني ولم تعب كتبي من طريق فضل ما بين العقد والاشارة ولا في تمييز ما بين
اللفظ وبينهما وانما قصدنا بكلامنا الى الاخبار عن فضيلة الكتاب   والكتاب هو
الذي قيد على الناس كتب الدين وحساب الدواوين مع خفة نقله وصغر حجمه صامت
ما اسكته وبليغ اذا استنطقته ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك ويدعوك في
اوقات نشاطك ولا يحوجك الى التجمل له والتذمم منه ومن لك بزائر ان شئت جعل زيارته
غبا ووروده خمسا وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك مكان بعضك   والقلم
مكتف بنفسه لا يحتاج الى ما عند غيره ولا لبيان اللسان من امور منها اشارة اليد ولولا
الاشارة ما فهموا عن خاص الخاص اذ كان اخص الخاص قد يدخل في باب العام الا انه في
ادنى طبقاته وليس يكتفي خاص الخاص بما اداه كما اكتفى عام العام والطبقات التي بينه
وبين اخص الخاص والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك
والرفيق الذي لا يملك والمستميح الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطيك والصاحب
الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال
لك بالكذب والكتاب هو الذي ان نظرت فيه اطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط
لسانك وجود بيانك وفخم الفاظك ونجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام
وصداقة الملوك وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من افواه الرجال في دهر مع السلامة
من الغرم ومن كد الطلب ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم ومن الجلوس

بين يدي

بين يدي من انت افضل منه خلقا واكرم منه عرقا ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة
الاغبياء والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك في السفر كطاعته
في الحضر ولا يعتل بنوم ولا يعتريه كلال السهر وهو المعلم الذي ان افتقرت اليه لم
يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفايدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان
هبت ريح اعاديك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقا منه بسبب او معتصما بادنى حبل
كان لك فيه غنى عن غيره ولم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء ولو لم يكن
من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك
مع ما في ذلك من الحقوق التي تلزم ومن فضول النظر ومن عادة الخوض ومن ملابسة
صغار الناس وحضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة واخلاقهم الردية وجهالاتهم
المذمومة لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم
يكن في ذلك الا انه يشغلك عن سخف المنى وعن اعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما
اشبه اللعب لقد كان في ذلك على صاحبه اسبغ النعمة واعظم المنة   وقد علمنا ان
افضل ما يقطع به الفراغ نهارهم واصحاب الفكاهات ساعات ليلهم ليس هو الشي
الذي لا يرى لهم فيه مع النيل منه اثر في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروة ولا في
صون عرض ولا في اصلاح دين ولا في تثمير مال ولا في ترتيب صنيعة ولا في ابتداء انعام
قال ابو عبيدة قال المطلب لبنيه في وصيته يا بني لا تقوموا في الاسواق الا على زراد او
وراق   وحدثني صديق لي قال قرات على شيخ شامي كتابا فيه من مآثر غطفان فقال ذهبت
المآثر الا من الكتب   وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول غبرت اربعين عاما ما قلت ولا بت
الا والكتاب موضوع على صدري   وقال ابن الجهم اذا غشيني النعاس في غير وقت نوم
وبئس الشي النوم الفاضل عن الحاجة قال فاذا اعتراني ذلك تناولت كتابا من كتب الحكم
فاجد اهتزازي للفوايد والاريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة والذي يغشى
قلبي من السرور بالاستبانة وعز التبيين اشد ايقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم   وقال
ابن الجهم اذا استحسنت الكتاب واستجدته ورجوت منه الفايدة ورايت ذلك فيه فلو تراني

وانا ساعة بعد ساعة انظر كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادّة من
قبله وان كان المصحف عظيم الحجم كثير الورق كثير العدد فقد تم عيشي وكمل سرو ري
وذكر العتبي كتابا لبعض القدماء فقال لولا طول ورقه لنسخته فقال ابن الجهم
لكني ما رغّبني فيه الا الذي زهّدك وما قرأت كتابا قط كبيرا فاخلاني من فايدة ولا
احصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت وقال العتبي ذات يوم لا بن
الجهم الا تتعجب من فلان نظر في كتاب اقليدس مع جارية سلمويه في يوم واحد وسا عة
واحده فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة على انه حر مخير وتلك
امة مقصورة وهو احرص على قراة الكتاب من سلمويه على تعليم جاريته قال ابن الجهم
قد كنت اظن انه لا يفهم شكلا واحدا واراك تزعم انه فرغ من مقالة قال العتبي وكيف ظننت
به هذا الظن كله وهو رجل ذو لسان وادب قال اني سمعته يقول لابنه كم انفقت على كتاب كذا
قال انفقت عليه كذا وكذا قال انما رغّبني في العلم اني ظننت اني انفق عليه قليلا واكتسب كثيرا
فاما اذا صرت انفق الكثير وليس في يدي الا المواعيد فاني لا اريد العلم بشي والانسان
لا يعلم حتى يكثر سماعه ولا بد من ان تصير كتبه اكثر من سماعه ولا يعلم ولا يجمع العلم ولا يختلف
حتى يكون الانفاق عليه من ماله الذ عنده من الانفاق من مال عدوه ومن لم تكن نفقته
التي تخرج في الكتب الذ عنده من عشق القيان وانفاق المستهترين بالبنيان لم يبلغ في العلم مبلغا
مرضيا وليس ينتفع بانفاقه حتى يوثر اتخاذ الكتب ايثار الاعرابي فرسه باللبن على عياله وحتى
يؤمّل في العلم ما يؤمّل الاعرابي في فرسه وقال ابراهيم بن السندي مرة وددت ان
الزنادقة لم يكونوا احرص على المغالاة بالورق النقي الابيض وعلى تخيّر الحبر الاسود
المشرق البراق وعلى استجادة الخط والارغاب لمن يخط فاني لم ار كورق كتبهم ورقا
ولا كالخطوط التي فيها خطا واني غرمت مالا عظيما مع حبي للمال وبغضي للغرم لان
سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس
وعلى السلامة من سكر الافات قلت لابراهيم ان انفاق الزنادقة على تحسين الكتب كانفاق
النصارى على البيع ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وفلسفة وكتب مقاييس وتبيين

اولو

او لو كانت كتبهم كتبا تعرّف الناس ابواب الصناعات او سبل التكسب والتجارات او كتب
ارتفاق ورياضات او بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والاداب وان كان ذلك لا يقرب
من غنى ولا يباعد من مأثم لكانوا ممن يجوز ان يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين
ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة وعلى طريق تعظيم الملّة فانما انفاقهم في ذلك كانفاق
المجوس على بيت النار وعلى طريق انفاق النصارى على صلبان الذهب او كانفاق الهند على
سدنة البدّ ولو كانوا ارادوا العلم لكان العلم لهم معرّضا وكتب الحكمة لهم مبذولة والطرق
اليها سهلة معروفة فما بالهم لا يصنعون ذلك الا بكتب دياناتهم كما تزخرف النصارى بيوت
عباداتهم ولو كان هذا المعنى مستحسنا عند المسلمين او كانوا يرون ذلك داعية الى العبادة
وباعثة على الخشوع لبلغوا في ذلك بعفوهم ما لا تبلغه النصارى بغاية الجهد وقد رايت
مسجد دمشق حين استجاز هذا السبيل ملك من ملوكنا ومن راه فقد علم ان احدا لا يرومه
وان الروم لا تسخوا انفسهم به فلما قام عمر بن عبد العزيز جلّله بالجلال وغطاه بالكرابيس
وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلالؤ والبريق وذهب الى ان ذلك
الصنيع مجانب لسنّة الاسلام وان ذلك الحسن الرايع والمحاسن الدقاق مذهلة للعقول
ومشغلة دون الخشوع وان البال لا يكون مجتمعا وهناك شي يعرفه ويعترض عليه
والذي يدل على ما قلنا انه ليس في كتبهم من معرفة ولا خبر ظريف ولا صنعة ادب ولا
حكمة غريبة ولا فلسفة ولا مسيلة كلامية ولا تعريف صناعة ولا استخراج آلة ولا تعليم
فلاحة ولا تدبير حرب ولا منازعة عن دين ولا مناضلة عن نحلة وجله كلام في النور
والظلمة وتناكح الشياطين وتسافد العفاريت وذكر الصنديد والتهويل بعمود الصبح
والاخبار عن عقلون وعن القامة وكله هذر وعي ودعوى وخرافة وسخف وتكذب
لا ترى فيه موعظة حسنة ولا حديثا مونقا ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة ولا ترتيب
خاصة فاي كتاب اجهل واي تدبير افسد من كتاب يوجب على الناس الطاعة والتحرّج بالديانة
على جهة الاستبصار والمحبة وليس فيه صلاح معاش ولا تصحيح دين والناس لا يرغبون
الا دنيا او دينا فاما الدنيا فاقامة سوقها واحضار نفعها واما الدين فاقلّ نفعه ما يطمع فيه

باستجابة العامة واستمالة الخاصة ان يصور في صور مغلطة ويموّه تمويه الدينار والدرهم
البهرج والزايف الذي يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقته القليل فليس انفاقهم عليها
من حيث ظننت وكل دين يكون اظهر فسادا احتاج من الترقيع والتمويه ومن الاحتشاد
له والتغليط فيه الى اكثر وقد علمنا ان النصرانية اشد انتشارا من اليهودية تجدّا فعلى
حسب ذلك يكون تزيّدهم في توكيده واحتفالهم له اظهار تعظيمه وقال بعضهم كنت عند
بعض العلماء فكنت اكتب عنه بعضا وادع بعضا فقال لي اكتب كلما تسمع فان مكان اخسّ
ما تسمع اسود خير من مكانه ابيض وقال الخليل بن احمد تكثّر من العلم لتعرف وتقلّل منه
لتحفظ وقال ابو اسحق القليل والكثير للكتب والقليل وحده للصدر وانشد قول ابن يسير
اما لواني كلما اسمع واحفظ من ذاك ما اجمع ولم استفد غير ما اجمعت لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسي الى كل نوع من العلم تسمعه تنزع فلا انا احفظ ما قد جمعت ولا انا من جمعه اشبع
واحضر بالعيّ في مجلسي وعلمي في الكتب مستودع فمن يك في علمه هكذا مضى دهره القهقري يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع قال ابو اسحق كلف بن يسير الفطن ان ليس
عليها ان الكتب لا تحيي الموتى ولا تحوّل الاحمق عاقلا ولا البليد ذكيا ولكن الطبيعة اذا
كان فيها ادنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفي ومن اراد ان يعلم كل شي فينبغي
لاهله ان يداووه فان ذلك انما تصوّر له لشيء اعتراه فمن كان ذكيا حافظا فليقصد الى شيئين
او ثلثة اشياء ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ولا يدع ان يمرّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه
ما قدر عليه من ساير الاصناف فيكون عالما بخواص ويكون غير غفل من ساير ما يجري فيه
الناس ويخوضون فيه ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئا الا نسي ما هو اكثر منه فهو عن الحفظ
من افواه الرجال ابعد وحدثني موسى بن يحيى قال ما كان في خزانة كتب يحيى وفي بيت مدراسه
كتاب الدوله ثلث نسخ وقال ابو عمرو بن العلا ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرايته
ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت انه افضل منه واعقل وقال ابو عمرو بن العلا
قيل لنا يوما ان في دار فلان ناسا قد اشتملوا على سوءة وهم جلوس على خميرة لهم وعندهم
طنبور فتسوّرنا عليهم في جماعة من رجال الحي فاذا فتى جالس في وسط الدار واصحابه حوله

واذاهم

واذا هم شيوخ والفتى يقرأ عليهم دفترا فيه شعر فقال الذي سعى بهم السوءة في ذلك البيت
وان دخلتموه عثرتم عليها فقلت والله لا كشفت فتى اصحابه شيوخ وفي يده دفتر علم ولو كان
في ثوبه دم يحيى بن زكريا وانشد رجل يونس النحوي استودع العلم قرطاسا فضيّعه
وبيس مستودع العلم القراطيس قال فقال يونس قاتله الله ما اشدّ صبابته بالعلم
واحسن صيانته له ان علمك من روحك وما لك من بدنك فضعه منك بمكان الروح وضع
مالك بمكان البدن وقيل لابن داحه واخرج كتاب ابي الشمقمق فاذا هو في جلود كوفية
ودفتين طايفيتين وخط عجيب فقيل له لقد ضيّع درهمه من تجوّد بشعر ابي الشمقمق
فقال لاجرم والله ان العلم ليعطيكم على حسب ما تعطونه لو استطعت ان اودعه سويدا
قلبي واجعله محفوظا على ناصيتي لفعلت ولقد دخلت على اسحق بن سليمن في امرته
فرايت السماطين والرجال مثولا كان على رووسهم الطير ورايت فرشته وبزّته ثم دخلت
عليه وهو معزول واذا هو في بيت كتبه وحواليه الاسفاط والرقوق والقماطر والدفاتر
والمساطر والمحابر فما رايته قط افخم ولا انبل ولا اهيب ولا اجزل منه في ذلك اليوم لانه
جمع مع المهابة المحبة ومع الفخامة الحلاوة ومع السودد الحكمة وقال ابن داحة كان
عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس وينزل مقبرة من
المقابر وكان لا يكاد يرى الا وفي يده كتاب يقروه فسيل عن ذلك وعن نزوله المقبرة
فقال لم ار اوعظ من قبر ولا امتع من كتاب ولا اسلم من الوحدة فقيل له قد جا في الوحدة
ما جاء قال ما افسدها للجاهل وضروب من الخطوط بعد ذلك تدل على قدر منفعة الخط
قال الله تبارك وتعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال عز وجل في صحف مكرّمة
مرفوعة مطهّرة بايدي سفرة وقال فاما من اوتي كتابه بيمينه وقال واما من اوتي
كتابه وراء ظهره وقال اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ولو لم تكتب اعمالهم
لكانت محفوظة لا يدخل ذلك الحفظ نسيان ولكنه تعالى وعز علم ان الكتاب المحفوظ
ونسخه اوكد في الابلاغ والانذار والتحذير واهيب في الصدر وخط اخر وهو
خط الحازي والعراف والزاجر وكان فيهم حليس الخطاط الاسدي ولذلك قال الشاعر

في هجايهم فانتم غظاريط الخميس اذا غدوا غثاؤكم تلك الاخاطيط في الترب
وخطوط اخر تكون مستراحا للاسير والمهموم والمفكر كما يعتري النادم من قرع
السن والغضبان من تصفيق اليد وتحميظ العين وقال تأبط شرا
لتقرعن علي السن من ندم اذا تذكرت يوما بعض اخلاقي وفي خط الحزين الارض
يقول ذو الرمه عشية مالي حيلة غير انني بلقط الحصى والخط في الدار مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده بكفي والغربان حولي وقع وذكر النابغة صنيع
النساء وميلهن الى ذلك اذا سبين واغتربن وفكرن فقال يخططن بالعيدان في كل منزل
ويخبأن رمان الثدي النواهد وقد يفزع الى ذلك الخجل والمتعلل ويفزع اليه المهموم وهو
قول القاسم بن امية بن ابي الصلت لا ينكثون الارض في سؤالهم لتلمس العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها عند اللقاء كأحسن الالوان وقال الحرث بن الكندي
وذكر رجلا ساله حاجة فاعتراه العبث باسنانه فقال واض بكفه يختل ضرسا
يرينا انه وجع بضرس وربما اعترى هولاء عد الحصى اذا كانوا في موضع حصى ولم يكونوا
في موضع تراب وهو قول امرؤ القيس ظللت ردائي فوق راسي قاعدا
اعد الحصى ما تنقضي عبراتي وقال امية بن ابي الصلت هزا اجاربا وبيتا عليا
يعتري المعتفين فضل علاكا في تراخ من المكارم جزل لم تعللهم بلقط حصاكا
وقال اخر يصف امراة قتل زوجها فهي محزونة تلتقط الحصى
وبيضاء مكسال كان وشاحها على ام احوي المقلتين خذول عقلت لها من زوجها عدد الحصى
مع الصبح او في جنح كل اصيل يقول لم اعطها عقلا من زوجها ولم اورثها الا الهم
الذي دعاها الى لقط الحصى يخبر انه لمنعته لا يوصل منه الى عقل ولا قود ومما قالوا في
الخط ما انشدنا هشام بن محمد بن السايب الكلبي قال قال المقنع الكندي في قصيدة له
يمدح فيها الوليد بن يزيد كالخط في كف الغلام اجاده بمداده واسل من اقلامه
قلم كخرطوم الحمامة مايل مستحفظ للعلم من علامه يسم الحروف اذا تشابه آيها
لبيانها بالنقط من ارقامه من صوفة نفث المداد سخامه حتى تغير لونها بسخامه

يعني فيقسم من شعيرة انفه كقلامة الاظفور من قلامه وبانفه شق تلام فاستوى
يسقي المداد فزاد في تلدمه مستعجم وهو الفصيح بكلما نطق اللسان به على استعجامه
ولد تراجمه بالسنة لهم تبيان ما يتلون من ترجامه ما خط من شي به كتابه
ما ان يبوح به على استكتامه وهجاوه قاف ولام بعدها ميم معلقة باسفل لامه
ثم قال قالت لجارتها العقيلة اذ رات وجه المقنع من وراء لثامه
قد كان ابيض فاعترته ادمة فالعين تنكره من ابيدامه كم من بويزل عامها مهرية
سرح اليدين ومن بويزل عامه وقويرح عتد اعد لنية لبن اللقوح فعاد ملء حزامه
وهب الوليد برحلها وزمامها وكذاك ذا كسرجه ولجامه اهدى المقنع للوليد قصيدة
كالسيف اره فحده بحسامه وكذا الملاء في قريش كلها وله الخلافة بعد موت هشامه
وقال الحسن بن جماعه في الخط
اليك بسري بات يرقل عالم اصم الصدى محرورف السن طايع بصير عا يوحى اليه وما له
لسان ولا اذن فها هو سامع كان ضمير القلب باح بسره لديه اذا ما حثحثته الاصابع
له ريقة من غير فرث تمده ولا من ضلوع ضمنتها الاضالع وقال الطاي يمدح محمد بن عبد
الملك الزيات وما برحت صودا اليك نوازعا اعنتها مذ راسلتك الوسايل
لك القلم الاعلى الذي بشباته يصاب من الامر الكلى والمفاصل له الخلوات اللاى لولا نجيها
لما احتفلت للملك تلك المحافل لعاب الافاعي القاتلات لعابه واري الجنى اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها باثاره في الشرق والغرب وابل فصيح اذا استنطقته وهو راكب
واعجم ان خاطبته وهو راجل اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته اطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل اذا استغزر الذهن الجلي واقبلت
اعاليه في القرطاس وهي اسافل وقد رفدته الخنصران وسددت ثلث نواحيه الثلث الانامل
رايت جليلا شانه وهو مرهف ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل اتى ابن ابي مروان اما الفاقه
فذان واما الحكم منه فعادل وقد ذكر البحتري في كلمة له كهول العسكر ومن ابناء كتابهم فقال
واذا دجت اقلامهم ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه وكانوا يجعلون الكتاب حفرا في

الصخور ونقشا في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الناتي وربما كان
الكتاب هو الحفر اذا كان تاريخا لامر جسيم او عهدا لأمر عظيم او موعظة يرجا نفعها او احياء
شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند
وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرهاء يعمدون الى الاماكن
المشهورة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في ابعد المواضع من الدثور وامنعها من
الدروس واجدر ان يراها من مر ولا تنسى على وجه الدهر واقول لولا الخطوط
لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل اقطاع وكل انفاق وكل امان وكل
عهد وعقد وكل جوار وحلف ولتعظيم ذلك والثقة به والاستناد اليه كانوا يدعون في
الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للامر وتبعيدا له من النسيان ولذلك قال
الحرث بن حلزة في شان بكر وتغلب   واذكروا حلف ذي المجاز وما   قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينقض   ما في المهارق الأهواء   والمهارق ليس يراد بها الصحف
والكتب ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين او كتب عهد وميثاق وامان وليس بين
الرقوم والخطوط فرق ولولا الرقوم لهلك اصحاب البز والغزل واصحاب الساج وعامة
المتاجر وليس بين الرسوم على الحيوان كله والخف كله والظلف كله وبين الرقوم فرق
ولا بين العقود والرقوم فرق ولا بين الخطوط والرقوم فرق وكلها خطوط وكلها كتاب
او في معنى الخط والكتاب ولا بين الحروف المجموعة والمصورة من الصوت المقطع في الهوا
وبين الحروف المجموعة والمصورة من السواد في القراطيس فرق واللسان يصنع في جوبة
الفم وهوايه الذي في جوف الفم وخارجه ولهاته وبطن اسنانه ما يصنع القلم في المداد
والليقة والهوا والقرطاس وكلها صور وعلامات وخلق مواثل ودلالات فيعرف ما كان
ما كان منها في تلك الصور لكثرة ترددها على الاسماع ويعرف ما كان منها مصورا من تلك
الالوان لطول تكرارها على الابصار كما انهم استدلوا بالضحك على السرور وبالبكاء على الالم
وعلى مثل ذلك عرفوا معاني الصوت وضروب صور الاشارات وصور جميع الهيئات وكما
عرفوا المجنون لغيه وعرف المجنون لقبه وكما عرف الكلب اسمه وعلى مثل ذلك فهم الصبي

الزجر والاغرا

الزجر والاغراء وودع المجنون الوعيد والتهدد وبمثل ذلك استحضر الدابة من رفع الصوت
والسوط ثم حتى اذا ادى سايسه حمحم واذا راى الحمام الغيم عليه لغط للقط الحب قبل ان
يلقى له ما يلقط ولولا الوشوم ونقوش الخواتم لدخل على الاموال الخلل الكثير وعلى خزاين
الناس الضرر الشديد وليس في الارض امة بها طرق اولها مسكة ولا جيل لهم قبض
وبسط الا ولهم خط فاما اصحاب الملك والمملكة والسلطان والجباية والديانة والعبادة
فهناك الكتاب المتقن والحساب المحكم ولا يخرج الخط من الجزم والمسند والمنمنم كيف كان
ذلك قال الهيثم وابن الكلبي وابو عبيدة فكل امة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها
على ضرب من الضروب وشكل من الاشكال وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها
بان تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها وعلى ان الشعر
يفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح وفضيلة المآثر على السيد المرغوب اليه والممدوح
قال وذهبت العجم الى ان تقيد مآثرها بالبنيان فبنوا مثل كرد بيداد وبنا ازدشير بيضا اصطخر
وبيضا المداين والحضر والمدن والحصون والقناطر والجسور والنواويس قال ثم ان العرب
احبت ان تشارك العجم في البنيان وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران وقصر مارد وقصر
مارب وقصر شعوب والابلق الفرد وفي الابلق الفرد ومارد قالوا تمرد مارد وعز الأبلق
وغير ذلك من البنيان قال ولذلك لم تكن الفرس تبيح شريف البنيان كما لا تبيح شريف
الأسماء الا لاهل البيوتات كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الخضر والشرف
على الحيطان وكالعقد على الدهاليز وما اشبه ذلك فقال بعض من حضر كتب الحكماء وما دونت
العلماء من صنوف البلاغات والصناعات والاداب والارفاق من القرون السالفة والامم
الخالية ومن له بقية ومن لا بقية له ابقى ذكرا وارفع قدرا واكثر ردا لان الحكمة انفع لمن
ورثها من جهة الانتفاع بها واحسن في الاحدوثة لمن احب الذكر الجميل والكتب بذلك
اولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر لان من شان الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم
وان يميتوا ذكر اعدائهم فقد هدموا بهذا السبب اكثر المدن واكثر الحصون كذلك كانوا ايام
العجم وايام الجاهلية وعلى ذلك هم في الاسلام كما هدم عثمان صومعة غمدان وكما هدم

الاطام التى كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم اصحابنا
مدن الشامات لبنى مروان   واما الشعر فحديث الميلاد صغير السن اول من نهج سبيله
وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة وكتب ارسطاطاليس ومعلمه
افلاطون ثم بطليموس وذي مقراط وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور وقبل الدهور
والاحقاب قبل الاحقاب ويدل على حداثة الشعر قول امرؤ القيس بن حجر
ان بنى عوف ابتنوا حسنا   ضيعه الدخلون اذ غدروا   ادوا الى جارهم خفارته
ولم يضع بالمغيب من نصروا   لا حميري وفى ولا عدس   ولا است عير يحكها الثفر
لكن عوير وفى بذمته   لا قصر عابه ولا عور   فانظر كم كان عمر زرارة وكم كان بين
موت زرارة ومولد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جا الله
بالاسلام خمسين ومايه عام واذا استظهرنا له بغاية الاستظهار فمايتي عام قال وفضيلة
الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب والشعر لا يستطاع ان يترجم ولا يجوز
عليه النقل ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه
وصار كالكلام المنثور والكلام المنثور المبتدأ على ذلك احسن واوقع من المنثور الذى حول من
الشعر   قال وجميع الامم يحتاجون الى الحكم فى الدين والحكم فى الصناعات والى كل ما اقام لهم
المعاش وبوب لهم ابواب الفطن وعرفهم وجوه المرافق حديثهم كقديمهم واسودهم كاحمرهم
وبعيدهم كقريبهم والحاجة الى ذلك شاملة لهم   وقد نقلت كتب الهند وترجمت كتب اليونان
وحولت اداب الفرس فبعضها ازداد حسنا وبعضها انتقص شيئا ولو حولت حكم العرب
لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن مع انهم لو حولوها لم يجدوا فى معانيها شيئا لم تذكره
العجم فى كتبهم التى وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم وقد نقلت هذه الكتب من امة الى
امة ومن قرن الى قرن ومن لسان الى لسان حتى انتهت الينا وكنا اخر من ورثها ونظر فيها
فقد صح ان الكتب ابلغ فى تقييد المآثر من البنيان والشعر   ثم قال بعض من ينصر الشعر
ويحوطه ويحتج له ان الترجمان لا يؤدي ابدا ما قال الحكيم على خصايص معانيه وحقايق
مذاهبه ودقايق اختصاراته وخفيات حدوده ولا يقدر ان يوفيها حقوقها ويؤدي

الامانة فيها ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجري وكيف يقدر على ادايها وتسليم معانيها
والاخبار عنها على حقها وصدقها الا ان يكون فى العلم بمعانيها واستعمال تصاريف الفاظها وتاو[يلات]
مخارجها مثل مولف الكتاب وواضعه فمتى كان رحمك الله ابن البطريق وابن ناعمه وابن قرة
وابو قرة وابن المقفع مثل ارسطاطاليس ومتى كان خالد مثل افلاطون ولا بد للترجمان من ان
يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة وينبغى ان يكون اعلم الناس
باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية ومتى وجدناه ايضا قد تكلم
بلسانين علمنا انه ادخل الضيم عليهما لان كل واحدة من اللغتين تجذب الاخرى وتأخذ منها
وتعترض عليها وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه كتمكنه اذا انفرد بالواحدة وانما
له قوة واحدة فان تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة وان تكلم بلغتين انقسمت تلك
القوة عليهما وكذلك ان تكلم باكثر من لغتين وعلى حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات
وكلما كان الباب من العلم اعسر واضيق والعلماء فيه اقل كان اشد على المترجم واجدر
ان يخطئ فيه ولن تجد البتة مترجما يفى بواحد من هولاء العلماء هذا قولنا فى كتب الهندسة
والتنجيم والحساب واللحون فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين واخبار عن الله عز وجل بما يجوز
عليه مما لا يجوز حتى يريد ان يتكلم على تصحيح ما فى الطبايع ويكون ذلك معقودا بالتوحيد
ويتكلم فى وجوه الاخبار واحتمالاتها للوجوه ويكون ذلك متضمنا بما يجوز على الله مما لا يجوز وبما
يجوز على الناس مما لا يجوز وحتى يعلم مستقر العام والخاص والمقابلات التى تلقى الاخبار
العامية المخرج فيجعلها خاصية وحتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر الذى هو اثر مما يخصه
الخبر الذى هو قرآن وما يخصه العقل مما تخصه العادة او الحالة الرادة له عن العموم وحتى
يعرف ما يكون من الخبر صدقا او كذبا وما لا يجوز ان يسمى بصدق ولا كذب وحتى يعرف
اسم الكذب والصدق وعلى كم معنى يجتمع ويشتمل وعند فقد اي معنى ينقلب ذلك الاسم
وكذلك معرفة المحال من الصحيح واي شى تاويل المحال كذبا ام لا يجوز ذلك واي القولين افحش
المحال ام الكذب وفى اي موضع يكون المحال افظع والكذب اشنع وحتى يعرف المثل البديع
والوحي والكناية وفصل ما الخطل والهذر والمقصور والمبسوط والحذف والاختصار وحتى

يعرف ابنية الكلام وعادات القوم واسباب تفاهمهم والذى ذكرنا قليل من كثير ومتى
مالم يعرف ذلك المترجم اخطاه فى تاويل كلام الدين والخطأ فى الدين اضر من الخطا فى الريا ضة
والصناعة والفلسفة والكيمياء وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم واذا كان المترجم
الذى قد ترجم لا يكمل لذلك اخطأ على قدر نقصانه من الكمال وما علم المترجم بالدليل من
شبه الدليل وما علمه بالاخبار النجومية وما علمه بالحدود الخفية وما علمه باصلاح سقطات
الكلام واسقاط الناسخين للكتب وما علمه ببعض المخطرفة لبعض المقدمات وقد علمنا
ان المقدمات لا بد من ان تكون اضطرارية ولا بد من ان تكون مرتبة وكالخط الممدود
وابن البطريق وابو قرة لا يفهمان هذا موصوفا منزلا ومرتبا مفصلا من معلم دقيق ومن
حاذق طب وكيف بكتاب من تداولته اللغات واختلاف الاقلام واجناس خطوط الملل
والامم ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى بذلك الى الحاذق بلسان العرب ثم كان
العربى مقصرا عن مقدار بلاغة اليونانى لم يجد المعبّر والناقل بدا من التقصير ولم يجد
اليونانى الذى لم يرض بمقدار بلاغته فى لسان العربية بدا من الاغتفار والتجاوز ثم يصير
الى ما يعرض من الآفات لاصناف الناسخين وذلك ان نسخته لا يعدمها الخطاء ثم ينسخ له
من تلك النسخة من يزيده من الخطاء ثم لا ينقص منه ثم لا يعارض له به من يترك ذلك المقدار
من الخطاء على حاله اذ كان ليس فى طاقة اصلاح السقط الذى يجده فى النسخة ولو عاد
مولف الكتاب ان يصلح تصحيفا او كلمة ساقطه فيكون انشاء عشر ورقات من حر اللفظ
وشريف المعانى ايسر عليه من اتمام ذلك النقص حتى يرده الى موضعه من اتصال الكلام
فكيف يطيق ذلك المعارض المستاجر والحكيم نفسه قد اعجزه هذا الباب واعجب من ذلك
انه ياخذ كرامن قد اصلح الفاسد وزاد الصالح صلاحا ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة
لانسان آخر فيسير فيه الوراق الثانى سيرة الوراق الاول ولا يزال الكتاب تتداوله الايدى
الجانية والاعراض المفسدة حتى يصير غلطا صرفا وكذبا مصمتا فا ظنكم بكتاب يتعاقبه
المترجمون بالافساد ويتعاوره الخطاط بشر من ذلك او بمثله وهو كتاب متقادم الميلاد
دهرى الصنعة فكيف تكون هذه الكتب لاهلها انفع من الشعر المقفى   قال الآخر

احسبوا

احسبوا الامر على ما قلتم والشان على ما نزلتم اليس معلوما ان شيئا هذه بقيته وفضلته
وسؤره وصبابته وهذا مبلغ صبره على شدة الضيم وثبات قوته على هتك الفساد وتداول النقص
حرى بالتعظيم وحقيق بالتفضيل والتقديم على شعر ان هو حول تهافت ونفعه مقصور على
اهله وهو يعد من الادب المقصور وليس بالمبسوط ومن المنافع الاصطلاحية وليست
بحقيقية بتية وكل شى فى العالم من الصناعات والارفاق والآلات فهى الموجودات فى
هذه الكتب دون الاشعار وها هنا كتب بيننا وبينكم مثل كتاب اقليدس ومثل كتاب جالينوس
ومثل المجسطى مما تولاه الحجاج وكتب كثيرة لا تحصى فهى بلاغ للناس وان كانت مختلة ومنقو صة
مظلومة ومفسدة فالباقى كاف شاف والغايب منها كان تكميلا لتلك الطبايع الكاملة
فاما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ومنتهى نفعه الحديث انتهى به القول وحسبك بما فى
ايدى الناس من كتب الحساب والمنطق والطب والهندسة ومعرفة اللحون والفلاحة
والتجارة وابواب الاصباغ والعطر والاطعمة والآلات وهم اتوكم بالحكمة وبالمنفعة التى
فى الحمامات وفى الاسطرلابات والقوسطونات وآلات معرفة الساعات وصنعة الزجاج
والفسفيا والاسرنج والزنجفور واللازورد والاشربة والافشارجات والانبجات
ولكم الميناء والكيميا والنوشادر والشبه وتعليق الحيطان والاساطين ورد ما مال منها الى
التقويم ولكم صب الزرنج واستخراج النشاستج وتعليق الخيش واتخاذ الجمازات وعمل
الحراقات واستخراج شراب الرازقى وعمل الزرياب وكان الحجاج اول من اجرى فى البحر
السفن المقيرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة والمسطحة وغير ذوات الجآجى وكان اول
من عمل المحامل   قال بعض رجاز الاكريا   اول خلق عمل المحاملا   اخزاه ربى عاجلا وآجلا
وقال آخر   شيب اصداغى فهن بيض   محامل لقدها نغيض   وقال القوم لولا ما عرفوكم
من ابواب المدانات لم تعرفوا صنعة الشبه ولولا غضار الصين على وجه الدهر لم تعرفوا
الغضارة على ان الذى عملتم ظاهر فيه التوليد منقوص المنفعة عن تمام الصينى وعلى ان
الشبه لم تستخرجوه وانما ذلك من الامور التى وقعت اتفاقا لسقوط النافط عن بدن جبل
فى الصفر المذاب فخفتم افساده فلما رايتم ما اعطاه من اللون عملتم فى الزيادة والنقصا ن

وكذلك جميع ما تهيأ لكم ولستم تخرجون في ذلك من احد امرين اما ان تكونوا استعملتم الاسم
الاشتقاق من علم ما ورثتموه واما ان يكون ذلك تهيأ لكم من طريق الاتفاق وقد علمتم
ان اول شان المحاذات ان ام جعفر امرت الرحالين ان يزيدوا في سير المحنية التي كانت
عليها وخافت فوت الرشيد فلما حركت مشت ضروبا من المشي وضروبا من المرفوع فجرت
خلال ذلك ووافقت امراة تحسن الاختبار وتفهم الامور فوجدت لذلك المحمل راحة
ومع الراحة لذة فامرتهم ان يسيروا بها تلك السيرة فما زالوا يقربون ويبعدون ويخطئون
ويصيبون وهي في كل ذلك تصوبهم وتخطئهم على قدر ما عرفت حتى شدوا من معرفة
ذلك شدوا ثم الهاهم فرغتهم لا تمام ذلك حتى تم واستوى وكذلك لا يخلو جميع امركم من
ان يكون اتفاقا او اتباع اثر ثم رجع القول بنا الى الترغيب في اصطناع الكتاب والاحتجاج
على من ذري على واضع الكتب فاقول ان من شكر النعمة في المعرفة بمغاوي الناس ومراشدهم
ومضارهم ومنافعهم ان يحتمل ثقل مؤنتهم في تقويمهم وان يتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل
ما يزدى اليهم فلن يصان العلم بمثل بذله ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره على ان قراءة
الكتب ابلغ في ارشادهم من تلاقيهم اذ كان مع التلاقي يشتد التصنع ويكثر التظالم
وتفرط العصبية وتقوى الحمية وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة وشهوة المباهات
والرياسة مع الاستحياء من الرجوع والانفة من الخضوع وعن جميع ذلك تحدث الضغاين
ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة امتنعت من التعرف
وعميت عن موضع الدلالة وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة
لان المتوحد بدرسها والمنفرد لفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله وقد عدم من له يباهي
ومن اجله يغالب والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ويرجح قلمه على لسانه بامور
منها ان الكتاب يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ولا يوجد مع كل زمان على تفاوت
ما بين الاعصار وتباعد ما بين الامصار وذلك امر يستحيل في واضع الكتاب والمنازع في
المسيلة والجواب ومناقلة اللسان وهدايته لا يجوز ان مجلس صاحبه ومبلغ صوته وقد يذهب
الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى اثره ولولا ما درست لنا الاوايل في كتبها وخلدت

مجيء

من عجيب حكمتها ودونت من انواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق
كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد خس حظنا من الحكمة
وضعف سببنا الى المعرفة ولو الجئنا الى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى عادتنا لما تدركه
حواسنا وتشاهده نفوسنا لقد قلت المعرفة وقصرت الهمة وانتقضت المنة وعاد الراي
عقيما والخاطر فاسدا ولكل الحد وتبلد العقل واكثر من كتبهم نفعا واشرف منها خطرا واحسن
موقعا كتب الله التي فيها الهدى والرحمة والاخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة
وما زالت كتب الله في الالواح والصحف والمهارق والمصاحف قال الله عز وجل الم ذلك
الكتاب وقال ما فرطنا في الكتاب من شي ويقال لاهل التوراة والانجيل اهل الكتاب وينبغي
ان يكون سبيلنا في من بعدنا كسبيل من قبلنا فينا على انا قد وجدنا من العبرة اكثر مما وجدوا
كما ان من بعدنا يجد من العبرة اكثر مما وجدنا فما ينتظر العالم باظهار ما عنده من العلم وما
يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد امكن القول وصلح الدهر وخوى نجم التقية وهبت
ريح العلماء وكسد العي والجهل وقامت سوق البيان والعلم والانسان لا يجد في كل حين
انسانا يدربه ويقوم ما يثقفه والصبر على افهام الريض شديد وصرف النفس على مغالبة
العالم اشد منه والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيدا وبما يحتاج اليه قايما وما اكثر من فرط
في التعلم ايام خموله وايام حداثة سنه ولولا جياد الكتب وحسنها ومبينها ومختصرها
لما تحركت هممهم هولاء لطلب العلم ونازعت اليه حب الادب وانفت من حال الجهل
وان تكون في غمار الحشو ولدخل على هولاء من الخلل والمضرة ومن الجهل وسوء الحال ما عسى الا
يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تفقهوا
قبل ان تسودوا وقد تجد الرجل يطلب العلم من الاثار وتاويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين
عاما وهو لا يعد فقيها ولا يجعل قاضيا فما هو الا ان ينظر في كتب ابي حنيفة واشباه ابي حنيفة
ويحفظ كتاب الشروط في مقدار سنة او سنتين حتى تمر بابه فتظن انه باب بعض
العمال وبالحري الا يمر عليه من الايام الا اليسير حتى يصير حاكما على مصر من الامصار
او بلد من البلدان وينبغي لمن كتب كتابا الا يكتبه الا على ان الناس كلهم اعداء له

وكلهم عالم بالامور وكلهم متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه يغث ويختمر ولا يثق
بالرأي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجبا فاذا سكنت الطبيعة وهدات الحركة وتراجعت
الاخلاط وعادت النفس وافرة اعاد النظر فيه وتوقف عند فصوله توقف من يكون
وزن طمعه في السلامة انقص من وزن خوفه من العيب ويتفهم معنى قول الشاعر

ان الحديث تغر القوم خلوته حتى يلج بهم عي واكثار ويقف عند قولهم كل مجرب الخلاسية

فيخاف ان يعتريه ما اعترى من اجرى فرسه وحده او خلا بعلمه عند فقد خصمه واهل التمييز
من اهل صناعته وليعلم ان صاحب العلم يعتريه ما يعتري المودب عند ضربه وعقابه فما
اكثر من يعزم على خمسة اسواط فيضرب ماية لانه ابتدا الضرب وهو ساكن الطباع فاداه
السكون ان الصواب في الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فاشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه
فاراه الغضب ان الراي في الاكثار وكذلك صاحب العلم فما اكثر من يبتدي الكتاب وهو يريد
مقدار سطرين فيكتب عشرة والحفظ مع الاقلال امكن ومع الاكثار ابعد واعلم ان العاقل
ان لم يكن بالمتتبع فكثيرا ما يعتريه من ولده ان يحسن في عينه منه المقبح في عين غيره فليعلم
ان لفظه اقرب اليه نسبا من ابنه وحركته امس به رحما من ولده لان حركته شي احدثه من
نفسه وبدأت من عين جوهره ومنه فصلت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخطة يتمخطها
والنخامة يقذفها ولا سواء اخراجك من جرمك شيئا لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى
كانت منك ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمته

وليس الكتاب الى شي احوج منه الى افهام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه الي
الروية ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ويحطه عن غريب
الاعراب ووحشي الكلام وليس له ان يهذبه جدا وينقحه ويصفيه ويروقه حتى
لا ينطق الا بالب وبالسر وباللفظ الذي قد حذف فضوله واسقط زوايده حتى عاد خالصا
لا شوب فيه فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا بان يجدد لهم افهاما وتكرارا لان الناس
كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت افهامهم لا تزيد على عادتهم الا بان تعكس عليها
وتوخذ منها الا ترى ان كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قراته على جميع خطبا

الامصار وبلغاء الاعراب لما فهموا اكثره وفي كتاب اقليدس كلام يدور وهو عربي
وقد صفي ولو سمعه بعض الخطباء لما فهمه الا بان يفهمه من يريد تعليمه لانه يحتاج
الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام
قال معوية بن ابي سفيان لصحار العبدي ما الايجاز قال ان تجيب فلا تبطي وتقول فلا
تخطي قال معوية او كذلك تقول قال صحار اقلني يا امير المومنين لا تخطي ولا تبطي فلو ان
سايلا سالك عن الايجاز فقلت لا تخطي ولا تبطي وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرف
بالبديهة وعند اول وهلة ان قولك لا تخطي ولا تبطي متضمن بالقول وقولك لا تبطي
متضمن بالجواب وهذا حديث كما ترى قد ارتووه ورضوه ولو ان قايلا قال لبعضنا ما
الايجاز لظننت انه يقول الاختصار والايجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ
قد يكون الباب من الكلام من اتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد اوجز وكذلك الاطالة
وانما ينبغي ان يحذف بقدر ما لا يكون سببا لاغلاقه ولا لترداده وهو يكتفي من الافهام
بشطره فما فضل عن المقدار فهو الخطل ٥ وقلت لابي الحسن الاخفش انت اعلم الناس
بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها وما بالك تقدم
بعض العويص على بعض وتوخر بعض المفهوم قال انا رجل لم اضع كتبي هذه لله وليست من
كتب الدين ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه قلت حاجتهم الي فيها وانما كانت غايتي
المنالة فانا اضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا الى التماس فهم ما لم يفهموا
وانا قد كسبت في هذا التدبير اذ كنت الى التكسب ذهبت ولكن ما بال ابراهيم النظام
وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ثم ياخذها مثلي في موافقته وحسن نظره
وشدة عنايته فلا يفهم اكثرها واقول لو ان يوسف السمتي كتب هذه الشروط ايام
جلس سليمان بن ربيعة شهرين للقضاء فلم يتقدم اليه رجلان والقلوب سليمة
والحقوق على اهلها موفرة لكان ذلك خطاء ولغوا ولو كتب في دهره شروط سلمان
لكان ذلك عوارة ونقصا وجهلا بالسياسة وبما يصلح في كل دهر ووجدنا الناس
اذا خطبوا في صلح بين العشاير اطالوا واذا انشدوا الشعر بين السماطين في مديح

الملوك اطالوا وللاطالة موضع ولبس ذلك بخطل وللايجاز موضع وليس ذلك من عجز
ولو اني اتكل على انك لا تمل باب القول في البعير حتى تخرج الى الفيل وفي الذرة حتى
تخرج الى البعوضة وفي العقرب حتى تخرج الى الحية وفي الرجل حتى تخرج الى المرأة
وفي الذبان والنحل حتى تخرج الى الغربان والعقبان وفي الكلب حتى تخرج الى الديك
وفي الذيب حتى تخرج الى الضبع وفي الظلف حتى تخرج الى الحافر وفي الحافر حتى
تخرج الى الخف وفي الخف حتى تخرج الى البرثن وفي البرثن حتى تخرج الى المخلب وكذلك
القول في الطير وعامة الاصناف فرايت ان جملة الكتاب وان كثر عدد ورقه ان ذلك
ليس مما يمل ويعتد علي فيه بالاطالة لانه وان كان كتابا واحدا فانه كتب كثيرة وكل
مصحف منها فوام على حدته فان اراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الاول حتى
يهجم على الثاني ولا الثاني حتى يهجم على الثالث فهو ابدا مستفيد ومستطرف وبعضه يكون
جماما للبعض ولا يزال نشاطه زايدا ومتى خرج من آي القرآن صار الى اثر ومتى خرج من
اثر صار الى خبر ثم يخرج من الخبر الى شعر ومن الشعر الى نوادر ومن النوادر الى حكم عقلية
ومقاييس سداد ثم لا يترك هذا الباب ولعله ان يكون اثقل والملال اليه اسرع حتى
يفضي به الى مزح وفكاهة والى سخف وخرافة ولست اراه سخفا اذ كنت استعملت
سيرة الحكماء وادب العلماء ورايناالله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والاعراب
اخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل او حكى عنهم
جعله مبسوطا وزاد في الكلام فاصوب العمل اتباع اثار العلماء والاحتذاء على مثال الحكماء
والاخذ بما عليه الجماعة   قال ابن يسير في صفة الكتب في كلمة له

اقبلت اهرب لا آلو مباعدة ٭ في الارض منهم فلم يحصني الهرب ٭ بقصر اوس فما والت خنادقه
فلا النواويس فالماخور فالخرب ٭ فايما موئل منها اعتصمت به ٭ فمن وراي حثيثا منهم الطلب ٭
لما رايت باني لست معجزهم ٭ فوتا ولا هربا قربت احتجب ٭ فصرت في البيت مسرورا به جذلا
جار البراءة لا شكوى ولا شغب ٭ فردا يحدثني الموتى وينطق لي ٭ عن علم ما غاب عني منهم الكتب ٭
هم مونسون والاف غنيت بهم ٭ فليس لي في انيس غيرهم ارب ٭ لله من جلساء لا جليسهم ٭

ولا عشيرهم للسوء مرتقب ٭ لا بادرات الاذى يخشى رفيقهم ٭ ولا يلاقيه منهم منطق ذرب ٭
ابقوا لنا حكما تبقى منافعها ٭ اخرى الليالي على الايام وانشعبوا ٭ فايما ادب منهم مددت له
يدي فهو قريب من يدي كثب ٭ ان شيت من محكم الاثار يرفعها ٭ الى النبي ثقات خيرة نجب ٭
او شيت من عرب علما باولهم ٭ في الجاهلية انبتني بها العرب ٭ او شيت من سير الاملاك من عجم
تنبي وتخبر كيف الراي والادب ٭ حتى كاني قد شاهدت عصرهم ٭ وقد مضت دونه من دهرهم حقب ٭
يا قايلا قصرت في العلم نهيته ٭ امسى الى الجهل فيما قال ينتسب ٭ ان الاوايل قد بانوا بعلمهم
خلاف قولك ما بانوا ولا ذهبوا ٭ ما مات منا امرؤ ابقى لنا ادبا ٭ يكون منه اذا ما مات يكتسب ٭

وقال ابو وجزة وهو يصف صحيفة كتب له فيها بستين وسقا
راحت بستين وسقا في حقيبتها ٭ ما حملت حملها الادنى ولا السددا ٭
ما ان رايت قلوصا قبلها حملت ٭ ستين وسقا ولا جابت بها بلدا ٭

وقال الراجز ٭ تعلما ان الدواة والقلم ٭ تبقى ويفنى حادث الدهر الغنم ٭
يقول كتابك الذي تكتبه علي يبقى فاخذ في به وتذهب غنمي فيما يذهب ومما يدل على نفع
الكتاب انه لولا الكتاب لم يجز ان يعلم اهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان
بالبصرة وما حدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة فيعلمها
اهل البصرة قبل المساء وذلك مشهود في الحمام الهدي اذا جعلت بردا قال الله عز وجل
وذكر سليمان وملكه الذي لم يوت احدا مثله فقال وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغايبين الى قوله او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين فلم يلبث ان
قال الهدهد جيتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شي
ولها عرش عظيم قال سليمان اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم وقد كان عنده من يبلغ
الرسالة على تمامها من عفريت ومن بعض من عنده علم من الكتاب فراى ان الكتاب
ابهى وانبل واكرم وافخم من الرسالة على ظهر لسان وان احاط بجميع ما في الكتاب ٭
وقالت ملكة سبا يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب
وقد يريد بعض الجلة من الكتاب وبعض الادباء والحكماء ان يدعو بعض من يجري
مجراه في سلطان او ادب الى مادبة او ندام او خروج الى متنزه او بعض ما يشبه

ذلك فلو شاء ان يبلغه الرسول ارادته ومعناه لاصاب من يحسن الاداء ويصدق
في البلاغ فيرى ان الكتاب في ذلك اسرى وانفع وانبه وابلغ في كرامة المدعو وفي
تعظيم الرسالة ولو شاء النبي صلى الله عليه وسلم الا يكتب الكتب الى كسرى وقيصر والنجاشي
والمقوقس والى بني الجلندي والى العباهلة من حمير والى هوذة ابن علي والى الملوك العظما
والسادة النجباء لفعل ولوجد المبلغ المعصوم من الخطا والتبديل ولكنه صلى الله عليه
وسلم علم ان الكتاب اشبه بتلك الحال واليق بتلك المراتب وابلغ في تعظم ما حواه الكتاب ولو
شاء الله ان يجعل البشارات بالمرسلين على الالسنة ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه تعالى
وعز علم ان ذلك اتم واكمل واجمع وانبل وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان او ادب
او ديانة الى بعض من يشاكله ويجري مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه وربما لم
يرض بذلك حتى يعنونه ويعظمه قال الله عز وجل ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى فذكر صحف موسى الموجودة وصحف ابراهيم البائدة المعروفة ليعرف الناس مقدار
النفع والمصلحة في الكتب قالوا وكانت فلاسفة اليونانية تورث البنات العين وتورث البنين
الدين وكانت تصل العجز بالكفاية والمهنة بالكلفة وكانت تقول لا تورث الابن من المال الا
ما يكون عونا له على طلب العلم واغذوه بحلاوة العلم واطبعوه على تعظيم الحكمة ليصير جمع
العلم اغلب عليه من جمع المال وليرى انه العدة والعتاد وانه اكرم مستفاد وكانوا يقولون
لا تورث الابن من المال اكثر ما يسد الخلة ويكون عونا على ترك الفضول والا كان لا بد من
الفضول فانه ان كان فاسدا زادت تلك الفضول في فساده وان كان صالحا فيما ورثتموه من
العلم وبقيتم له من الكفاية ما يكسبه المال فان الحال افضل من المال لان المال لم يزل تابعا
للحال وقد لا يتبع الحال المال وصاحب الفضول على شفا ضياع مع تمام الحنكة واجتماع القوة
فما ظنكم بها مع غرارة الحداثة وسوء الاعتبار وقلة التجربة وكانوا يقولون خير ميراث ما
اكسبك الاركان الاربعة واحاط باصول المنفعة وعجل لك حلاوة المحبة وبقى لك الاحدوثة
الحسنة فاعطاك عاجل الخير وآجله وظاهره وباطنه وليس يجمع ذلك الا كرام الكتب
النفيسة المشتملة على ينابيع الحكمة والعلم والجامعة لكنوز الادب ومعرفة الصناعات
وفوايد الارفاق وحجج الدين ونصيحته وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتثلج

الصدور

الصدور ويعود القلب معمورا والعز راسخا والامل فسيحا وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل
وتشحذه وتداويه وتصلحه وتهذبه وتنفي الخبث عنه وتفيدك العلم وتصادق بينك وبين
الحجة وتعودك الاخذ بالثقة وتجلب الحال وتكسب المال ووراثة الكتب الشريفة والابواب
الرفيعة منبهة للمورث وكنز عند الوارث الا انه كنز لا تجب فيه زكاة ولا حق سلطان
واذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما اخذ منها كان ذلك الكنز مايعا يزيده ما اخذ منه ولا يزال
به الموروث مذكورا في الحكماء ومنوها باسمه في الاسماء واماما متبوعا وعلما منصوبا ولا
يزال به الوارث محفوظا ومن اجله محبوبا ممنوعا ولا تزال تلك المحبة نامية ما كانت تلك الفوايد
قايمة ولن تزال فوايدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة ولن يزال من تعظيمها في القلوب
اثر ما كان من فوايدها على الناس اثر وقالوا متى اورثته كتابا واودعته علما فقد ورثته
ما يغل ولا يستغل وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج الى اثارة ولا الى سقي ولا الى
سجال انهار ولا الى شرط ولا تحتاج الى اكار ولا الى اباد وليس عليها عشر ولا
للسلطان عليها خرج وسواء افدته علما او ورثته آلة علم وسواء دفعت اليه الكفاية
او ما يجلب الكفاية وانما تجري الامور وتتصرف الافعال على قدر الامكان فمن لم يقدر
على دفع السبب لم يجب عليه احضار المسبب فكتب الآباء تحبيب للاحياء ومحيا لذكر
الموتى قالوا ومتى كان الاب جامعا بارعا وكانت مواريثه كتبا بارعة وادابا جامعة
كان الولد اجدر ان يرى التعلم حظا واخلق ان يجري من الادب على طريق قد نهج
له ومنهاج قد وطئ له واحرى ان يسري اليه عرق من نجله وسقي من غرسه واجدر
ان يجعل بدل الطلب للكتب النظر في الكتب ولا ياتي عليه من الايام مقدار الشغل بجمع
الكتب والاختلاف في سماع العلم الا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وانما تفسد الكفاية
من تمت ادابه وتوافت اليه اسبابه فاما الحدث الغرير والمنقوص الفقير فخير مواريثه الكفاية
الى ان يبلغ التمام ويكمل للطلب فخير ميراث كتب علم وخير المورثين من اورث ما يجمع ولا
يفرق ويبصر ولا يعمي ويعطي ولا ياخذ ويجود بالكل دون البعض ويدع لك الكنز الذي
ليس للسلطان فيه حق والركاز الذي ليس للفقراء فيه نصيب والنعمة التي ليس للحاسد

فيها حيلة ولا للصوص فيها رغبة وليس للخصم عليك فيها حجة ولا على الجار منها مؤنة

واما ذيمقراط فانه قال ينبغي ان تعرف انه لا بد من ان يكون لكل كتاب علم وضعه
احد من العلماء ثمانية اوجه منها الهمة والمنفعة والنسبة والصحة والصنف والتاليف
والاسناد والتدبير فاولها ان تكون لصاحبها همة وان يكون فيما وضع منفعة وان تكون
له نسبة ينسب اليها وان يكون صحيحا وان يكون على صنف من اصناف الكتب معروفا
وان يكون مؤلفا من اجزاء جميلة وان يكون مسندا الى باب من ابواب الحكمة وان يكون
له تدبير موصوف فذكر ان بقراط قد جمع هذه الثمانية الاوجه في هذا الكتاب وهو كتابه
الذي يسمى ابوريشموا **باب** وقولك ما يبلغ من قدر الكلب مع لوم اصله وخبث طبعه
وسقوط قدره ومهانة نفسه ومع قلة خيره وكثرة شره واجتماع الامم كلها على استسقاطه
واستسفاله ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ومع حاله التي يعرف بها من العجز عن صولة
السباع واقدارها ومع تمنعها وشدتها وتوحشها وقلة اسماحها عن مسامحة البهايم
وموادعتها والتمكين من اقامة مصلحتها والانتفاع بها اذا لم يكن من طبعها
دفع السباع عن انفسها ولا الاحتيال لمعاشها ولا المعرفة بالمواضع الحريزة
من المواضع المخوفة ولان الكلب ليس بسبع تام ولا بهيمة تامة حتى كانه من الخلق
المركب ذي الطبايع الملفقة والاخلاط المختلفة كالبغل المتلون في اخلاقه الكثير
العيوب المتولدة عن مزاجه وشر الطبايع ما تجاذبته الاعراق المتضادة والاخلاق
المتفاوتة والعناصر المتباعدة كالراعبي من الحمام الذي ذهبت عنه هداية الحمام
وشكل هديره وسرعة طيرانه وبطل عنه عمر الورشان وقوة جناحه وشدة عصبه
وحسن صوته وشجا لحونه وجودة اطرابه واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب وفي
الراعبي انه مسرول مثقل وحدث له عظم بدن وثقل وزن لم يكن لابيه ولا لامه
وكذلك البغل خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى نتاجها
وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر فلو كان
البغل عقيما والبغلة عاقرا لكان ذلك زيد في قوتهما واتم لشدتهما فمع البغل من الشبق

والانغاظ

والانغاظ ما ليس مع ابيه ومع البغلة من الشرس وطلب السفاد ما ليس مع امها وذلك
كله قدح في القوة ونقص للمنة وخرج غرموله اعظم من غراميل اعمامه واخواله فترك
شبههما ونزع الى شيء ليس له في الارض اصل وخرج اطول عمرا من ابويه واصبر على
الاثقال من طرفيه كابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال فانه يكون اخبث نتاجا
من البغل وافسد اعراقا من السمع واكثر عيوبا من العسبار ومن كل خلق اذا تركب من
ضدين ومن كل شجرة مطعمة بخلاف وليس بعتري مثل ذلك الخلاسي من الدجاج ولا الورداني
من الحمام وكل ضعف دخل على الخلقة وكل دقة عرضت للحيوان فعلى قدر جنسه
وعلى وزن مقداره وتمكنه يظهر العجز والعيب ٥ وزعم الاصمعي انه لم يسبق قط
فرس اهضم وقال محمد بن سالم لم يسبق الحلبة ابلق قط ولا بلقاء والهداية في الحمام
والقوة على بعد الغاية انما هي للمصمتة من الخضر وزعموا ان الشياة كلها ضعف ونقص
والشية كل لون دخل على لون وقال الله عز وجل انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض
ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها ٥ وزعم عثمان بن الحكم ان ابن المذكرة من النساء
ياخذ اسواء خصال ابويه فيجتمع فيه عظام الدواهي واعيان المساوي وانه اذا خرج
كذلك لم ينجع فيه ادب ولم يطمع في علاجه طبيب وانه راى في دور ثقيف فتى اجتمعت
فيه هذه الخصال فما كان في الارض قوم الا وهم يتحدثون عنه بشيء يصغر في جنبه كل ذنب
كان ينسب الى غيره وزعمت ان الكلب في ذلك كالخنثى الذي لا هو ذكر ولا هو انثى
او كالخصي الذي لما قطع منه ما صار به الذكر فحلا خرج من حد كمال الذكر لفقدان الذكر
ولم يكمل لان يصير انثى للغريزة الاصلية وبقية الجوهرية وزعمت انه يصير كالنبيذ الذي
يفسده افراط الحر فيخرجه من حد النبيذ ولا يدخله في حد الخل او كالخل الذي يفسده افراط
الحر فيخرجه من حد الخل ولا يدخله في حد النبيذ ٥ قال مرداس بن حرام ٥
سقينا عقالا بالثوية شربة ٥ فالت بجب الكاهلي عقال ٥ فقلت اصطبحها يا عقال فانما ٥
هي الخمر خيلنا لها بخيال ٥ رميت بام الخمر حبة قلبه ٥ فلم ينتعش منها ثلاث ليال ٥
فجعل الخمر ام الخل لان الخل قد يتولد منها ولا يتولد عن الخل الخمر ٥ وقال سعيد بن وهب

هلّا وانت بماء وجهك تشتهى ٭ رود الشباب نقي شعر العارض ٭ فالان حين بدت بخدك لحية ٭
ذهبت بملحك مثل كف القابض ٭ مثل السلافة عاد خمر عصيرها ٭ بعد اللذاذة خل خمر حامض ٭
ويصير ايضا كالشعر الوسط والغناء الوسط والنادرة الفاترة التى لم تخرج من الحر الي
البرد فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الحر فتضحك السن باب ذكر ما يعترى الانسان
بعد الخصا وكيف كان قبل الخصا قالوا كل ذى ريح منتنة وكل ذى ذفر وصنان كريه المشمّة كالتيس
وما اشبهه فانه متى خصي نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان فان الخصيّ يعود انتن
وصنانه احدّ ويعم ايضا خبث العرق ساير جسده حتى لتوجد لاجسادهم رايحة لا تكون لغيرهم
فهذا هذا وكل شي من الحيوان يخصى فان عظمه يدقّ فاذا دق عظمه استرخى لحمه وتبرّا من عظمه
وعاد رخصا رطبا بعد ان كان عضلا صلبا والانسان اذا خصي طال عظمه وعرض فخالف ايضا
جميع الحيوان من هذا الوجه ويعرض لهم ايضا طول اقدام والتواء فى اصابع الرجل وذلك عن اول
طعنهم فى السنّ وتعرض لهم سرعة التغيّر والتبدّل والانقلاب من حدّ الرطوبة والبضاضة وملاسة
الجلد وصفاء اللون ورقّته وكثرة الماء وبريقه الى التكرّش والكمود والى التقبّض والتخدّد والي
الهزال وسوء الحال فهذا الباب يعرض للخصيان ويعرض ايضا لبنات الاكرة من اهل الزرع
والنخل لانك ترى الخصيّ وكأن السيوف تلمع فى لونه وكانه مرآة صينيّة وكانه وذيلة مجلوّة
وكانه جمّارة وكانه قضيب فضّة قد مسّه ذهب وكان فى وجناته الورد ثم لا يلبث كذلك
الا سنيّات يسيرة حتى يذهب ذلك ذهابا لا يعود وان كان ذا خصب وفى عيش رغد وفى فراغ
بال وقلّة نصب وكان من ظريف ما ياتى به عبد الاعلى القاص قوله فى الخصيّ وكان لغلبة
السلامة عليه يتوهم عليه الغفلة وهو الذى ذكر الفقير مرّة فى قصصه فقال الفقير مرقته
سلقة ورداوه علقة وخردقه فلقة وسمكته شلقة قال ثم ذكر الخصيّ فقال اذا قطعت خصيته
قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتّسعت فقحته وكثرت دمعته
٭ وقالوا الخصيّ لا يصلح كما لا تصلح المرأة واذا قطع العضو الذى كان به فحلا تاما اخرجه
ذلك من اكثر المعانى التى للفحول ومن صفاتهم واذا اخرجه من ذلك لكما لصيّره كالبغل الذى
ليس هو حمار ولا فرس وتصير اخلاقه مقسومة على طباع الذكر والانثى وربما لم

يخلص له خلق ولم يصف حتى يصير كالخلق من اخلاق الرجال او يلحق بمثله من اخلاق
النساء ولكنه يقع ممزوجا مركبا فيخرج الى ان يكون مذبذبا لا الى هولاء ولا الى هولاء
وربما خرجت النتيجة وما يولّده التركيب من مقدار معانى الابوين كما يجوز عمر البغل عمر ابويه
وكذلك ما عددنا فى صدر هذا الكلام ٭ وقالوا وللانسان قوى معروفة المقادير
وشهوات مصروفة فى وجوه حاجات النفوس مقسومة عليها لا يجوز تعطيلها
وترك استعمالها ما دامت النفوس قايمة بطبايعها ومزاجاتها وحاجاتها وباب المنكح من
اكبرها واقواها واعمّها ويدخل فى باب المنكح ما فى طبايعهم من طلب الولد وهو باب من
ابوابهم عظيم فمنهم من يطلبه للكثرة والنصرة والى الحاجة الى العدد والقوّة ولذلك استلذت
العرب الرجال واعضت على حسب المولود على فراشه وقد احاط علمه انه من الزوج الاول
ولذلك قال الاشهب بن رميله ٭ قال الاقارب لا تغررك كثرتنا ٭ واغن نفسك عنا ايها الرجل
على بنيّ يشدّ الله اعضدهم ٭ والنبع ينبت قضبانا فيكتهل ٭ وقال الآخر
ان بنيّ صبية صيفيون ٭ افلح من كان له ربعيون ٭ يشكون كما ترى صغر البنين وضعف
الاسر وما اكثر ما يطلب الرجل الولد نفاسة بماله على بنى عمّه او لاشفاقه من ان تليه القضاة
وترتع فيه الامناء فيصير ملكا للاولياء ويقضى به القاضى الذمام ويصطنع به الرجال
وربما هم الرجل بطلب الولد لبقاء الذكر والرغبة فى العقب او على جهة طلب الثواب في
مباهات المشركين والزيادة فى عدد المسلمين او للكسب والكفاية وللمدافعة والنصرة
وللامتناع والانسة ولما طبع الله عليه بنى آدم من حب الذرية وكثرة النسل كما طبع الله
الحمام والسنانير وان كان اذا جاءه الولد زاد فى همّه ونصبه وبخله وجبنه وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم الولد مجبنة مبخلة محزنة فيحتمل فى الولد المؤن المعروفة والهموم
الموجودة لغير شى قصد له وليس فى ذلك اكثر من طلب الطباع ونزاع النفس الي
ذلك وذكر ابو الاخزر الحماني عير العانة بخلاف ما عليه اصحاب الزواج من الحيوان
فقال عند ذكر سفاده ٭ لا يبتغي النسل ولا بالعايل ٭ لان الانسان من بين الحيوان
المزاوج اذا كره الولد عزل والمزاوج من اصناف الحيوان انما غايتها طلب الذريه

والولد كذلك سخرت وله هيئت ولما اراد الله من اتمام حوايج الانسان والحمار لا
يطلب الولد فيكون افراغه في الاتان لذلك ولولا ذلك كان لا يريد الولد يعزل كما يعزل
الانسان غير ان غايته قضاء الشهوة فقط وليس يخطر على باله ان ذلك انما يخلق منه
شيء ٥ وعامة انفاق الرجال وكسبهم وهممهم ونصبهم وتحسينهم لما يملكون انما هو
مصروف الى النساء والاسباب المتعلقات بالنساء ولو لم يكن الا التقمص والتطيب
والتطرز والتخضب والذي يعد لها من الطيب والصبغ والحلي والكسا والفرش
والآنية لكان في ذلك ما كفى ولو لم يكن له الا الاهتمام بحفظها وحراستها وخوف
العار من جنايتها والجناية عليها لكان في ذلك المؤنة العظيمة والمشقة الشديدة فاذا ابطل
العضو الذي من اجله يكون اشتغال النفس بالاصناف الكثيرة من اللذة والالم فاضطر
يعلم ان تلك القوى لم تبطل من التركيب ولم تعدمها الخلقة وانما سد دونها وسد وادخل
عليها حجاب فلا بد لها اذ كانت موجودة من عمل لان كل جوهر لا يعدم الا بعدم ذاته فاذا
صرفت من وجه غاصت من وجه ولا سيما اذا جمت ونازعت ولا بد اذا ذخرت وعبت
وطغت وطمت من ان تفيض او تفتح لنفسها بابا وليس بعد المنكح باب له موقع كموقع
المطعم فاجتمعت تلك القوى التي كانت للمنكح ولما يشتمل عليه باب المنكح الى القوة التي
عند المطعم فاذا اجتمعت القوتان في باب واحد كان ابلغ في حكمه وابعد غاية في سبيله
ولذلك صار الخصي آكل من اخيه لامه وابيه وعلى قدر الاستمراء يكون هضمه وعلى قدر
حاجة طبعه وحركة نفسه والحرارة المتولدة عن الحركة يكون الاستمراء لان الشهوة من
امتن ابواب الاستمراء والحركة من اعظم اسباب الحرارة ودوام الاكل في النساء
والاناث اعم منه في الذكورة وكذلك الحجر دون الفرس وكذلك الرمكة دون البرذون
وكذلك النعجة دون الكبش وكذلك النساء في البيوت دون الرجال وما اشك
ان الرجل ياكل في المجلس الواحد ما لا تاكله المرأة ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتزيد
عليه مقطعا غير منظوم وهي بدوام ذلك منها يكون حاصل طعامها اكثر وهن يناسبن
الصبيان في هذا الوجه لان طبع الصبي سريع الطلب سريع الهضم قصير مدة

الاكل قليل مقدار المطعم فالمرأة كثرة معاودتها ثم تبين بكثرة مقدار الماكول فيصير
للخصي نصيبان نصيبه من شبه النساء ثم اجتماع قوى شهوتيه في باب واحد اعني
شهوة المنكح التي تحولت الى شهوة المطعم ٥ قال وقالوا لبعض الاعراب اي شيء اكل
قال برذونة رغوث ولشدة نهم الاناث صارت اللبوة اشد عراما وانزق اذا طالبت
الانسان لتاكله ولذلك صارت اناث الاجناس الصايدة كالاناث من الكلاب وما
اشبه ذلك احرص ما تكون عند ارتضاع جرايها من اطبايها حتى صار ذلك سببا منها
للحرص والنهم في كل حال ويعرض له عند قطع ذلك العضو تغير الصوت حتى لا يخفى
على من سمعه من غير ان يرى صاحبه انه خصي وان كان الذي يخاطبه ويناقله الكلام
اخاه وابن عمه او بعض اترابه من فحولة جنسه وهذا المعنى يعرض لخصيان الصقالبة
اكثر مما يعرض للخراسانية وللسودان من السند والحبشان وما اقل من تجده ناقصا
عن هذا المقدار الا وله بيضة او عرق فليس يحتاج في صحة تمييزه ولا الحذقة الحسن
فيه الى حذق بقيافة بل تجد ذلك شايعا في طباع السفلة والغثراء وفي اجناس الصبيان
والنساء ومتى خصي قبل الانبات لم ينبت واذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في
مواضع الشعر تساقط كله الا شعر العانة فانه وان نقص من غلظه ومقدار عدده فان
الباقي كثير ولا يعرض لشعر الراس لان شعر الراس والحاجبين واشفار العينين
يكون مع الولادة وانما يعرض لما يتولد من فضول البدن ٥ وقد زعم ناس ان
شعر الراس خلاف حكم شعر الاشفار والحاجبين وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب
القول في الشعر وهذه الخصال من اماكن الشعر للنساء والخصيان والفحولة فيها
سواء وانما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادث الاصول الزايد في النبات الذي
ان المرأة لا تصلع فناسبها الخصي من هذا الوجه فان عرض له عارض فانما هو من
القرع لا من جهة النزع والجلح والجله والصلع وكذلك النساء في جميع ذلك والمرأة
ربما كان في قصاص مقاديم شعر راسها ارتفاع وليس ذلك بنزع ولا جلح اذا لم يكن
حادثا يحدثه الطعن في السن وتكون مقاطع شعر راسه ومنتهى حدود قصاصه

كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قصاصها وليس شعره كلما دنى من موضع الملامسة والاغماد
يكون ارق حتى يرق ويضمحل ولكنه ينبت في مقدار ذلك الجلد على نبات واحد ثم
ينقطع عند منتهاه انقطاعا واحدا والمرأة ربما كانت سبلاء ويكون لها شعرات
رقيقة زغبية كالعذار موصولة باصداغها ولا يعرض ذلك للخصي الا من علة في
الخصاء ولا يرى ابدا بعد مقطع الشعر من صدغيه شيء من الشعر لا من رقيقه
ولا من كثيفه وقد توجد المرأة ذات لحية وقد رايت ذلك واكثر ما رايته في عجايز
الدهاقين وكذلك العنفقة والشارب وقد يعتريها ذلك وليست في راي العين
خنثى بل تجدها انثى تامة الا ان تكون لم تضرب في ذلك بالنصيب الذي يقوى
حتى يظهر في غير ذلك المكان وليس يعرض ذلك للخصي ○ وقد ذكر اهل بغداد
ان لابنة من بنات محمد بن راشد الخناق لحية وافرة وانها دخلت مع نساء متنقبات
الى بعض الاعراس لترى العرس وجلوة العروس ففطنت لها امرأة فصاحت
رجل والله فاحال الخدم والنساء عليها بالضرب فلم يكن لها حيلة الا الكشف عن
فرجها فنزعن عنها وقد كادت تموت ويفضل ايضا الخصي المرأة في الاجراد والزعر
بان تجد المرأة زبا الذراعين والساقين وتجد ركب المرأة في الشعر كانه عانة الرجل و
يعرض لها الشعر في ابطها وغير ذلك ولا يعرض للخصي ويعرض للديك اذا خصي
غضون في عرفه ولحيته والخصاء ينقض مبرم القوى ويرخي معاقد العصب ويقرب
من الهرم والبلى ويعرض للخصي ان يشتد وقع رجله على ارض السطح حتى لو
تفقدت وقع قدمه وقدم اخيه الفحل الذي هو اعبل منه لوجدت لوقعه ووطيه شيئا
لا تجده لصاحبه وكان العضو الذي كان يشد توتير النساء ومعالق الوركين ومعالق
العصب لما بطل وذهب الذي كان يمسكه ويرفعه فخف لذلك وقع رجله
صار كالذي لا يتماسك ولا يمسك بعضه بعضا ويعرض له ان اخوين صقليين لام
واب بل لو كان احدهما توام اخيه انه متى خصي احدهما خرج الخصي منهما اجود خدمة
وافطن لابواب المعاطاة والمناولة بما يليق وهو بها اليق وتجده ايضا اذكى عقلا

عند المناولة

عند المناولة والمخاطبة فيختص بذلك كله ويبقى اخوه على غثارة فطرته وعلى غباوة غريزته
وعلى بلهه الصقلبية وعلى سوء فهم العجمية وبلا الانسان لا تكون ابدا الا خرقاء ولا يصير صناعا
ما لم تكن المعرفة ثقافا لها واللسان لا يكون ذاهبا في طرق البيان متصرفا في الالفاظ الا
بعد ان تكون المعرفة متخللة به متنقلة له وواضعة له في مواضع حقوقه وعلى اماكن حظوظه
وموغلة له في الاماكن العميقة ومصرفة له في المواضع المختلفة فاول ما صنع الخصاء بالصقلبي
تذكية عقله وارهاف حده وشحذ طبعه وتحريك نفسه فلما عرف كانت حركة تابعة لمعرفته
وقوته على مقدار ما هيجه فاما نساء الصقالبة وصبيانهم فليس الى تحويل طبايعهم ولا
الى نقل خلقهم الى الفطنة الثاقبة والى الحركة الموزونة والى الخدمة الثابتة الواقعة
بالموافقة سبيل وعلى حسب الجهل يكون الخرق وعلى حسب المعرفة يكون الحذق
هذا جملة القول في نسايهم وعلى انهن لا حظوظ لهن عند الخلوة ولا نفاذ لهن في صناعة
اذ كن قد منعن فهم المعاطاة ومعرفة المناولة ○ والخصيان مع جودة الاذهان وفراهة
طبايعهم في معرفة ابواب الخدمة وفي استواء حالاتهم في باب المعاطاة لم تر احدا
منهم قط نفذ في صناعة تنسب الى بعض الشقة وتضاف الى شيء من الحكمة مما يعرف
بعد الروية والغوص بادامة الفكرة الا ما ذكر من نفاذ ثقف في التحريك للاوتار فانه
كان في ذلك مقدما وبه مذكورا الا ان للخصي من صباه يحسن صنعة الدبوق ويجيد
دعاء الحمام الضواري وما شبهت من صغار الصناعات ○ هذا قولهم فيمن خصي من
الصقالبة ولو كنا نعقول لخصيان خراسان احمد وهم قليل ولذلك لم نات من امرهم
بشيء مشهور وامر مذكور ○ واما السند فلم يكن فيهم ايضا من الخصاء الا النفير
الذي كان خصاهم موسى بن كعب وقد رايت انا بعضهم وزعم لي انه خصا اربعة
منهم هو احدهم ورايت الخصا قد جذبه الى حب الحمام وعمل التكك والهراش بالديوك
وهذا شيء لم يجر منه على عرق وانما قاده اليه قطع ذلك العضو ○ فاما الخصيان من
الحبشان والنوبة واصناف اولئك السودان فان الخصا ياخذ منهم ولا يعطيهم وينقصهم
ولا يزيدهم ويحطهم عن مقادير اخوتهم كما يزيد الصقالبة على مقادير اخوتهم لان

للحبشي متى خصي سقطت نفسه وثقلت حركته وذهب نشاطه ولا بد من ان يعرض
له فساد لانه متى استقصي جبابه لم يتماسك بوله وسلس مخرجه واسترخى المسك له
فان هم لم يستقصوا جبابه فانما يدخل الرجل منزله من له نصف ذلك العضو وعلي
انك لا تجد منهم خصيا ابدا الا وبسرته بجرة ونفخة شنيعه وذلك عيب شديد وهو
ضرب من الفتق مع قبحه في العين وشنعته في الذكر وكل ما قبح في العين فهو مؤلم
وكل ما شنع في النفس فهو موذ وما اكثر ما تجد فيهم الالطع وذلك فاش في باطن
شفاههم ومتى كانت الشفاه هدلا وكانت المشافر منقلبة كان اظهر للطع وهو ضرب
من البرص والبياض الذي يعرض لغراميل الخيل وخصاها ضرب ايضا من البرص
وربما عرض مثل ذلك لحشفة قضيب المختون اما لطبع الحديد واما لقرب عهده بالاحداد
وسقي الماء الا ان ذلك لا يعدو مكانه وكلما عظمت الحشفة انبسط ذلك البياض
على قدر الزيادة فيها وانما ذلك كالبياض الذي يعرض من حرق النار وتنفيطه وكالذي
يعرض للصقالبة من التعالج بالكي وربما اشتد بياضه حتى يفحش ويرديه الا انه
لا يفشو ولا ينتشر الا بقدر ما ينبسط مكانه ويتحول صاحبه رجلا بعد ان كان
صبيا وليس كالذي يعرض من البلغم ومن المرة وبعض البرص يذهب حتى كانه لم يكن
والذي لا يذهب لا يقف بل لا يزال يتفشى ويتسع حتى ربما سلخه ولا يذهب الا ان
يذهب به نبي فيكون ذلك علامته ۝ ومن البهق الابيض ما يكاد يلحق بالبرص ولاكن
الذي هون امره الذي يرون من كثرة برء الناس منه ثم للخصاء يكون على ضروب
فمن ذلك ما يعرض بعد الكبر للاحرار كما يعرض للعبيد وللعرب كما يعرض للعجم كما
خصى بعض عباهلة اليمن علقمة بن سهل الخصي وانما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل حين
وقع على هذا اسم الخصي وكان عبدا صالحا وهو كان جلب الجدل وداعرا الفحلين
الكريمين الى عثمان وكان من نازلتها وهو كان احد الشهود على قدامة بن مظعون
في شرب الخمر وهو الذي قال لعمر اتقبل شهادة الخصي قال اما شهادتك فاقبل
وهو علقمة بن سهل بن عماره فلما سموه الخصي قالوا لعلقمة بن عبدة الفحل وعلقمة

الخصي

الخصي الذي يقول ۝ لن يعدم الباقون قبر ابن جنني ۝ ولن يعدم الميراث مني مواليا ۝
حراص على ما كنت اجمع قبلهم ۝ هنيا لهم جمعي وما كنت واليا ۝ ودليت في زوراء ثمة اعنقوا ۝
لشانهم فلا فرد وفي وشانيا ۝ فاصبح مالي من طريف وتالد ۝ لغيري وكان المال بالامس ماليا ۝
وكما عرض للدلال ونومة الضحى من خصاء عثمان بن حيان والي المدينة لهما بكتاب هشام بن
عبد الملك فمن بني مروان من يدعي ان عامل المدينة صحف لانه راى في الكتاب احص
من قبلك من المخنثين فقراها اخص وذكر الهيثم عن الكاتب الذي تولى قراة ذلك الكتاب
انه قال وكيف تقولون ذلك ولقد كانت للخاء معجمة كانها سهيل فقال اليقطري
وما وجه كتاب هشام في احصاء عدد المخنثين هذا لا معنى له وما كان الكتاب الا بالخاء دون
الحاء وذكر عن مشايخ من اهل المدينة انهم حكوا عنهما انهما قالا الان صرنا نساء بالحق
كان الامر لو كان اليهما لاختارا ان يكونا امراتين قال وذكر انهما خرجا بالخصلتين من الخفا
والتخنث ومن فتور الكلام ولين المفاصل والعظام ومن التفكك والتثني الى مقدار
لم يروا احدا بلغه لا من النساء ولا من مؤنثي الرجال وكما عرض لابي هاشم السنوطي
من اختلاج لحم مذاكيره وخصييه اصابه ذلك في البحر في بعض المغازي فسقطت لحيته
ولقب بالسنوط وخرج بذلك منها وشرها وقال ذات يوم لو كان النخل بعضه لا يحمل
الا الرطب وبعضه لا يحمل الا التمر وبعضه لا يحمل الا المجزع وبعضه لا يحمل الا البسر
وبعضه لا يحمل الا الخلال وكنا متى تناولنا من الشمراخ بسرة خلق الله مكانها بسرتين
لما كان بذلك باس ثم قال استغفر الله لو كنت تمنيت ان يكون بدل نواة التمر زبدة كان
اصوب ومنه ما يعرض من جهة الاوجاع التي تعرض للمذاكير وللخصى حتى ربما
استلخهما طبيب وربما قطع احداهما وربما سقطتا جميعا من تلقاء انفسهما والعوام
يزعمون ان الولد انما يكون من البيضة اليسرى وقد زعم ناس من آل سليمن بن علي
ومواليهم ان ولد داود بن جعفر الخطيب المعتزلي انما ولد له بعد ان نزعت بيضته
اليسرى لامر كان عرض له والخصي الطيان الذي كان في مسجد بن رغبان ولد له
غلام وليس له الا البيضة اليمنى فجاء اشبه به من الذباب بالذباب والغراب بالغراب

ولو ابصره اجهل خلق الله بفراسة وابعدهم من قيافة من مخالطة النخاسين او من
مجالسة الاعراب لعلم انه سلالته وخلاصته لا يحتاج فيه الى مجزز المدلجي ولا الى
ابن كرز الخزاعي ومن اهل الملل من يخصى ابنه ويقفه على بيت العبادة ويجعله
سادنا كصنيع الروم الا انهم لا يحدثون في القضيب حدثا ولا يتعرضون الا للانثيين
كانهم انما كرهوا لاولادهم احبال نسائهم ودواعيهم فقط واما قضاء الوطر
وبلوغ اللذة فقد يزعمون انهم يبلغون من ذلك مبلغا لا يبلغه الفحل كانهم يزعمون
انه يستقصي جميع ما عندها ويستخليه لفرط قوته على المطاولة وكل خصاء في الدنيا
فانما اصله من قبل الروم ومن العجب انهم نصارى وهم يدعون من الرحمة والرأفة
ومن رقة الكبد والقلب ما لا يدعيه احد من جميع اصناف الخلق وحسبك بالخصاء
مثلة وحسبك بصنيع الخاصي قسوة ولا جرم انهم بعثوا على انفسهم من الخصيان
من طلب الطوايل وتذكر الاحقاد ما لم يظنوه عندهم ولا خافوه من قبلهم فلا هم
ينزعون ولا الخصيان ينكلون لان الرماية فيهم فاشية وان كان الخصي اسوارا
بلغ منهم وان جمع مع الرماية الثروة واتخذ بطرسوس وباذنه صحبا واصطنع
الرجال واتخذ العقد المغلة فضرة كل واحد منهم عليهم تفي بمضرة قايد ضخم ولم
تر عداوة قط تجوز مقدار عداوتهم لهم وهذا يدل على مقدار فرط الرغبة في النساء
وعلى شهوة شديدة للمباضعة وعلى انهم عرفوا مقدار ما فقدوا وهذه خصلة كريهة
مع طلب المثوبة وحسن الاحدوثة ۰ فاما الصابئون فان العابد منهم ربما خصى
نفسه فهو في هذا الموضع قد تقدم الرومي فيما اظهر من حسن النية وانتحل من
الديانة والعبادة بخصاء الولد التام وبادخاله النقص على النسل كما فعل ذلك
ابو المبارك الصابي وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون اليه ويسمعون منه ويسمر
عندهم للذي يجدون عنده من الفهم والافهام وطرف الاخبار ونوادر الكتب
وكان قد ادى على الماية ولم اسمع قط باغزل منه وان كان قد صدق عن
نفسه فما في الارض ازنا منه حدثني محمد بن عباد قال وسمعته يقول وقد جرى

ذكر النساء ومحلهن من قلوب الرجال حتى زعموا ان الرجل كلما كان عليهن احرص
كان ذلك ادل على تمام الفحلة وكان اذهب له في الناحية التي هي في خليقته ومعناه
وطبعه اذ كان قد جعل رجلا ولم يجعل امراة ۰ قال ابن عباد فقال لنا الستم تعلمون
اني قد اوفيت على الماية فينبغي لمن كان كذلك ان يكون وهن الكبر ونفاد الذكر
وموت الشهوة وانقطاع ينبوع النطفة قد امات حنينه الى النساء وتفكيره في الغزل
قال قلنا صدقت قال وينبغي ان يكون من عود نفسه تركهن زهدا وتخلى منهن
سنين ودهرا ان تكون العادة وتمرين الطبيعة وتوطين النفس قد حط من ثقل
منازعة الشهوة ودواعي الباءة وقد علمتم ان العادة التي هي الطبيعة الثانية قد
تستحكم ببعض هجران ملابسة النساء قال قلنا صدقت قال وينبغي ان يكون من لم يذق
طعم الخلوة بهن ولا يجالسهن متبذلات ولم يسمع خلابتهن للقلوب واستمالتهن
الاهواء ولم يرهن متكشفات عاريات ان يكون اذا تقدم له ذلك مع طول الترك
الا يكون يبقى معه من دواعيهن شيء قال قلنا صدقت قال وينبغي لمن علم انه مجبوب
وان سببه الى خلاطهن محسوم ان يكون اليأس من امتن اسبابه الى الزهد والسلو
والى موت الخواطر قال قلنا صدقت قال وينبغي ان يكون من دعاه الزهد في الدنيا
وفيما تحويه من النساء مع جمالهن وفتنة النساك بهن واتخاذ الانبياء لهن الى ان
خصا نفسه ولم يكرهه عليه اب ولا عدو ولا سباه ساب ان يكون مقدار ذلك
الزهد هو المقدار الذي يميت الذكر لهن ويسري عنه فقد وجودهن وينبغي
لمن كان في مكانه الا ينسى العزم ويختار الارادة التي يصير بها الى قطع هذا العضو الجالب
لكبار اللذات والى ما فيه من الالم ومع ما فيه من الخطار والى ما فيه من المثلة والنقص
الداخل على الخلقة وان تكون الوساوس في هذا الباب لا تعدوه والدواعي لا تنطوي
قال قلنا صدقت قال وينبغي لمن سخت نفسه عن السكن وعن الولد وعن ان
يكون مذكورا بالعقب الصالح ان يكون قد نسي هذا الباب ان كان مرة منه على ذكر
هذا وانتم تعلمون اني سملت عيني يوم خصيت نفسي فقد نسيت كيفية الصور

وكيف تروع وجهلت المراد منها وكيف ترادها فما كان من كان كذلك حريًّا ان تكون نفسه
ساهية لاهية مشغولة بالباب الذي احتمل له هذه المكاره قال قلنا صدقت قال او
ليس لو لم اكن هرما ولم يكن هاهنا طول اجتناب وكانت الالة قايمة الداخلم اذق
حيوانا منذ ثمانين سنة ولم تمتلي عروقي من الشراب مخافة الزيادة في الشهوة الحادة
والنقصان من العزم لكان في ذلك ما يقطع الدواعي ويسكن الحركة ان هاجت
قال قلنا صدقت قال فاني بعد جميع ما وصفت لكم لا اسمع نغمة المراة فاظن مرة ان
كبدي قد ذابت واظن مرة انها قد انصدعت واظن مرة ان عقلي قد اختلس وربما نزا
فوادي عند ضحك احداهن حتى اظنه قد خرج من فيَّ فكيف الوم عليهن غيري
فان كان حفظك الله قد صدق على نفسه في تلك الحال بعد ان اجتمعت فيه هذه
الخصال فما ظنك بهذا قبل هذا الوقت بستين او بسبعين سنة وما ظنك به قبل
الخصاء بساعة وليس في الاستطاعة ولا في صفة الامكان ان يحتجز محتجز عن
عدل
ارادة النساء ومعه من الحاجة اليهن والشهوة لهن هذا المقدار الله ارحم بخلقه وا
كد
على عباده من ان يكلفهم هجران شي قد وصله بقلوبهم هذا الوصل واكده هذا التا
ه وقد خصى نفسه من الصابيين رجال قد عرفناهم باسمايهم وانسابهم وصفاتهم
ن
واحاديثهم وفي الذي ذكرنا كفاية ان شا الله وقد ذكر ان عثمان بن مظعون استاذ
النبي صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال سياحة امتي الجماعة واستاذنه في الخصا
فقال الخصا امتي الصيام قال والصوم وجاء فهذا خصاء الديانة ه فاما خصا الجلب
على جهة التجارة فانه يجب القضيب ويمتلخ البيضتين الا ان تقلصت احداهما من
الجزع فتصير في موضع لا يمكنه ردها الى مكانها الا بعلاج طويل فالخاصي عند ذلك
ظلم لا يفي به ظلم وظلم يربى على الظلم الاول وعلى كل ظلم لانه عند ذلك لا يحفل
بموت المقلص ويقطع ما ظهر له فاذا برا وهو مجبوب القضيب ذو بيضة واحدة فقد
س
تركه لا رجلا ولا امراة ولا خصيا وهو حينيذ ممن تخرج لحيته وممن لا يدعه النا
في دورهم ومواضع الحاص من بيوتهم فلا يكون مع الخصيان مقربا ومكرما وخصيه

العيش منعما ولا هواذ رجي به في الفحولة كان لما الفحولة من لذة غشيان النساء ومن
لذة النسل والتمتع بشم الاولاد فلم يزل عند الفحول مستضعفا محتقرا وعند الخصيان
مجردا مطردا فهو اسوا حالا من السدم المعنى فلا اعلم قتلة اذا كان القتل قتلة سريعة
مريحة الا اصغر عند الله واسهل على هذا المظلوم من طول التعذيب والله له بالمرصاد
واما خصاء البهايم فمنه الوجاء وهو ان يشد عصب مجامع الخصية من اصل القضيب حتى
اذا ندرت البيضة وجحظت الخصية وجاها حتى يرضها فهي عند ذلك تذبل وتقشف
وتذوي وتستدق حتى تذهب قواها وتنسد المجاري اليها ويسري ذلك الفساد الى
موضع تربية النطفة فيمنعها من ان تكثر او تعذب او تخثر ومنها ما يكون بالشد والعصب
وشدة التخريق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد الفتل فاذا تركه على ذلك
خ
عمل فيه وضر واكل ومنعه ان يجري اليه الغذا فلا يلبث ان ينقطع ويسقط ومنه الامتلا
وهو امتلاخ البيضتين ه فاما خصاء الناس فان الخاصي حديدة مرهفة محماة وهي
الحاسمة وهي القاطعة قال ابو زيد خصيت الدابة اخصيه خصاء ووجاته اجاه
وجاءً ويقال بريت البكر من الخصاء والوجاء ولا يقال ذلك الا لما كان قريب العهد
ق
لم يبرا منه فاذا برى لم يقله واما الخصاء فهو سل الخصيتين والوجاء ان توجا العرو
والخصيان على حالهما والمعصوب من التيوس الذي تعصب خصيتاه حتى تسقط
الخصيتان يقال الخصيتان والخصيان والواحد خصى وخصية ويقال ملست الخصيتين
املسهما ملسا ومتنتهما امتنهما متنا وذلك ان تشق عنهما الصفن فتستلهما بعروقهما
والصفن جلدة الخصيتين والخصاء في احداث البهايم وفي الغنم خاصة يدع اللحم
رخصا وقد يا عذبا فان خصاه بعد الكبر لم يقو خصاوه بعد استحكام القوة على
قلب طباعه واجود الخصاء ما كان في الصغر والخصي من فحولها احمل للشحم
لعدم الهيج والنعظ وخروج قواه مع ماء الفحلة وكثرة السفاد يورث الضعف
والهزال في جميع الحيوان وقد ذكر لمعاوية كثرة الجماع فقال ما استهتر فيه احد الا
رايت ذلك في منته ه والديك يخصى ليرطب لحمه ويطيب ويحمل الشحم وكانت

العرب تخصى فحولة الابل لان لا ياكل بعضها بعضا وتستبقى ما كان اجود ضرابا
واكثر نسلا وكل ما كان ميناثا وكان شابا ولم يكن مذكارا وهم يسمون الاذكار المحق
الحقي وما كان عياياء طباقاء فهما يجعل السدم المعنى واذا كان الفحل لا يحتفل للضراب
شد واثيله شد اشد يدا وتركوه يهدر ويقبقب فى الهجمة ولا يصل اليهن وان ادنه
فاذا طلبن الفحل بجي وجي بفحل قبيس ويقولون لقوة لاقت قبيسا والقبيس من
الجمال السريع الالقاح واللقوة السريعة القبول ۝ وشكت امرأة زوجها واخبرت
عن جهله باتيان النساء وعيه وعجزه وانه اذا سقط عليها اطبق والنساء يكرهن
وقوع صدور الرجال على صدورهن فقالت زوجي عياياء طباقاء وكل داء له داء ۝
وقال الشاعر ۝ طباقاء لم يشهد خصوما ولم ينخ ۝ ركابا الى اكوارها حين تعكف ۝
وكانوا يخصون الخيل للشبه بذلك ولقلة صهيلها ليلة البيات واذا اكمنوا الكمنا
وكانوا اهرابا ويزعم من لا علم له ان الخنذيذ من الخيل هو الخصي وكيف يكون ذلك
كما قال مع قول خفاف بن ندبه ۝ وخناذيذ خصية وفحولا ۝ وقال بشر بن ابي خازم
وخنذيذ ترى الغرمول منه ۝ كطي الزق علقه التجار ۝ وليس هذا اراد بشر
وانما اراد الزمان والغزو والحال التى تعترى الخيل فيها هذا المعنى كما قال الجعد
الاحيمر ۝ لا لا اجوب ولا اعق ۝ ولا اغير على مضر ۝ لكنما غزوى اذا ۝ ضج المطي من الدبر ۝
وانما فخر بالغزو فى ذلك الزمان ۝ واما الخنذيذ فالكريم التام وربما وصفوا به الرجل
قال كثير ۝ على كل خنذيذ الضحى متمطر ۝ وخيفانة قد هذب الجرى آلها ۝
وقال القطامى ۝ على كل خنذيذ السراة مقلص ۝ تخنث منه لحمه المتكامل ۝ ومن الدليل
على انهم ربما جعلوا الرجل اذا امدحوه خنذيذا قول بعض القيسيين من قيس بن ثعلبه
دعوت بنى سعد الى فشمرت ۝ خناذيذ من سعد طوال السواعد ۝ وقال عبيد الله
بن الجد وكتبها الى عبد الملك حين فارق مصعبا
باى بلاد او باية نعمة ۝ يقدم قبلى مسلم والمهلب ۝ ويدعى ابن منجوف امامى كانه ۝
خصي دنا للماء من غير مشرب ۝ فقلت ليونس اقوى اقوى فقال الاقواء احسن من هذا

قال ابن

قال فلما اخذته قيس نصبوه فى حلوا يرمونه بالنبل ويقولون اذات مغازل ترى فلما اتى
مصعب برأسه قال لسويد يا ابا المنهال كيف ترى قال ايها الامير هو والله الذى اتى
الماء من غير مشرب ۝ وقال اعشى همدان ۝ وابو بريذعة الذى حدثته ۝
فينا اذ من للخصي الديزج ۝ وتعرض للخصي سرعة الدمعة وذلك من عادات
طبايع الصبيان ثم النساء فانه ليس بعد الصبيان اغزر دمعة من النساء وكفاك
بالشيوخ الهرمين ۝ ويعرض للخصي العبث واللعب بالطير وما اشبه ذلك
من اخلاق النساء وهو من اخلاق الصبيان ويعرض له الشره عند الطعام والبخل
عليه والشح العام فى كل شيء وذلك من اخلاق الصبيان ۝ وقال الشاعر ۝
كأن ابا رومان قيسا اذا غدا ۝ خصي براذين يقاد رهيص ۝
له معدة لا يشتكى الدهر ضعفها ۝ وحنجرة بالدورقين قموص ۝ ويعرض للخصي
سرعة الغضب والرضا وذلك من اخلاق الصبيان ثم النساء ويعرض لهم حب النميمة
وضيق الصدر بما اودع من السر وذلك من اخلاق الصبيان ثم النساء ويعرض له
دون اخيه لامه وابيه ودون ابن عمه وجميع رهطه البصر بالرفع والوضع ثم
الكنس والرش والطرح والبسط والصبر على الخدمة وذلك يعرض للنساء
ويعرض له الصبر على طول الركوب والقوة على كثرة الركض حتى يجاوز فى
ذلك رجال الاتراك وفرسان الخوارج ومتى دفع اليه مولاه دابته ودخل
الى الصلاة او ليغتسل فى الحمام او ليعود مريضا لم يترك ان يجرى تلك الدابة
ذاهبا وجاييا الى رجوع مولاه اليه ويعرض له حب الرمى بالنشاب للذى يدور
فى نفسه من حب غزو الروم ويعرض له ان تملكه الملوك على انه لا تقيم له الالة
ويكون ذلك احب اليه من ان تملكه السوقة وان الحقته بعيش الملوك ومن
العجب انهم مع خروجهم من شطر طبايع الرجال الى طبايع النساء لا يعرض
لهم التخنيث وقد رايت غير واحد من الاعراب مخنثا متفككا ومؤنثا يسيل سيلا
ورأيت عدة مجانين مخنثين ورايت ذلك فى الزنج الاقحاح وخبرنى من راى كرديا

مخنثا ولم ار قط خصيا مخنثا ولا سمعت به ولا ادرى كيف ذلك ولا اعرف المانع منه
ولو كان الامر فيهم الظاهر الرأي لقد كان ينبغي ان يكون ذلك عاما ومما يزيد
في التعجب من هذا الباب كثرة ما يعرض لهم من الحلاق مع قلة ما يعرض لهم من
التخنيث مع مفارقتهم لشطر معاني الرجال الى شبه النساء ويزعم كثير من الشيوخ
المعمرين واهل التجربة المميزين انهم اختبروا اعمار ضروب الناس فوجدوا طول
الاعمار في الخصيان اعم منه في مثل اعدادهم من جميع اجناس الرجال وانهم تفقدوا
اعمارهم واعمار اخوتهم وبني اعمامهم الذين لم يخصوا فوجدوا طول العمر في الخصيان
اعم ولم يجدوا في عموم طول العمر فيهم واحدا نادرا كفلان وفلان من الفحول
وزعموا انهم لم يجدوا الطول اعمارهم علة الا عدم النكاح وقلة استفراغ النطف لقوى
اصلابهم قالوا وكذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم وضياعهم من الخيل والابل
والحمير والبقر والغنم والكلاب والدجاج والحمام والديكة والعصافير اطول اعمارا
من البغال وكذلك قالوا وجدنا اقلها اعمارا العصافير وليس ذلك الا لكثرة سفادها
وقلة سفاد البغال وجعل هولاء القوم زيادة عمر البغل على عمر ابويه دليلا على ان
قول الناس لا يعيش احد فوق عمر ابويه خطاء وانما عنوا الناس دون
الحيوان وقالوا وجدنا غرمول البغل اعظم من غرمول الحمار والفرس والبرذون
وهولاء اعمامه واخواله فقد وجدنا بعض النتاج المركب وبعض الفروع المستخرجة
اعظم من الاصل ووجدنا الحمام الزاعبي اعظم من الورشان الذي هو ابوه ومن
الحمامة التي هي امه ولم نجده اخذ من عمر الورشان شيا وخرج صوته من تقدير اصواتها
كما خرج شحيج البغل من نهيق الحمار وصهيل الفرس وخرج الزاعبي مسرولا ولم
يكن ذلك في ابويه وخرج مثقلا سيئ الهداية وللورشان هداية وان كان دون
هداية الحمام وجاء اعظم جثة من ابويه ومقدار النفس من ابتداء هديله الى منقطعه
اضعاف مقدار هديل امه وفوالج البخت اذا ضربت في اناث البخت لم يخرج الحوار
الا ذنابا قصير العنق لا ينال كلاه ولا امام الا بان يرفعها اليه فيصير لمكان نقصان

خلقه

خلقه جزور لحم ولا يكون من اليعملات ولا من السابقة ولو عالوه وكفوه مؤنة تكلف
الماكول والمشروب ثم بلغ الى ان يصير جملا يمكنه الضراب وكذلك الانثى التي
هي الحايل الى ان تصير ناقة فلو القحها ذلك الفحل لجاء ولدها اقصر عنقا من الفيل
الذي لو لم يجعل الله له خرطوما يتناول به طعامه وشرابه لمات جوعا وهزلا
وليس كذلك العراب واذا ضربت الفوالج في العراب جاءت هذه الجواميز
والبخت الكريمة التي تجمع عامة خصال العراب وخصال البخت فيكون ما يخرجه
التركيب من هذين الجنسين اكرم وافخم وانفس واثمن ومتى ضربت فحول العراب
في اناث البخت جاءت هذه الابل البهونية فتخرج اقبح منظرا من ابويها واشد اسرا
من ابويها وبعد فان هذه الشهرية الخراسانية يخرج لها ابدان فوق ابدان
امهاتها وابايها من الخيل والبراذين وتاخذ من عتق الخيل ومن وثاجة البراذين
وليس نتاجها كنتاج البرذون خالصا والفرس خالصا وما اشبه قرابة الحمار بالرمكة
والحجر من قرابة الجمل الفالج البختي بقرابة القلوص الاعرابية
ويقال ان الحمير الوحشية وبخاصة الاخدرية انها اطول الحمير اعمارا وانما هي
من نتاج الاخدر فرس كان لازدشير بن بابك صار وحشيا فحمى عدة عانات
فضرب فيها فجاء اولاده منها اعظم من ساير الحمير واحسن وخرجت اعمارها
عن اعمار الخيل وساير الحمير اعني حمر الوحش فان اعمارها تزيد على الاهلية
مرارا عدة ولا يعرفون حمارا اهليا عاش اكثر وعمر اطول من عير ابي سيارة عميلة
بن اعزل فانهم لا يشكون انه دفع عليه باهل الموسم اربعين عاما قال الاصمعي
لم يكن عيرا انما كان اتانا وزعموا وكذلك هو في كتبهم ان ملوك فارس كانت
لهجة بالصيد الا ان بهرام جور هو المشهور بذلك في العوام وهم يزعمون ان
فيروز بن قباد الملك الفارسي الح في طلب حمار اخدري وقد ذكر ذلك له ووصف
فطاول له عند طلبه والتماسه واجد في ذلك فلج به عند طلبه الاعتزام واخرجته
الحفيظة الى ان الى الا ياخذه الا اسرا ولا يطارده الا فردا اقتدارا فحمل فرسه

عليه فخطه فخباء فجمع جراميزه وهو على فرسه ووثب فاذا هو على ظهره فقمص به
فضم فخذيه فحطم بعض اضلاعه ثم اقبل به الى معظم الناس وهم وقوف ينظرون
اليه وهو راكبه   قالوا وكان الملك منهم اذا اخذ عيرا اخذ دبا او غير ذلك فاذا وجد
فتيا وسمه باسمه وارّخ في وسمه يوم صيده وخلّى سبيله فكان كثيرا ما اذا اصاده
الملك الذي يقوم بعده سار فيه مثل تلك السيرة وخلّى سبيله فعرف آخرهم صنيع
اولهم وعرفوا مقدار مقادير اعمارها ولولا ان ناسا من كل جيل وخصايص من كل امة
يلهجون ويكلفون بتعرّف معاني آخرين لدرست ولعل كثيرا من هؤلاء يزري
على اولئك ويعجب الناس من تفرّغهم لما لا يجدي وتركهم التشاغل بما يجدي فالذي
حبّب الى هذا ان يرصد عمر حمار او ورشان او حيّة او ضبّ هو الذي حبّب الى الآخر
ان يكون صيادا للافاعي والحيّات يتبعها ويطلبها في كل واد وموضع وجبل للترياقات
وسخّر هذا ليكون من سواس الأسد والفهود والنمور والببور وترك من تلقاء نفسه
ان يكون راعي غنم والذي فرّق هذه الاقسام وسخّر هذه النفوس وصرف هذه العقول
لاستخراج هذه العلوم من مدافنها وهذه المعاني من مخابيها هو الذي سخّر بطليموس مع ملكه
وفلانا وفلانا للتفرّغ للامور السماوية ولرعاية النجوم واختلاف مسير الكواكب وكلٌّ ميسّر
لما خلق له لتتم النعمة ولتكمل المعرفة وانما تأتي التيسير للمعاصي   فاما الصناعات
فقد تقصر اسباب بعض الناس على ان يصير حايكا وتقصر بعضهم على ان يكون صيرفيا فهي
وان قصرته على الحياكة فلم تقصره على خلف المواعد وعلى ابدال الغزول وعلى تشقيق
العمل دون الاحكام والصدق واداء الأمانة ولم تقصر الصيرفي على التطفيف في
الوزن والتغليط في الحساب وعلى دسّ المموّه تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علوا كبيرا
ولو كان امر النتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج الى تقدير الرأي وما هو اقرب
الى الظن لكانت الاظلاف تجري مجرى الحوافر والأخفاف الا ترى ان قرابة الضان من
الماعز كقرابة البخت من العراب والخيل من الحمير وسبيل نتاج الظلف على خلاف ذلك
لأن التيس مع شدّة غلمته لا يعرض للنعجة وكذلك الكبش والعنز فضلا عن ان يكون

فيها نتايج لأنه قد يضرب الجنس في الجنس الذي لا يلقحه ولا يكون اللقاح الا بعد ضراب
وطلب التيس للنعجة قليل واقلّ من القليل وكذلك الكبش للعنز واقل من ذلك ان تتلاقح
ولا يمنع ذلك الولد البتة وقد تجاسر ناس على توليد ابواب من هذا الشكل فادّعوا امورا ولم
يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسئلة البرهان   وزعموا ان الزرافة خلق تركّب من بين
الناقة من نوق الحوش وبين البقرة الوحشيّة وبين الذيخ وهو ذكر الضباع وذلك انهم
لما راوا ان اسمها بالفارسية اشتركاو پلنك وتاويل اشتر بعير وتاويل كاو بقرة وتاويل
پلنك الضبع لأن الضباع عرج كذلك الذكر والانثى يكون لهما خماع كما عرض للذيب القزل
وكل ذيب ازل وكما ان كل غراب يحجل كما يحجل المقيّد من الناس وكما ان العصفور لا يمشي
ومشيه ان يجمع رجليه ابدا معا في كل حركة وسكون وقولهم للزرافة اشتركاو پلنك اسم فارسيّ
والفرس تسمّي الأشياء بالاشتقاقات كما تقول للنعامة اشترمرغ وكأنهم قالوا في التقدير
قالوا هو طاير وجمل ولم نجد هذا الأسم اوجب ان تكون النعامة نتاج ما بين الابل والطير
ولكنّ القوم لمّا شبّهوها بشيئين متفاوتين سمّوها بذينك الشيئين وهم يسمّون المزّ
الحلو ترش شيرين وهو في التفسير حلو حامض ففسّر القوم فوضعوا التفسير اسما
للزرافة حديثا وجعلوا الخلقة ضربا من التراكيب وقالوا قد يعرض الذيخ في تلك البلاد
للناقة من الحوش فيسفدها فتلقح بولد يجيء خَلقه ما بين خلق الناقة والضبع فان كان
انثى فقد يعرض لها الثور الوحشيّ فيضربها فيصير الولد زرافة وان كان ولد الناقة
ذكرا وعرض للمهاة فالقحها فلد زرافة فمنهم من جحد البتّة ان تكون الزرافة الانثى
تلقح من الزرافة الذكر وزعموا ان كل زرافة في الأرض انما هي من النتاج الذي ركّبوا وزعموا
ان ذلك مشهود في بلاد الحبشة واقاصي اليمن   وقال آخرون ليس كل خلق مركّب لا ينسل
ولا يبقى نجله ولا يتلاقح نسله على ما حكينا من شان الورداني والراعبي وهؤلاء وما اشبههم
يفسدون العلم ويتهمون الكتب وتغرّهم كثرة اتباعهم ممن تجده مستهترا بسماع الغرايب
ومغرما بالطرايف والبدايع ولو اعطوا بدلا من هذا الاستهتار نصيبا من التثبّت وحظا
من التوقّي لسلمت الكتب من كثير من الفساد وانا رأيت طايرا له صوت غير حسن فقال لي

صاحب الطيور انه من نتاج ما بين القمري والفاختة وقناص الطير ومن باقي كل
اوقة وغيضة في التماس الصيد يزعمون ان اجناسا من الطير من القواطع والاوابد تلتقي
فتسافد وانهم لا يزالون يرون اشكالا لم يروها قط فيقدرون انها من تلاقح تلك
المختلفة وقال ابو زيد النحوي وذكر عمن لقي من الاعراب انهم زعموا ان ذكر ام
حبين الحرباء قال وسمعت اعرابيا من قيس يقول لام حبين حبينة والحبينة هو
اسمها قال وقيس تسمي ذكر العظاء العضرفوط وقال يحيى الاغر سمعت اعرابيا
يقول لا خير في العظاءة وان كان ضبا مكونا قال فاذا سام ابرص والورل والوحر
والضب والحلكاء كلها عنده عظاء وزعم يحيى بن عليم ان الثعلب يسفد الهرة الوحشية الأبر
فيخرج من بينهما ولد وانشد قول حسان . ابوك ابوك وانت ابنه • فبيس البني وبيس
وامك سوداء موذية • كأن اناملها العنظب • يبيت ابوك بها معرسا • كما ساور الهرة الثعلب
وانشد ابو عبيدة قول عبد الرحمن بن الحكم . الا ابلغ معاوية بن حرب • مغلغلة عن الرجل اليمانی
اتغضب ان يقال ابوك عف • وترضى ان يقال ابوك زان • فاشهد ان الك من قريش
كال الفيل من ولد الاتان • قال كيسان ولاي شيء قال كرحم الفيل من ولد الاتان ولم
يقل كرحم الخنزير من الفيل قال ابو عبيدة اراد هو التبعيد به وانت تريد ما هو اقرب
زعم بعض المفسرين ورواة الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تاذوا بالفار فعطس الاسد
عطسة فرمي من منخريه بزوج سنانير فلذلك السنور اشبه شيء بالاسد وسلح الفيل
زوج خنازير فلذلك الخنزير اشبه شيء بالفيل قال كيسان فينبغي ان يكون ذلك السنور
آدم السنانير وتلك السنورة حواء السنانير قال ابو عبيدة لكيسان وضحك منه او لم تعلم
انت ان لكل جنس من الحيوان آدم وحوا وضحك وضحك القوم ولما راي ابو قردودة سعد
القرقره الاكل عند النعمان مسلوخا بعظامه قال . بين النعام وبين الكلب منبته •
وفي الذياب له ظئر واخوال • يقول ان سعدا ضرب في اعراقه نجل النعام الذي
يلتقم الجمر ويلتهم الحجارة فيطفئ الجمر ويميع الصخر وضرب في اعراقه الكلب الذي يرض
كل عظم ولا يقبض عليه بفكه الا وهو واثق بفته ولا يسيغه الا وهو على ثقة من

استمرايه واما الذيب فانه لا يروم بفكيه شيئا الا ابتلعه بغير معاناة عظما كان او غيره
مصمتا كان او اجوف ولذلك قال الراجز . اطلس يخفي شخصه غباره • في شدقه شفرته وناره
فابو قردودة لم يرد ان الكلب والذيب خالاه وان النعام نجله وانما قال ذلك على المثل والتشبيه
ولم يرد ان له ظئرا من الكلاب وخالا من الذياب وليس ذلك على تاويل قول امير المومنين
المأمون لبعض الناس يا نطف الشياطين والخاد ونزايع الظؤورة واشباه الخؤولة وعلى
شبيه بذلك قال مسلم بن قتيبة لبعض من نكره ذكره وهو عند سليمن بن علي ايها الامير
ان آل فلان اعلاج خلق الله واوباشه لئام غدر شرابون بانقع ثم هذا بعد في نفسه
نطفة خمار في رحم صناجة وقال لي ابو اسحاق قال لي ابو العباس وابو العباس هذا كان
ختن ابراهيم على اخته وكان رجلا يدين بالنجوم ولا يقر بشيء من الحوادث الا ما يجري
على الطباع قال ابو اسحاق قال لي مرة انعرف موضع الحظوة من خلوة النساء من جميع الدنيا وجوها
قلت لا والله لا اعرفه قال بلى اعلم انه لا يكون الحظ الا في نتاج شكلين متباينين فالنقا
هو الاكسير المؤدي الى الخلاص وهو ان تزاوج بين هندية وخراساني فانها لا تلد الا
الذهب الابريز ولكن احرس ولدها ان كان المولد انثى فاحذ رعليها من شدة لواط
رجال خراسان وزناء نساء الهند واعلم ان شهوتها للرجال على قدر حظوتها عندهم
واعلم انها ستساحق النساء على اعراق الخراسانية وتزني بالرجال على اعراق الهند واعلم
ان مما يزيد في زنائها وسحقها معرفتها بالحظوة عند الزناة وبالحظ عند السحاقات
وقالوا في الخلق المركب ضروبا من الحق والباطل ومن الصدق والكذب فمن الباطل زعمهم
ان الشبوط ولد الزخر من البني وان الشبوط لا يخلق من الشبوط وانه كالبغل في تركيبه
وفي اخباله ويروون ذلك عن ابي واثلة اياس بن معاوية وزعموا ان ام جعفر بنت جعفر
بن المنصور حصرت في حوض لها ضخم او بركة كبيرة عددا كثيرا من الزخر والبني وانها لم تخلط
بهما غيرهما فمات اكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة وفي احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض
حينا ثم انها حلت بالشبابيط وزعم حريث انه كان بايذج فاذا سحابة دهماء طخياء تكاد تمس
رؤسهم وانهم سمعوا فيها كاصوات الجلاليق وكهدير الفحول في الاشوال ثم انها دفعت باشد مطر

رؤي او سمع به حتى استسلموا للغرق ثم اندفعت بالضفادع العظام ثم اندفعت بالشبابيط
السمان الخدال فاطبخوا واشتووا وملّوا وملحوا وادّخروا   ورووا عن ابي واثلة
انه يزعم ان من الدليل على ان الشبوط كالبغل ان الناس لم يجدوا في ما اكلوا الشبابيط في
جوفها بيضا قط فان كان هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل المنعوت بثقوب
الفراسة ودقة الفطنة صحيحا فما اعظم المصيبة علينا فيه وما اخلق الخبر ان يكون صحيحا
وذلك اني سمعت له كلاما كثيرا في تصنيف الحيوان واقسام الاجناس يدل على ان الرجل
حين احسن في اشياء وهمه المعجب بنفسه انه لا يروم شيا فيمتنع عليه وغره من نفسه
الذي غر الخليل بن احمد حين احسن في النحو والعروض فظن انه يحسن الكلام وتأليف
اللحون فكتب فيهما كتابين لا يشير بهما ولا يدل عليهما الا المرة المحترقة ولا يؤدي الى مثل
ذلك الا الخذلان لان الله فان الله لا يعجزه شيء   الشبوط حفظك الله جنس كثير الذكورة
قليل الاناث ولا يكدن ايضا يجمعن البيض واذا جمعن فلو جمعت بيض عشر منهن لما كان
كشطر بيض بنية واحدة فقد رايت بيض الشبوط وذقته للتعرف فوجدته غير طايل
ولا معجب وكل صياد تسيله فهو يخبرك ان له بيضا ولكنه اذا كان ضئيلا قليلا لان الشبابيط
في اصل العدد من اقل السمك وكذلك الجنس منه اذا كانت الانثى منه هذا كان داعيا انه
رب نهر يكون اكثر سمكه الشبوط وذلك قليل كنهر رام هرمز والشبوط لا يوجد
في البحار ولا يسكن الا في الاودية والانهار ويكره الماء المالح ويطلب الاعذب
فالاعذب ويكون في الماء الجاري ولا يكون في الساكن وسنذكر شانه في موضعه
من هذا الكتاب ان شاء الله ولم يصب ابو واثلة وكذبوا على ام جعفر فاذا قالوا
في الزرافة ما قالوا فلا تامنهم على ما هو دونه وان كان من كذب على الموتى واستشهد
احذق فصاحب الزرافة قد استعمل بعض هذه الحيلة وصاحب الشبوط يكذب
على الاحياء ويستشهد الحضور وان كان الذي دعا الى القول في الزرافة تركيب
اسمه فجعلوا تركيب اسمه دليلا على تركيب الخلق فالجاموس بالفارسية كاوماش
تاويله ضاين بقري لانهم وجدوا فيه مشابه الكبش وكثيرا من مشابه الثور

لبس

لبس ان الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس   وتزعم الفرس ان الحيوان الذي
الذي يلد حيوانا مثله مما يمشي على اربع قوايم لا تخلوا اجناسها من المعز والضان والجواميس
عندهم ضان البقر والبخت عندهم ضان الابل والبراذين عندهم ضان الخيل والناس يقولون
في الابل اقاويل عجيبة فمنهم من يزعم ان فيها عرقا من سفاد الجن وذهبوا الى الحديث انهم
انما كرهوا الصلاة في اعطان الابل لانها خلقت من اعراق الشياطين فجهلوا المثل والمجاز
وحملوا الكلام على غير جهته   وقال ابن ميادة . فلما اتاني ما تقول محارب .
تغنت شياطيني وجن جنونها . قال الاصمعي الماثور من السيوف الذي يقال ان
ان الجن عملته وهم يسمون الكبر والخنزوانة والنعرة التي تضاف الى انف المتكبر
شيطانا قال عمر حتى انزع شيطانه كما قال حتى انزع النعرة التي في انفه ويسمون
الحية اذا كانت داهية منها شيطانا وهو قولهم شيطان الحماطه   قال الشاعر .
تلاعب مثنى حضرمي كانه . تعمج شيطان بذي خروع قفر . شبه الزمام بالحية ومثله
شناحية فيها شناح كانها . حباب يكف الشأو من اسطع حشر . والحباب الحية الذكر
وكذلك الايم وقد نهي عن الصلاة عند غيبوبة الشمس وعند طلوع القرص الى ان
يتمام ذلك وفي الحديث انها تطلع بين قرني شيطان فللعرب امثال واشتقاقات
وابنية وموضوع كلام يدل عندهم على معانيهم وارادتهم ولتلك الالفاظ مواضع اخر
ولها حينئذ دلالات اخر فمن لم يعرفها جهل تاويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل
فاذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من اهل هذا اللسان هلك واهلك
وزعم ناس ان للابل وحشا وكذلك الخيل وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير
وما سوي ذلك فزعموا ان تلك الابل تسكن ارض وبار لانها غير مسكونة ولان الحيوان
كلما اشتدت وحشته كان للخلاء اطلب قالوا وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض
فيضرب في ادنى هجمة من الابل الاهلية قالوا فالمهرية من ذلك النتاج وقال آخرون
هذه الابل الوحشية هي الحوش وهي التي من بقايا وبار فلما اهلكهم الله كما اهلك
الامم مثل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وجاسم بقيت ابلهم في اماكنهم التي

لا يطورها انسيّ فان سقط الى تلك الجزيرة بعض الخلعاء او بعض من اظلّ الطريق
حثت الجنّ فى وجهه فان لحّ خبلته فضربت هذه الحوش فى العمانية فجآت هذه المهرية
وهذه العسجدية التى تسمى الذهبية وانشدنى سعدان المكفوف عن ابى العميثل قول
الراجز ما ذمّ ابل عجم ولا عرب جلودها مثل طواويس الذهب وقال الآخر
اذا اصطكّت بضيق حجراتها تلاقى العسجديّة واللطيم والعسجد من اسماء الذهب
قالوا وانما سميت صاحبة يزيد بن الطثرية حوشيّة على هذا المعنى وقال رؤبة
جرّت رحانا من بلاد الحوش واما الذى زعم انهم مطروا الشبوط فانه لما ظنّ ان الضفادع
التى تصاب بعقب المطر بحيث لا ماء ولا وحل ولا عين ولا شريعة فانهم دعاروها
وسط الدوّ والدهناء والصمّان ولم يشكّ انها كانت فى السحاب وعلم انها تكون فى الانهار
ومناقع المياه من الذكر والانثى قاس على ذلك الظنّ السمك ثم جسر فجعل السمك شبوطا
وتلك الضفادع انما هي شيء تخلّق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان وتلك
التربة على مقادير ومقابلات وعلى ما اجرى الله عليه خلق الخلق وقد تعرف القرابة
التى تكون فى رأي العين بين الشكلين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافد ولا تلاقح كالضأن
والمعز وكالفار والجرذان فليس بالعجب فى البقر والجواميس ان تكون كذلك وقد
راينا الخلاسيّ من الدجاج والديكة وهو الذي تخلّق من بين المولّدات والهنديات
وهي تحمل اللحم والشحم وزعم لي مسعود بن عثمان انه اهدى الى عمرو بن مسعدة دجاجة
وزن فيها سبعة عشر رطلا بعد طرح الاسقاط واخراج الحشوة ورأينا الخلاسيّ
من الناس وهو الذي يخلق بين الحبشيّ والبيضاء والعادة من هذا التركيب انه يخرج اعظم
من ابويه واقوى من اصليه ومثمريه ورأينا البيسريّ من الناس وهو يخلق بين البيض
والهند لا يخرج ذلك النتاج من مقدار ضخم الابوين وقوتهما ولكنه يجيء احسن واملح
وهم يسمّون الماء اذا خالطته الملوحة بيسرا قياسا على هذا التركيب الذى حكينا من البيض
والهنديات ورأينا الخلاسيّ من الكلاب وهو الذى يخلق من السلوقيّ وكلب الراعي ولا
يكون ذلك من الزينيّ والقلطي ومن كلاب الدور والحرّاس وسنقول فى السمع والعسبار

وفي غيرهما من الخلق المركب ان شاء الله وذكروا انهم وجدوا طول اعمار الناس فى ثلثة
مواضع اولها سرو حمير ثم فرغانة ثم اليمامة وان فى الاعراب لاعمارا على ان لهم فى ذلك
كذبا كثيرا والهند تزري عليهم فى هذا المعنى هكذا يقول علماء العرب وكان عثمان ماشو
وبذان وجدعان يذكرون انهم عدوا اربعين فتى من شباب قريش وثقيف اعذار
عام واحد فاحصوا عشرين من قريش وعشرين من ثقيف وتوخّوا المجاورين في
الحلّة والمتقاربين في الدور من الموقوفين على النبيذ والمقصورين على التنادم وانهم
احصوا مثل ذلك العدة واشباه اولئك فى السنين ممن لا يذوق النبيذ ولا يعرف
شرابا الا الماء فذكروا انهم وجدوا بعد دهر عامّة من كان يشرب النبيذ حيا
وعامّة من كان لا يشرب النبيذ قد مات وكانوا قد بلغوا فى السن اما عثمان وبذان
فكانا من المعمّرين وقد رايتهما جميعا ولم اسمع هذا منهما وسناتي على هذا الباب في
موضعه من ذكر المعمّرين وتمييز الصدق من الكذب وما يجوز وما لا يجوز ان شاء الله
وما اكثر ما يعرض للخصيان البول فى الفراش وغير ذلك ولا سيما اذا بات احدهم
ممتليا من النبيذ وذلك مما يعرض للنساء ويعرض لهم ايضا صاحب النساء والافراط في
الشهوة وشدة النهمة والتهمة للنساء والغيرة عليهن ويحتلمون ويجنبون ويغتسلون
ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ له ريح كريح طلع الفحّال ويعرض للخصيّ
شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم او مال كثير او جاه عريض حتى
ربما كان عند مولاه من يشتهي ان يتقدّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصيّ كلفا
بتعظيمهم ومغرما بخدمتهم فى الادب والحسب وفى بعد الهمّة وكرم الشيمة فيعمل عند
ذلك الرجل الذى له السلطان او الجاه او المال الى متكأ هذا الاديب الكريم والحسيب
الشريف فينتزعه من تحت مرفقه غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ويضعه له من غير
ان يكون موضع المرافق بعيدا اذا كان ذلك مما يفوت بعض الفوت ويفعل ذلك وان كان
يعاشر هذا الاديب الكريم مولاه وهو على يقين انه لا يري ذلك المؤسر وصاحب الجاه ابدا
وقد حرّم بعضهم خصاء الخيل خاصّة وبعضهم زاد على ذلك حتى حرّم خصاء البهائم وقال

بعضهم اذا كان للخصاء انما اجتلبته فاعله او تكلفه صاحبه على جهة التماس المنفعة او على
طريق التجارة فذلك جائز وسبيله سبيل الميسم فان الميسم نار والمه يجوز كل الم وقد رأينا
ابل الصدقة موسومة ووسمت العرب للخيل وجميع اصناف النعم في الاسلام على مثل صنيعها
في الجاهلية وقد كانت القصوى ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم موسومة وكذلك العضبا
لأن في الخصاء من شدة الالم ومن المثلة ومن قطع النسل ومن ادخال النقص على الاعضا
والنقص لموايد القوى ما ليس في الميسم وغيره وهو بقطع الألية اشبه والسمة انما هي
لدغ نار والخصاء مجاوز لكل شئ وقال القوم ولا باس بقطع الألية اذا منعت بثقلها
وعظمها الشاة اللحاق بالقطيع وخيف عليها الذيب وقطع الالية في جواز العقول
اشد من الميسم لان الميسم ليس للبعير فيه حظ وانما الحظ فيه لرب المال وقطع الألية
من شكل الختان ومن جنس البط والفصد ومن جنس الوجور والبيطرة ومن جنس
اللدود والحجامة ومن جنس الكي عند الحاجة وقطع الجارحة اذا خيف عليها الاكلة
قال الاولون بل لعمري ان للابل في السمات لأعظم المنافع لانها قد تشرب بسماتها
ولا تذاد عن الحياض اكراما لأربابها وقد تضل فتؤدى وتصاب في الهواسة فترد
قالوا فانا لا ننكر الا عن سمات الخيل والبغال والحمير والغنم وبعد فكيف نستجيز ان
نعمها بالاحراق بالنار لامر عسى الا يحتاج اليه من الف بعير بعير ثم عسى الا يحتاج الى
ذلك في جميع عمره الى شربة واحدة قال القوم انما المياسم في النعم السايمة كالرقوم في ثياب
البزاز ومتى ارتفعت الرقوم ومنعت المياسم اختلطت الأموال واذا اختلطت امكن
فيها الظلم والمظلوم باذل نفسه دون المعيشة والهضيمة وقالوا ليس قطع الألية
كالمجثمة وكالشيء المصبور وقد نهينا عن احراق الهوام وقيل لنا لا تعذبوا بعذاب الله تعالى
فالميسم نار وقطع الالية من شكل قطع العروق وصاحب المجثمة يقدر على ان يرمي ان كان
به تعلم الرماية شيأ لا يالم ولم ينه عنه وعن تعذيبه فايرد الشيء المصبور على العذاب
مردا بوجه من الوجوه وقال اخرون ليس لك ان تحدث في جميع الحيوان حدثا من نقص
او نقص يلام لانك لا تملك المنشأ ولا يمكنك التعويض له فاذا اذن لك مالك العين بعتق عنه

ومنشئ ذاته

ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه وهو الله عز وجل حل لك من ذلك ما كان لا يحل وليس
لك في حجة العقل ان تصنع بها الا ما كان لها مصلحة كصلاح الدبر وكالبيطرة وقال
آخرون لنا ان نصنع كلما كان يصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده
ما لم يكن مدفوعا عند بعضهم الا ان يكون في ذلك لبعض عند جماعتهم في طريق الخلاف
والرد والمفارقة ولا يكون عندهم قولا من الاقاويل فان كان ذلك في سبيل العلاج بعد
ان يكون المتكلف يعرف وجه العلاج فالمذهب في ذلك معروف وان كان خارجا
من ذلك الحد فقد علمنا انه انما ابيح من طريق التعبد والمحنة كما جعل الله لنا ذبح ما احل
ذبحه من البهايم وكما جعل لنا ان نقتل القمل والبراغيث والبعوض وان لم يكن منها
الا مقدار الاذى فقط والقتل لا يكون قصاصا من الاذى ولكن لما اباح لنا خالق
الشيء والقادر على تعويضه قتله كان قتله اسوغ في العقل مع الأذى من ذبح البهيمة مع
السلامة من الاذى قال وليس كل ضرر ولا كل اذى حكم الله فيه باباحة القتل والله
بمقادير الامور وبحكم المختلف والمتفق والقليل من ذلك والكثير احكم واعلم وقد امر
الله تعالى ابراهيم بذبح اسحاق او اسمعيل فاطاع الوالد وطاوع الولد والجواب للماضي
انما هو قول من قال بالتعويض وهو قول النظام واكثر المتكلمين يعترضون عليه فيه
ولا يزال يحكي الله بعض الملحدين من المعاندين او بعض الموحدين من الأغبيا
المنقوصين قد طعن في ملك الخصي وبيعه وابتياعه ويذكرون الخصي الذي كان المقوقس
عظيم القبط اهداه الى النبي صلى الله عليه وسلم مع مارية القبطية ام ابراهيم
قالوا فقد ملك النبي خصيا بعد ان عرفه واحاط علمه بانه خصي وانتم تزعمون
ان الخصاء حرام وان من اشترى من الخاصي خصيا ثم زاده على قيمته وهو فعل
فقد اعان على الخصاء وحث عليه ورغب فيه وانه من افحش الظلم واشد الغشم
وزعمتم ان من فعل ذلك فهو شريك الخاصي في الاثم وان حاله كحال المعروفين
بابتياع متاع اللصوص وقلتم كذلك من شهد القمار وهراش الكلاب ونطاح الكباش
وقتال الديوك واصحاب الجارحات وحرب الفيتين الضالتين وقلتم لأن هذه

المواضع لو لم تحضرها النظّارة لما عملوا تلك الاعمال ولو فعلوها لما بلغوا مقدا
الشطر لغلبة حب الرياسة والسمعة على قلوب الناس فكذلك الخاصي ومن
اشتري منه والمبتاع من المشترى شركاء متعاونون وخلطاء مترافدون
اذا كان المبتاع يزيد في السلعة لهذه العلّة والبايع يزيد في السوم لهذا السبب
وقد اقررتم بأنّ النبي عليه السلام قد قبل من المقوقس الخصيّ كما قبل مارية
واستخدمه وجرى عليه ملكه وامره   فافهم فهّمك الله ما انا مجيب به في هذه المسئلة
والله الموفّق وعلى الله قصد السبيل اقول قبل كل شي لا يخلو هذا الحديث الذي رويتموه
من ان يكون مرضيّ الاسناد صحيح المخرج او يكون مسخوط الاسناد فاسد المخرج
فان كان مسخوطا فقد بطلت المسئلة وان كان مرضيّا فقد علمنا انّه ليس في الحديث
انه قبله منه بعد ان علم انّه خصيّ وعلى انّ قبول الهديّة خلاف الابتياع لان
البايع انما يحرم عليه التماس الزيادة اذا كان لو سلّم اليه بذلك الثمن فحلا اجمل
منه وانشب واخلم لم يزده والمبتاع انما يحرم عليه دفع الزيادة بذلك والبايع
ايضا لا يستام بالفحل سومه بالخصيّ وقبول الهديّة والهبة وسبيل البيع والابتياع
لا باس به اذا كان على ما وصفنا وانما هديّة الخصيّ كهديّة الثوب والعطر
والدابّة والفاكهة ولان الخصيّ لا يحرم ملكه ولا استخدامه بل لا يحلّ طرده
ونفيه وعتقه جايز وجواز العتق يوجب الملك ولو باعه المالك على غير طلب
الزيادة او لو تاب من الخصاء او استحلّه ما اتى عليه لما حرم على الخاصي نفسه استخدامه
وللخصيّ مال وملك واستخدامه حسن جميل ولانّ خصاه اياه لا يعتقه عليه ولا يزيل عنه ملكه
الّا مثل ما وجب به له الملك واخرى انّ في قبول الهديّة من ذلك الملك وتلقي كرامته بالاكرام
تدبيرا وحكمة فقد بطلت المسئلة والحمد لله وقد روى مع ذلك ايضا ان زنباعا الجذامي
خصا عبدا له وان النبي صلى الله عليه وسلم اعتقه عليه فيما بلغنا والله اعلم وربما سألوا عن
الشي وليس القول فيه يقع في نسق القول في الخصيّ وفي الخلق المركّب ولكن اذ قد جنا
في مسيلة كلاميّة من مسايل الطعن في النبوّة فلا باس ان نضيف اليها اخرى ولا سيما

اذا لم تطل فتزيد في طول الكتاب وقد لا يزال الطاعن يقول قد علمنا ان العرب لم يسمّوا
حروب ايام الفجار بالفجور وقريش خاصّة الّا لأنّ القتال في البلد الحرام في الشهر الحرام
كان عندهم فجورا وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربع عشرة
سنة وابن اربع عشرة سنة يكون بالغا وقال شهدت الفجار فكنت انبل على عمومتي وجوابنا
في ذلك انّ بني عامر بن صعصعه طالبوا اهل الحرم من قريش وكنانه بجريرة البرّاض
ابن قيس في قتله عروة الرحّال وقد علموا انهم يطالبون من لم يجن ولم يعن على جناية
وانّ البرّاض بن قيس كان قبل ذلك خليعا مطرودا فاتوهم الى حرمهم يلزموهم ذنب غيرهم
فدافعوا عن انفسهم وعن اموالهم وعن ذراريهم والفاجر لا يكون المبغيّ عليه ولذلك
اشهد الله تبارك وتعالى نبيّه ذلك الموقف وبه نصروا كما نصرت العرب على فارس
يوم ذي قار به صلى الله عليه وسلم وبمخرجه وهذا نجوابان واضحان قريبان
رجع القول الخصيّ ينكح ويتخذ الجواري ويشتد شغفه بالنساء وشغفهنّ به وهو ان
كان مجبوبا فانه قد يبقى له ما عسى ان يكون فيهنّ من ذلك اعجب اليها وقد يحتلم ويخرج منه
عند الوطي ماء ولكنه قليل متغيّر الريح رقيق ضعيف ولكن ذلك الماء لا يخرج منه الّا بعد
جهد شديد وعلاج طويل ثم لا يمنعه من المعاودة الماء الذي يخرج منه اذ كان ذلك المقدار
لا يخرجه من القوّة الى الضعف مثل الذي يخرج منه شي يكون منه انسان وهو اخثر
واكثر واحدّ ريحا واصحّ جوهرا والخصيّ يجتمع فيه امنيّة المرأة وذلك انها تبغض كل سريع
الاراقة بطي الافاقة كما تكره كل ثقيل الصدر خفيف العجز والخصيّ هو السريع الافاقة
البطي الاراقه المامون الالقاح فتقيم المرأة معه وهي آمنة للعار الاكبر فهذا اشدّ لتوفير
لذّتها وشهوتها واذا ابتذلن الخصيان وحقرن العبيد وذهبت الهيبة من قلوبهن وتعظيم
البعولة والتصنّع لذوي الاقدار باجتلاب الحياء وتكلّف التجمّل ظهر كلّ شي في قوى طبايعهنّ
وشهواتهن فامكنها التخير والصياح وان تكون مرّة فوق ومرّة اسفل واسمحت النفس
بمكنونها واظهرت اقصى ما عندها   وقد نجد في النساء من توثر النساء ونجد فيهنّ من
توثر الرجال ونجد فيهن من توثر الخصيان ونجد فيهن من تجمع ولا تفرّق وتعمّ ولا تخصّ

وكذلك شان الرجال في النساء وفي الخصيان فالمرأة تنازع الى الخصي لان امره استر
وعاقبته اسلم وتحرص عليه لانه ممنوع منها ولان ذلك حرام عليها فلها جاذبان جاذب بحرص
كما يحرص على الممنوع وجاذب امن كما يرغب في السلامة   وقال الاصمعي قال يونس بن
عبيد لو امرنا بالجزع لصبرنا   وقال الشاعر • وزادها كلفا بالحب اذ منعت • احب شيء الى الانسان ما منعا
والحرص على الممنوع باب لا يقدر على الاحتجاز منه والاحتراس من خدعه الا كل مبرز في الفطنة
ومتمهل في العزيمة وطويل التجارب فاضل العقل على قوى الشهوات وبئس الشيء قرين السوء
وقالوا صاحب السوء قطعة من النار وباب من هذا الشكل وبكم اعظم حاجة الى ان تعرفوه
وتتقوا عنه وهو ما يصنع الخبر السابق الى السمع ولا سيما اذا صادف من السامع قلة تجربة
فان قرن بين قلة التجربة وقلة التحفظ دخل ذلك الخبر السابق الى مستقره دخولا سهلا وصادف
موضعا وطيا وطبيعة قابلة ونفسا ساكنة ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخا لا حيلة
في ازالته ومتى القى الى الفتيان شيء من امور الفتيان في وقت الغرارة وعند غلبة الطبيعة
وشباب الشهوة وعند قلة الشواغل وكذلك متى القى الى الفتيان شيء من امورهن وامور
وامور الغلمان وهناك سكر الشباب فكذلك تكون حالهم وان الشطار ليخلو احدهم بالغلام
الغرير فيقول له لا يكون الغلام فتى ابدا حتى يصادق فتى فالماء العذب البارد باسرع
في طباع العطشان من كلمته اذا كان الغلام ذا هوى في الفتوة وذا نادية الى الشطارة
وكذلك العجوز المدربة بالجارية الحدثة   وقال الشاعر فيما يشبه وقوع الخبر السابق
نقل فوادك حيث شئت من الهوى • ما الحب الا للحبيب الاول • كم منزل في الارض يالفه الفتى •
وحنينه ابدا لاول منزل • وقال مجنون بني عامر • اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى •
فصادف قلبي فارغا فتمكنا • وباب آخر مما يدعو الى الفساد وهو طول وقوع البصر على الانسان
الذي في طبعه ادنى قابل وادنى حركة عند مثله وطول التداني وكثرة الروية هما اصل البلاء
كما قيل لابنة الخس لم زنيت بعبدك ولم تزني بحر وما اغراك به قالت طول السواد
وقرب الوساد ولو ان اقبح الناس وجها وانتنهم ريحا واظهرهم فقرا واسقطهم
نفسا واوضعهم حسبا قال لامرأة قد تمكن من كلامها وتمكنت من سمعها والله يا مولاتي

وسيدتي لقد اسهرت ليلي وارقت عيني وشغلتني عن مهم امري فما اعقل اهلا
ولا مالا ولا ولدا لنقض طباعها ولفسخ عقدها ولو كانت ابرع الخلق جمالا واكملهم
كمالا واملحهم ملحا فان تهيأ مع ذلك المتعشق ان تدمع عينه احتاجت هذه المرأة ان يكون
معها مثل ورع ام الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية والشجاء الخارجية
وانما قال عمر بن الخطاب اضربوهن بالعرى لان الثياب هي الداعية الى الخروج في الاعراس
والقيام في المناحات والظهور في الاعياد ومتى كثر خروجها لم يعدمها ان ترى بعض
من هو شكل طبعها ولو كان بعلها اتم حسنا والذي رأت انقص حسنا لكان ما لم تملكه
اطرف مما تملكه ولكان ما لم تنله ولم تستكثر منه اشد لها شغلا واشد لها اجتذابا
ولذلك قال الشاعر • وللعين ملهى في التلاد ولم يقد • هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف •
وقال سعيد بن سالم لان يرى حرمتي الف رجل على حال تكشف منها وهي لا تراهم احب الي
من ان ترى حرمتي رجلا واحدا غير متكشف   وقال الاول لا يضرك حسن من لم تعرف
لانك اذا اتبعتها بصرك وقد نقضت طبعك فعلمت انك لا تصل اليها بنفسك ولا بكتابك
ولا رسولك كان الذي رأيت منها كالحلم وكما يتصور المتمني فاذا انقضى ما فيه من التمني
رجعت نفسه الى شانها الاول لم يكن عليه من فقد ما رآه في النوم او مثلته له الاماني
مؤنة وقيل لعقيل بن علفة لو زوجت بناتك فان النساء لحم على وضم اذا لم يكن غانيات
قال كلا اني اجيعهن فلا ياشرن واعريهن فلا يظهرن فوافقت احدى كلمتيه قول
النبي صلى الله عليه وسلم ووافقت الاخرى قول عمر لان النبي قال الصوم وجاء
وقال عمر استعينوا عليهن بالعرى وقد جاءان الشعر بجفرة وقد اتينا على هذا الباب
في الموضع الذي ذكرنا فيه شان الغيرة واول الفساد وكيف ينبت وكيف يحصد
وقد رايت غير خصي يتلوط ويطلب الغلمان على جهة الصداقة ويحمل في ذلك الحديد
ويقاتل دون المسجون وقد كان في قطيعة الربيع خصي اثير عند مولاه عظيم المنزلة
منه وكان يثق به في ملك يمينه وفي حرمته من بنت وزوجة واخت وابنة اخت لا يخص
شيئا دون شيء فاشرف ذات يوم على حمير بداله وفي المربد غنم صفايا وقد شد يدي شاة

وقد دكهما من مؤخرها يكومها فلما ابصره برق وبعل وسقط في يديه وهجم عليه امر
لو يكون راه من خصيّ لعدو له لما فارق ذلك الهول ابدا قلبه فكيف وانما عاين الذي
عاين في من كان يخلفه في نسايه من حرمه وملك يمينه فبينا الرجل وهو واجم قد برق
وهو ينظر اليه اذ دفع الخصيّ راسه فلما ابصر مولاه مرّ مسرعا نحو باب الدار ليركب
راسه وكان المولى اقرب الى الباب منه فسبقه اليه وكان الموضع الذى راه منه موضعا
لا يصعد لحدث لشقايه امر لم يجد مولاه بدا من صعوده فلبث الخصيّ ساعة ينتفض من حمّى
ركبته ثم فاظ ولم يمس الا وهو في القبر ولفرط ارادتهم النساء وبالحسرة التى نالتهم
وبالأسف الذي دخلهم ابغضوا الفحول باشد من تباغض الأعداء فيما بينهم حتى ليس
بين الحاسد الباغي وبين اصحاب النعم المتظاهرة ولا بين الماشي المعيي وبين راكب الجلاح
الفاره ولا بين الفقير والغنيّ ولا بين ملوك صاروا سوقة وبين سوقة صاروا ملوكا ولا بين
بنى الأعمام مع وقوع التنافس او وقوع الحرب ولا بين الجيران والمتشاكلين في الصناعات
من الشنف والبغضاء بقدر ما يتحمّل عليه الخصيان للفحول وبغض الخصيّ للفحل من شكل
بغض الحاسد لذي النعمة وليس من شكل ما يولّده التنافس وتلقحه الجنايات ولرجال كلّ فنّ
وضرب من الناس ضرب من النسك اذا بدا لأحدهم في النزوع وفي ترك طريقته الأولى فنسك
الخصيّ غزو الروم ولزوم آذنه والرباط بطرسوس واشباههما فظن عند ذلك اهل الفراسة
انّ سبب ذلك انما كان لأنّ الروم لما ان كانوا هم الذين خصوهم كانوا مغتاضين عليهم وكانت
النفوس متغلّلة الى التشفّي منهم فخرج لهم مع التشفّي شدّة الاعتزام على قتالهم وعلى الانفاق
في كل شيء يبلغ منهم ونسك الخراساني ان يحجّ ونسك الجنديّ ان يدع الديوان ونسك المغنّي
ان يكثر التسبيح وهو يشرب النبيذ والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم والصلاة في جماعة
ونسك الرافضيّ اظهار ترك النبيذ ونسك السواديّ ترك شرب المطبوخ فقط ونسك
اليهوديّ اقامة السبت ونسك المتكلّم الاسراع الى اكفار اهل المعاصي والى رمي الناس
بالحيرة او بالتعطيل او بالزندقة يريد ان يوهم امورا منها انّ ذلك ليس الا من تعظيمه
للدين ومن الاغراق فيه ومنها ان يقال لو كان نطفا او مرتابا او مجتنيا على بليّة لما رمى

الناس

الناس ولرضى منهم بالمسالمة وما كان ليرميهم الا للعز الذي في قلبه ولو كان هناك من تلك
الريبة شيء لقطعه ذلك عن التعرّض لهم او التنبيه على ما عسى ان حركهم له ان يتحرّكوا
ولم نجد في المتكلمين انظف ولا اكثر عيوبا ممن يرمي خصومه بالكفر وكان ابو عبد الله
الجمّاز وهو محمد بن عمرو يتعشّق جارية لآل جعفر يقال لها طغيان وكان لهم خصيّ يحفظها
اذا ارادت المغنّين وكان الخصيّ اشدّ عشقا لها من الجمّاز وقد كان حال بينه وبين كلامها
والدنوّ منها فقال الجمّاز • ما لقيت سنان • وللظباء الملاح • اليس ذا نخصيّ •
غاز بغير سلاح • وقال • نفسي الفدا لظبي • يحبّني واحبّه • من اجل ذاك سنان •
اذا رآني يسبّه • هبه اجاب سنانا • ينيكه ابن ذبّه • وقال • ظبي سنان شريكي •
فيه فبئس الشريك • فلا ينيك سنان • ولا يدعنا ننيك • وقال الباخوري يذكر محاسن
خصال الفتيان • ونساء لمطمئنّ مقيم • ورجال ان كانت الأسفار • وقال حميد بن ثور
جلبانة ورهاء تخصي حمارها • بفي من بغى خيرا اليها الجلامد • وقال مزرد بن ضرار •
فجاءت كخاصي العير لم تحل عاجة • ولا جاجة منها تلوح على وشم • وقال عمرو بن الحارث
اذ الام على المرد • نصيح زاد ذو حرصا • ولا والله ما افلح • ما عمّرت او اخصى • وقال آخر
رماك الله من ابر بافعى • ولا عافاك من جهد البلاء • جزاك الله شرا من رفيق • اذا بلّغت بي ركب النساء
أجبنا في الكريهة حين تلقى • ونعظا ما يفتّر في الخلاء • فلولا الله ما اسرى رفيقي • ولولا البول عوجل بالخصاء
وقال بعض عبد القيس • ما كان تخذم بن واهصة الخصا • يرجو المناكح في بني الجارود •
ومن انتكاس الدهران ذُق جمّا • ولكلّ دهر عثرة وجدود • لو كان منذر اذ خطبت اليهم •
حيا خصاك بذاك يا داود • قال ابو عبيدة وحدّثني ابو الخطّاب قال كان عندنا رجل احدب سقط
في بير فذهبت حدبته وصار ادر فقيل له كيف تجدك قال الذى جاء شرّ من الذي ذهب
وحدّث ابو الحسن عن بعض رجاله قال خرج معوية ذات يوم يمشي ومعه خصيّ له اذ دخل
على ميسون ابنة بحدل وهي ام يزيد فاستترت منه فقال تستترين منه وانما هو مثل المرأة
قالت اترى ان المثلة به تُحلّ له ما حرّم الله **ما جا في خصا الدواب** ذكر آدم بن سليمن عن
الشعبي قال قرأت كتاب عمر الى سعد ينهى عن حذف اذناب الخيل واعرافها وعن خصائها

وبأمره ان تجري من راس المايتين وهو اربعة فراسخ وسفين الثوري عن عاصم بن عبيد الله
عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر ان عمر كان ينهى عن خصاء البهايم ويقول هل الانماء
الا في الذكور وشريك بن عبد الله قال اخبرني ابراهيم بن المهاجر عن ابراهيم النخعي
ان عمر نهى عن خصاء الخيل سفين الثوري عن ابراهيم بن المهاجر قال كتب عمر بن الخطاب
لا تجرين فرسا الا من المايتين ولا تخصين فرسا قال وسمعت نافعا يقول كان عبد الله
بن عمر يكره خصاء الذكور من الابل والبقر والغنم وعبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تخصى ذكور الخيل والابل والبقر والغنم ويقول
فيها نشأة الخلق ولا تصلح الاناث الا بالذكور ومحمد بن ابي ذيب قال سألت الزهري هل
بخصاء البهايم باس قال اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن صبر الروح قال الزهري والخصاء صبر شديد وابو جعفر الرازي قال
حدثنا الربيع بن انس عن انس بن مالك في قوله تعالى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال هو الخصاء
وابو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس مثله ابو بكر الهذلي قال سألت الحسن عن خصا
الدواب فقال تسألني عن هذا لعن الله من خصا الرجال ابو بكر الهذلي عن عكرمة في قوله
ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال الخصاء الدواب قال وقال سعيد بن جبير اخطأ هو دين الله
نصر بن طريف قال حدثنا قتادة عن عكرمه في قوله فليغيرن خلق الله قال الخصا البهايم
فبلغ مجاهدا فقال كذب هو دين الله فمن العجب ان الذي قال عكرمة هو الصواب ولو
كان هو الخطأ لما جاز لاحد ان يقول له كذب والناس لا يضعون هذه الكلمة في موضع
خطاء الرأي ممن يظن به الاجتهاد وكان ممن له ان يقول ولو ان انسانا سمع قول الله
تبارك وتعالى فليغيرن خلق الله قال انما يعني الخصاء لم يقبل ذلك منه لان اللفظ ليست
فيه دلالة على شيء دون شيء واذا كان اللفظ عاما لم يكن لاحد ان يقصد به الى شيء
بعينه الا ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوة الآية ويكون جبريل قال
ذلك للنبي لان الله تبارك وتعالى لا يضمر ولا ينوي ولا يخص ولا يعم بالقصد وانما
الدلالة بنية الكلام نفسه فصورة الكلام هو الارادة وهو القصد وليس بينه وبين

السمع

الله عمل آخر كالذي يكون من الناس تعالى الله عن قول المشبهة علوا كبيرا . ابو جرير عن عمار
بن ابي عمار ان ابن عباس قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال هو الخصاء . وابو جرير عن
عن قتاده عن عكرمة عن ابن عباس مثله . ابو داود النخعي عن محمد بن سعيد عن عبادة بن
نسي عن ابراهيم بن محيريز قال كان احب الخيل الى سلف المسلمين في عهد عمر وعثمان ومعويه
الخصيان فانه اخفى للكمين والطلايع وابقى على الجهد . ابو جرير قال اخبرني ابن جريج
عن عطا انه لم ير باسا بخصاء الدواب . وابو جرير عن ايوب عن ابن سيرين انه لم يكن
يري باسا بالخصاء ويقول لو تركت الفحولة لاكل بعضها بعضا . وعمرو ويونس عن
الحسن انه لم يكن يري باسا بخصاء الدواب . سفين بن عيينه عن مالك بن المغول
عن عطا انه سئل عن خصاء البغل فقال اذا خيف عضاضه . وسفين بن عيينه عن ابن
طاوس عن ابيه انه خصى بعيرا رجع الكلام الى الخلق المركب وتلاقح الاجناس المختلفة
زعموا ان العسبار ولد الضبع من الذيب وجمعه عسابر وقال الكميت
وتجمع المتفرقون به من الفراغل والعسابر . يرميهم انهم اخلاط ومعلجون . وزعموا
ان السمع ولد الذيب من الضبع ويزعمون ان السمع كالحية لا تعرف العلل ولا تموت
حتف انفها ولا تموت الا بعرض يعرض لها ويزعمون انه ليس بعد وشيء كعدو السمع
وانه اسرع من الريح والطير . وقال سهم بن حنظله يصف فرسه .
فاغص المعواذل وادم الليل عن عرض . بذي سبيب يقاسي ليله خببا .
كالسمع لم ينقب البيطار سرته . ولم يلجه ولم يغمز له عصبا . وقال ابن كناسة
كالعقاب الطلوب يضربها الطل . وقد صوبت على عسبار . وقال سور الذيب
هو سمع اذا تمطر مشيا . وعقاب يحثها عسبار . يقول اذا اشتد هرب المطلوب الهارب
من الطالب الجاد فهو احث للطالب واذا صار كذلك صار المطلوب حينئذ في معنى من يحث
الطالب اذ صار افراط سرعته سببا لافراط طلب العقاب . وقال تابط شرا
مسبل في الحي احوي رفل . واذا يعدو فسمع ازل . وانما قال انه ازل وجعله عاديا
ووصفه بذلك لانه ابن الذيب . وزعموا ان ولد الذيب من الكلبة يقال له الديسم ورووا

لبشار بن برد في ديسم العنزي انه قال ۰ اديسم يا ابن الذئب من نسل زارع ۰
اتروي هجائي سادرا غير مقصر ۰ وزارع اسم للكلب يقال للكلاب اولاد زارع
وزعم صاحب المنطق ان اصنافا اخر من السباع المتزاوجات المتلاقحات مع اختلاف
الجنس والصورة معروفة النتاج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في ارض رومية
قال وتتولد ايضا كلاب سلوقية من ثعالب وكلاب قال وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية
طاغرس وبين الكلاب تحدث هذه الكلاب الهندية قال وليس يكون ذلك من الولادة
الاولى وزعم ان نتاج الاول يخرج صعبا وحشيا لا يلقن ولا يالف وزعم ان الكلبة
تعرض لهذا السبع حتى تلقح ثم تعرض لمثله مرارا حتى يكون جرو البطن الثالث قليل
الصعوبة يقبل التلقين وانهم ياخذون اناث الكلاب ويربطونها في تلك البراري
فيجي هذه السباع وتسفدها وليس في الارض انثى يجتمع على حب سفادها ولا ذكر
يجتمع له من النزاع الى سفاد الاجناس المختلفة اكثر في ذلك من الكلب والكلبة قال واذا
ربطوا هذه الكلاب الاناث في تلك البراري فان كانت هذه السباع هائجة سفدتها
وان لم يكن السبع هائجا فالكلبة ماكولة وقال ابو عدنان
ايا باكي الاطلال في رسم دمنة ۰ ترودها عين المها والجآذر ۰ وعانات جوال وهيق سفنج ۰
وسنداوة نضناضة وحضاجر ۰ وسمع خفي الرز تجت ودوبل ۰ وترملة تعتادها وعسابر ۰
وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق قبل وما نظن بمثله ان يخلد على نفسه في الكتب شهادات
لا يحققها الامتحان ولا يعرف صدقها اشباهه من العلماء وما عندنا في معرفة ما ادعا
الا هذا القول واما الذين ذكروا في اشعارهم العسبار والسمع فليس في ظاهر
كلامهم دليل على ما ادعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف فادينا الذي قالوا
وامسكنا عن الشهادة اذ لم نجد عليها برهانا وللناس في هذا الضرب ضروب
من الدعوى وعلماء السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها كالذي يدعون من
اولاد السعالي من الناس كما ذكروا عن عمرو بن يربوع وكما ذكروا رواية ابي
زيد النحوي عن السعلاة التي كانت اقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم فلما رأت

برقا من شق بلاد السعالي يلمع حنت فطارت اليهم ۰ فقال شاعرهم ۰
راى برقا فاوضع فوق بكر ۰ فلا يا ما اسال وما اغاما ۰ وانشد في ان الجن طرقوا بعضهم
اتوا ناري فقلت منون انتم ۰ سراة الجن قلت عموا ظلاما ۰ فقلت الى الطعام فقال منهم
زعيم يحسد الانس الطعاما ۰ ولم اعب الرواية وانما عبت الايمان بها والتوكيد لمعانيها
فما اكثر من يروي هذا الضرب على التعجب منه وعلى ان يجعل الرواية سببا لتعريف الناس
حق ذلك من باطله وابو زيد واشباهه مامونون على الناس الا ان كل من لم يكن
متكلما حاذقا وكان عند العامة قدوة واماما فاقرب افساده لهم من افساد المتعمد
لافسادهم وانشدونا في تثبيت اولاد السعلاة ۰ تقول جمع من بوان ووتد ۰
وحسن ان كلفتني ما اجد ۰ مالم تقاجي بابان او احد ۰ او ولد السعلاة او جرو الاسد
او ملك الاعجم ماسور ابقد ۰ وقال الآخر ۰ يا قاتل الله بني السعلاة ۰ عمرا وقابوسا شرار النات
وذكروا ان جرهما كان من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم قال وكان الملك من الملائكة اذا
عصى ربه في السماء اهبطه الى الارض في صورة رجل وفي طبيعته كما صنع بهاروت
وماروت حين كان من شانهما وشان الزهرة وهي اناهيد ما كان فلما عصى الله بعض
الملائكة واهبطه الى الارض في صورة رجل تزوج ام جرهم فولدت منه جرهما ۰ ولذلك
قال شاعرهم ۰ لاهم ان جرهما عبادكا ۰ الناس طرف وهم تلادكا ۰ ومن هذا النسل ومن
هذا الضرب من الخلق والتركيب كانت بلقيس ملكة سبا وكذلك كان ذو القرنين كانت امه
فيرى آدمية وابوه عبري من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رجلا ينادي رجلا يا ذا
القرنين فقال افرغتم من اسماء الانبياء فارتفعتم الى اسماء الملائكة وروي الخنادرين
ابي عبيد ان عليا كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط وزعموا ان التناكح والتلاقح
قد يقع بين الجن والانس لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد وذلك لان الجنيات
انما تعرض لصرع رجال الانس على جهة العشق وطلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء
بني آدم ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء ونساؤهم للرجال والنساء ومن
زعم ان الصرع من المرة رد قول الله تعالى الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم

الذي يتخبطه الشيطان من المس وقال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فلو كان للجان
لا تقتض الآدميات ولم يكن ذلك قط وليس ذلك في تركيبه لما قال الله هذا القول
وزعموا ان النسناس تركيب ما بين الشق والانسان ويزعمون ان خلقا من وراء السد
تركيب من النسناس والناس والشق وياجوج وماجوج وذكروا ان الواق واق والدوال
الهم نتاج ما بين بعض النبات وبعض الحيوان وذكروا ان امة كانت في الارض امر الله
الملائكة فاجلوهم واياهم عنوا بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك ولذلك قال الله جل وعز لآدم وحواء ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين فهذا يدل على ان ظالما قد كان . قال الاصمعي او خلف في ارجوزة مشهورة ذكر
فيها طول عمر الحية . ارقش ان اسبط او تثنا ، حسبت وردا خالط اليرنا ،
خالطه من هاهنا وهنا ، اذا تراآه الحواة استنا ، قال وكان يقال لتلك الامة همهنا
وزعم المجوس ان الناس من ولد مهنة ومهينة وانهما تولدا في ما بين ارحام الارضين
ونطفتين انحدرتا من عيني ابن هرمز حين قتله . وحماقات اصحاب الاثنين كثيرة في هذا
الباب ولولا اني احببت ان تسمع نوعا من الكلام ومبلغ الراي لتحدث لله شكرا على السلامة
لما ذكرت لك كثيرا من هذا الجنس . وزعم ابن هيثم انه راى بالكوفة فتى من ولد عبد الله
ابن هلال الحميري صديق ابليس وختنه وانهم كانوا لا يشكون ان ابليس جد من
قبل امهاته وسنقول في ذلك بالذي يجب ان شا الله وصلة هذا الكلام يجي بعد هذا
وقلت ولو تم للكلب معنى السبع وطباعه لما الف الانسان واستوحش من السبع
وكره الغياض والف الدور واستوحش من البراري وجانب القفار والف المجالس والديار
ولو تم له معنى البهيمة في الطبع والخلق والغذاء لما اكل الحيوان وكلب على الناس نعم حتى
ربما وثب على صاحبه وكلب على اهله وقد ذكر ذلك طرفة فقال
كنت لنا والدهور آونة ، تقلب حال النعيم بالبوس ، ككلب طسم وقد تربته ،
يعله بالحليب في الغلس ، ظل عليه يوما يعزفره ، الا يلغ في الدماء ينتهس ،
وقال الحاجب بن ذبيان المازني في مثل ذلك

وكم من عدو

وكم من عدو قد اعنتم عليكم ، بمال وسلطان اذا اسلم الحبل ، كذي الكلب لما اسمن الكلب رابه
باحدى الدواهي حين فارقه الهزل ، وقال عوف بن الاحوص
فاني وقيسا كالمسمن كلبه ، فخدشه انيابه واظافره ، وانشد ابن الاعرابي لبعضهم
وهم سمنوا كلبا لياكل بعضهم ، ولو ظفروا بالحزم ما سمن الكلب ، وفي المثل سمن كلبك
ياكلك . وكان رجل من اهل الشام مع الحجاج بن يوسف وكان يحضر طعامه فكتب الى
اهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب وانه قد سمن فكتبت اليه امراته
اتهدي لي القرطاس والخبز حاجتي ، وانت على باب الامير بطين ،
اذا غبت لم تذكر صديقا وان تقم ، فانت على ما في يديك ضنين ،
فانت ككلب السوء في جوع اهله ، فيهزل اهل الكلب وهو سمين ،
وفي المثل سمن كلب في جوع اهله وذلك عند السواف يصيب المال والاخراج يعرض للنوق
وعلى انه حارس محترس منه ومونس شديد الايحاش من نفسه واليف كثير الجناية
على الفه وانما اقتنوه على ان ينذرهم بموضع السارق وتركوا طرده ليبيتهم على مكان
المبيت وهو اسرق من كل سارق وادوم جناية من ذلك المبيت ويدل على انه سروق
عندهم قول الشاعر . اني ان سرى كلب فبيت جلة ، وجبجبة للوطب ليلى تطلق ،
فهو سراق وصاحب بيات وهو نباش واكل لحوم الناس الا انه يجمع سرقة الليل مع سرقة
النهار ثم لا تجده ابدا يمشي في خزانة او مطبخ او عرصة دار او في طريق او في برية او
ظهر جبل او في بطن واد الا وخطمه في الارض يتشمم ويستروح وان كانت الارض
بيضاء حصباء ودوية ملساء او صخرة خلقاء حرصا وجشعا وشرها وطمعا نعم حتى
لا تجده ايضا يرى كلبا الا شم استه ولا يشتم غيرها منه ولا تراه يرمي بحجر الا رجع
فعض عليه لانه لما كان لا يكاد ياكل الاشيا رموا به اليه صار ينسى لفرط شرهه وغلبة
الجشع على طبعه ان الرامي انما اراد عقره او قتله فيظن لذلك انه انما اراد اطعامه و
الاحسان اليه كذلك يخيل اليه فرط النهم وتوهمه غلبة الشره ولكنه رضي بنفسه على
الناس عجزا ولؤما وفسولة ونقصا وخاف السباع واستوحش من الصحاري ولما

سمعوا بعض المفسرين يقول في قوله تعالى و في اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم
ان المحروم هو الكلب وسمعوا في المثل اصنعوا المعروف ولو الى الكلب عطفوا عليه ثم
اتخذوه في الدور على ان ذلك لا يكون الا من سفلتهم واغبيائهم ومن قل تعززه وكثر
جهله ورد الاثار اما جهلا واما معاندة **فاما الديك** فمن بهايم الطير وبغاثها ومن كلولها
والعيال على ربابها وليس من احرارها وكواسبها ولا من عتاقها وجوارحها ولا مما يطرب
بصوته ويشجو بلحنه كالقماري والدباسي والشفانين والوراشين والبلابل والفواخت
ولا مما يونق بمنظره ويمتع الابصار حسنه كالطواويس والتدارج ولا مما يعجب بهدايته ويعقد
الذمام بالفه ونزاعه وشدة انسه وحنينه وتربيه بارادته لك وتعطف عليه لحبه اياك كالحمام
ولا هو من ذوي الطيران منها فهو طاير لا يطير وبهيمة لا يصيد ولا هو ايضا ممن يكون
صيدا فيمتنع من هذه الجهة ويراد لهذه اللذة والخفاش امرط وهو جيد الطيران والديك كاس
وهو لا يطير واي شيء اعجب من ذي ريش ارضي ومن ذي جلد هوايي واجمع الخلق لخصال
الخير الانسان وليس الزواج الا في الناس و في الطير فلو كان الديك من غير الطير ثم كان مما
لا يزاوج لقد كان منع هذه الفضيلة وعلم هذه المشاكلة القريبة وحرم هذا السبب الكريم والشبه
المحمود فكيف وهو لا يزاوج وهو من الطير الذي ليس الزواج والالف وثبات العهد وطلب
الذرء وحب النسل والرجوع الى السكن والحنين الى الوطن الا له و للانسان فكل شيء لا يزاوج
فانما دخله النقص وخسر هذه الفضيلة من جهة واحدة وقد دخل الديك النقص من جهتين و وصف
ابو الاخزر الحماني الحمار وعير العانة خاصة فانه امثل في باب المعرفة من الاهلي فذكر كيف يضرب
في الاتن ووصف استهامه عن طلب الولد وجهله بموضع الذرء وان الولد لم يجي منه عن
طلب له ولكن النطفة البرية من الاسقام اذا لاقت الارحام البرية من الاسقام حدث
النتاج على الخلقة وعلى ما سويت عليه البنية وذكر ان نزوه على الاتان من شكل نزوه على
العير وانما ذلك على قدر ما يحضره من الشبق ثم لا يلتفت الى دبر من قبل ولا الى ما يلقح من مثله
مما لا يلقح . فقال . لا مبتغي الضن و لا بالعازل . يقول هو لا يريد الولد و لا يعزل و الاشياء
التي تألف الناس ولا تريد سواهم ولا تحن الى غيرهم كالخطاف والعصفور والكلب والسنور

والديك

والديك لا يألف منزله ولا ربعه ولا ينازع الى دجاجة وطروقته ولا يحن الى ولد بل لم يدر
قط ان له ولدا ولو دري لكان على درايته دليل فاذ قد وجدناه لبيضه وفراريجه الكاينة
منه كما نجده لما لم يلده ولما ليس من شكله ولا يرجع الى نسبه فكيف تعرف الامور الا بهذا
وشبهه وهو مع ذلك ابله لا يعرف اهل داره ومبهوت لا يعرف وجه صاحبه وهو لم يخلق
الا عنده وفي ظله وفي طعامه وشرابه وتحت جناحه والكلب على ما فيه يعرف صاحبه وهو
والسنور يعرفان اسمائهما ويألفان مواضعهما وان طردا رجعا وان اجيعا صبرا وان اهينا
احتملا والديك يكون في الدار من لدن كان فروجا صغيرا الى ان صار ديكا كبيرا وهو ان
خرج من باب الدار او سقط على حايط من حيطان الجيران او على موضع من المواضع لم يعرف
كيف الرجوع وان كان يرى منزله قريبا وسبيل المطلب يسيرا ولا يذكر ولا يتذكر ولا يهتدي
ولا يتصور له كيف الاهتداء ولو حن لطلب ولو احتاج لالتمس ولو كان هذا الخبر في طباعه
لظهر ولكنها طبيعة بلهاء مستبهمة وذاهلة طامحة ثم يسفد الدجاجة ولا يعرفها هذا مع شدة
حاجته اليهن وحرصه على السفاد والحاجة تفتق الحيلة وتدل على المعرفة الا ما عليه الديك
فانه مع حرصه على السفاد لا يعرف التي يسفد ولا يقصد الى ولد ولا يحضن بيضه ولا
تعطفه رحم فهو من هاهنا احمق من الحبارى واعق من الضب قال عثمان بن عفان كل شيء يحب
الولد حتى الحبارى فضرب بها المثل كما ترى في الموق والغفلة وفي الجهل والبله وتقول
العرب اعق من الضب لانه يأكل حسوله وكرم عند العرب حظ الهرة لقولهم ابر من هرة
واعق من ضب فوجهوا اكل الهرة اولادها على شدة الحب لها ووجهوا اكل الضب اولاده
على شدة البغض لها وليس ينجو منه شيء الا لشغله بأكل اخوته عنه وليس يحرسها مما
يأكلها الا الله كلها ولذلك قال العملس بن عقيل لابيه عقيل بن علفة
اكلت بنيك اكل الضب حتى . وجدت مرارة الكلاء الوبيل . فلو ان الالى كانوا شهودا .
منعت فناء بيتك من بجيل . وقال ايضا . اكلت بنيك اكل الضب حتى .
تركت بنيك ليس لهم عديد . وشبه السيد بن محمد الحميري عايشة رضي الله عنها
في نصبها للحرب يوم الجمل لقتال بنيها بالهرة حين تاكل اولادها . فقال في ذلك

جأت مع الأشقين في هودج . تزجي الى البصرة اجنادها . كأنها في فعلها هرة .
تريد ان تأكل اولادها . وتقول العرب احمق من جهيزه وهي عرس الذيب لأنها تدع ولدها
وترضع ولد الضبع قال وهذا معنى قول جذل الطعان . كمرضعة اولاد اخرى وضيعت
بنيها فلم ترقع بذلك مرقعا . ويقولون ان الضبع اذا اصيدت او قتلت فان الذيب يأتي اولادها
باللحم وانشدوا قول الكميت . كما خامرت في حضنها ام عامر . لدى الحبل حتى عال اوس عيالها .
فاوس هو الذيب . وقال في ذلك . لكل يوم من ذؤاله . ضغث يزيد على أباله .
فلا حشانك مشقصا . اوسا اويس من الهباله . الاوس الاعطاء واويس الذيب . وقال
الهذلي . ياليت شعري عنك والامر امم . ما فعل اليوم اويس بالغنم . وقال امية بن ابي
الصلت . وابو اليتامى كان يحسن اوسهم . ويحوطهم في كل عام جاحد . ويقولون احمق
من نعامة كما يقولون اشرد من نعامة قالوا ذلك لأنها تدع الحضن على بيضها ساعة الحاجة
الى المطعم فان هي في خروجها ذلك رات بيض اخرى قد خرجت للطعم حضنت بيضها
ونسيت بيض نفسها ولعل تلك ان تصاد فلا ترجع الى بيضها حتى تهلك قالوا ولذلك
قال بن هرمه . فاني وتركي ندى الاكرمين . وقدحي بكفي زندا شحاحا .
كتاركة بيضها بالعراء . وملبسة بيض اخرى جناحا . وقد يحضن الحمام على بيض
الدجاج وتحضن الدجاجة على بيض الطاوس فاما ان يدع بيضه ويحضن بيض الدجاج
او تدع الدجاجة بيضها وتحضن بيض الطاوس فلا فاما فروج الدجاجة اذا خرج من تحت
الحمامة فأنه يكون اكيس وأقماء فاما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاج فيكون اقل
حسنا وابغض صوتا وكل بيضة في الارض فان اسم الذي فيها والذي يخرج منها فرخ الا
بيض الدجاج فانه يسمى فروجا ولا يسمى فرخا الا ان الشعرا يجعلون الفروج فرخا على
التوسع في الكلام ويجوزون في الشعر اشياء لا يجوزونها في غير الشعر قال الشاعر
لعمري لأصوات المكاكي في الضحى . وسود تداعي بالعشي نواعبه .
احب الينا من فراخ دجاجة . ومن ديك نباط تنوس غباغبه . وقال الشماخ
الا من مبلغ خاقان عني . تأمل حين يضربك الشتاء . فيجعل في جنابك من صغير .

دهن

ومن شيخ اضربه الفناء . فراخ دجاجة يتبعن ديكا . يلذن به اذا احمس الوغاء .
قلت واي شي يبلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك حتى يتفرغ لذكر محاسنهما ومساويهما
والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما شيخان من علية المتكلمين ومن جلة المتقدمين وعلى انهما
متى ابرما هذا الحكم وافضيا هذه القضيه صار لهذا التدبير نهما حظ وحكمة وفضيلة وديانة
وقلدهما كل من هو دونهما وسيعود ذلك عذرا لهما اذا رايتهما يوازنان بين الذبان وبنات
وردان وبين الخنافس والجعلان وبين جميع اجناس الهمج واصناف الحشرات والخشاش
حتى البعوض والفراش والديدان والقردان فان جاز هذا في الرأي وتم عليه العامة
هذا الضرب من النظر عوضا من النظر في التوحيد وصار هذا الشكل من التمييز خلفا
من التعديل والتجوير وسقط القول في الوعد والوعيد ونسي القياس في الأسماء
والحكم وبطل الرد على اهل الملل والموازنة بين جميع النحل والنظر في مراشد الناس ومصالحهم
وفي منافعهم ومرافقهم لان قلوبهم لا تتسع للجميع والسنتهم لا تنطلق بالكل وانما الرأي
ان يتولاهم من يبدأ بالفتق الأعظم فالاعظم والأخوف فالأخوف وقلت وهذا باب
من ابواب الفراغ وشكل من اشكال التظرف وطريق من طرق المزاح وسبيل من
سبل المضاحك ورجال الجد غير رجال الهزل وقد يحسن الشي بالشباب ويقبح مثله
من الشيوخ ولولا التحصيل والموازنه والأبقاء على الادب والديانة بشدة المحاسبه
لما قالوا لكل مقام مقال ولكل زمان رجال ولكل ساقطة لاقطه ولكل طعام آكل
وقد زعم ناس ان كل انسان ففيه مرفق من المرافق واداة لمنفعة من المنافع ولابد
لتلك الطبيعة من حركة وان ابطأت ولابد لذلك الكامن من ظهور فان امكنه ذلك
بعثه والا سري اليه كما يسري السم في البدن وكما يسري العرق كما ان البزور والبرية
والحبة الوحشية الكامنة في ارحام الارضين لابد لها من الحركة عند زمان الحركة
ومن التفتق والانتشار في ابان الانتشار واذا صارت الامطار لتلك الارحام كالنطفة
وصار بطن الارض كالام الغاذية فلابد لكل ذي قوى ان يظهر قوته كما قال الأول
ولابد للمصدور يوما من النفث . ولابد من شكوى اذا لم يكن صبر .

ولذلك صار طلب الحساب احب الى بعضهم وطلب الطب احب الى بعضهم وكذلك
النزاع الى الهندسة وشغف اهل النجوم بالنجوم ولذلك ايضا ما تحرك له بعد الكبرة
وصرف رغبته اليه بعد الكهولة على قدر قوة العرق في بدنه وعلى قدر الشواغل
له وما يعترض عليه فتجد واحدا يلهج بطلب الغناء واللحون وآخر يلهج بشهوة القتال
حتى يكتتب مع الجند وآخر يختار ان يكون خبازا او وراقا وآخر يختار طلب الملك وتجدهم
على قدر العلل الباطنة المحركة لهم ثم لا يدري كيف عرض لهذا السبب دون الآخر والا
بجملة من القول ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم لما اختار ذلك
في جملة ولا تفسير اذ كان لم يجر منه في عرق ولا اختاره على ارث وليس العجب من
رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الامور ويحركه في بعض الجهات
ولكن العجب ممن يموت على ان يكون مغنيا وهو لا طبع له في معرفة الوزن وليس
له جرم حسن فيكون ان فاته ان يكون معلما او مغني خاصة ان يكون مطربا ومغني
عامة وآخر قد مات على ان يذكر بالجود وان يسخى على الطعام وهو ابخل الخلق طبعا
فتراه كلفا باتخاذ الطيبات ومستهترا بالتكثير منها ثم هو ابدا مفتضح وابدا منتقص
الطباع ظاهر الخطأ سيئ الجزع عند مواكلة من كان هو الداعي له والمرسل اليه
والعارف بمقدار النعمة وغاية اكله فان زعمتم ان كل واحد من هؤلاء انما هو رهن باسبابه
واسير في ايدي علله عندكم جميع اللئام وجميع المقصرين وجميع الفاسقين والضالين
فان كان الامر الى التمكين دون التسخير فليس من اعجب العجب ومن اسوء التقليد
التمثيل بين الديكة والكلاب قد عرفنا قولك وفهمنا مذهبك فاما قولك وما بلغ من
خطر الديك وقدر الكلب فان هذا ونحوه كلام عبد لم يفهم عن ربه ولم يعقل عن
سيده الا بقدر فهم العامة او الطبقة التي تلي العامة كانك فهمك الله تظن ان خلق
الحية والعقرب والنمر فخلق الفراش والذبان والحكمة في خلق الذباب والاسد
وكل مبغض اليك ومحقر عندك او مسخر لك او واثب عليك ان التدبير فيه مختلف
او ناقص وان الحكمة فيه صغيرة او ممزوجة اعلم ان المصلحة في امر ابتداء الدنيا

الى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالسار والضعة بالرفعة
والكثرة بالقلة ولو كان الشر صرفا هلك الخلق ولو كان الخير محضا سقطت المحنة و
وتقطعت اسباب الفكرة ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ومتى بطل التخيير ذهب
التمييز ولم يكن للعالم تثبت ولا توقف ولا تعلم ولم يكن علم ولم يعرف باب التبين
ولا دفع المضرة ولا اجتلاب المنفعة ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا
تفاضل في بيان ولا تنافس في درجة وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ولم يكن على
ظهرها محق يجد عز الحق ومبطل يجد ذل الباطل وموقن يجد برد اليقين وشاك يجد
نقص الحيرة وكرب الوجوم ولم تكن للنفوس آمال ولم تتشعبها الاطماع ومن لم يعرف
كيف الطمع لم يعرف اليأس ومن جهل اليأس جهل الأمن وعادت الحال من الملائكة الذين هم
صفوة الخلق ومن الانس الذين فيهم الانبياء والاولياء الى حال السبع والبهيمة والى
الغباوة والبلادة والى حال النجوم في السخرة فانها انقص من حال البهائم في الرفعة ومن
هذا الذي يسره ان يكون الشمس والقمر والنار والثلج او برجا من البروج او قطعة
من الغيم او يكون المجرة باسرها او مكيالا من الماء او مقدارا من الهواء وكل شيء في العالم
فانما هو للانسان ولكل مختبر ومختار ولاصحاب العقول والاستطاعة ولاهل التبين
والروية واين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع الدم واكل اللحم من سرور الظفر
بالاعداء ومن انفتاح باب العلم بعد ادمان القرع واين ذلك من سرور السودد ومن
عز الرياسة واين ذلك من حال النبوة والخلافة ومن عزهما وساطع نورهما واين تقع لذة
درك الحواس الذي هو ملاقاة المطعم والمشرب وملاقاة الصوت المطرب واللون
المونق والمجسة اللينة من السرور بنفاذ الامر والنهي وبجواز التوقيع وبما يوجب الخاتم
من الطاعة ويلزم من الحجة ولو استوت الامور بطل التمييز واذا لم تكن كلفة لم تكن
مثوبة ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكل على الله واليقين بانه الوزر والحافظ والكالئ
والدافع وان الذي يحاسبك اجود الاجودين وارحم الراحمين وانه الذي يقبل اليسير
ويهب الكثير ولا يهلك عليه الا هالك ولو كان الامر على ما يشتهيه الغرير والجاهل

بعواقب الامور لبطل النظر وما يشحذ عليه ويدعو اليه ولتعطلت الارواح
من معانيها والعقول من ثمارها ولعدمت الاشياء حظوظها وحقوقها فسبحان
من جعل منافعها نعمة ومضارها ترجع الى اعظم المنافع وقسمها بين ملذ ومولم
وبين مونس وموحش وبين صغير حقير وجليل كبير وبين عدو يرصدك وبين
غفل يحرسك وبين مسالم يمنعك وبين معين يعضدك وجعل في الجميع تمام المصلحة
وباجتماعها تتم النعمة وفي بطلان واحد منها بطلان الجميع قياسا قايما وبرهانا
واضحا لان الجميع انما هو واحد ضم الى واحد وواحد ضم اليهما ولان الكل ابعاض
ولان كل جثة فمن اجزاء فاذا جوزت دفع واحد والآخر مثله في الوزن وله مثل علته
وحظه ونصيبه فقد جوز دفع الجميع لانه ليس الاول باحق من الثاني في الحق الذي
جوزت فيه ابطال الاول وكذلك الثالث والرابع حتى تاتي على الكل وتستفرغ الجميع
كذلك الامور المضمنة والاسباب المقيدة الا ترى ان الجبل ليس بادل على الله من الحصاة
وليس الطاوس المستحسن ادل على الله من الخنزير المستقبح والنار والثلج وان اختلفا
من جهة البرودة والسخونة فانهما لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة واظنك ممن يرى
ان الطاوس اكرم على الله من الغراب وان التدرج اعز على الله من الحدأة وان الغزال
احب الى الله من الذيب وانما هذه امور فرقها الله في عيون الناس وميزها في طبايع العباد
فجعل بعضها اقرب شبها وجعل بعضها انسيا وبعضها وحشيا وبعضها عاديا وبعضها
قاتلا وكذلك الدرة والخرزة والتمرة والجمرة فلا تذهب الى ما تريك العين واذهب الى
ما يريك العقل وللامور حكمان حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة
وقد علمنا ان خزنة النار من الملايكة ليسوا بدون خزنة الجنة وان ملك الموت ليس بدون
ملك السحاب وان اتانا بالغيث وجلب الحياة وجبريل الذي ينزل بالعذاب ليس دون
ميكايل الذي ينزل بالرحمة وانما الاختلاف في المطيع والعاصي وفي طبقات ذلك ومواضعه
ولا اختلاف بين اصحابنا انهم اذا استووا في المعاصي استووا في العقاب واذا استووا في
الطاعة استووا في الثواب واذا استووا في علم الطاعة والمعصية استووا في التفضل

هذا هو اصل المقالة والقطب الذي تدور عليه الرحا وقد قال الله عز وجل والتين
والزيتون فزعم زيد بن اسلم ان التين دمشق والزيتون فلسطين وللغالية في
هذا تاويل ارغب عن ذكره وقد اخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج القسم
وما نعرف دمشق الا بدمشق ولا فلسطين الا بفلسطين فان كنت انما تقف من
ذكر التين على مقدار طعم يابسه ورطبه وعلى الاكتنان بورقه واغصانه والوقود
بعيدانه ولانه صالح لصاحب البسل وهو غذاء قوي ويصلح في مواضع من الدواء
وفي الاضمدة وانه ليس شي احلى الا وهو ضار بالاسنان غيره وانه عند اهل الكتاب
الشجرة التي اكل منها آدم وبه سترا العورة عند نزول العقوبة وان صاحب البواسير
باكله ليذهب عنه الثقل ويسهل عليه مخرج الزبل وتقف من الزيتون على زيته والاصطباغ
به وعلى التادم بهما والوقود بشجرهما وعلى ما اشبه ذلك من امرهما فقد اسات ظنا بالقران
وجهلت فضل التاويل وليس لهذا المقدار عظمهما الله عز وجل واقسم بهما ونوه بذكرهما
ولو وقفت على جناح بعوضة وقوف معتبر وتاملته تامل مفكر بعد ان تكون ثاقب النظر
سليم الآلة غواصا على المعاني لا يعتريك من الخواطر الا على حسب عقلك ولا من الشواغل
الا ما زاد في نشاطك لملأت مما توجدك العبرة من غرايب الحكمة الطوامير الطوال والجلود
الواسعة الكبار ولرايت ان له من كثرة التصرف في الاعاجيب ومن تقلبه في طبقات
الحكمة ولرايت له من الغزر والريع ومن الحلب والدر ولانبجس عليك من كوامن المعاني
ودفاينها ومن خفيات الحكم وينابيع العلم ما لا يشتد معه تعجبك ممن وقف على ما في الكلب
من الخصال العجيبة وفي الكلب من الامور الغريبة ومن اصناف المنافع وفنون المرافق
ومع ما فيهما من المحن الشداد ومع ما اودعا من المعرفة التي متى تجلت لك تصاغر
عندك كبير ما تستعظم وقل في عينك كثير ما تستكثر كانك تظن ان شيا وان خس
عندك في ثمنه ومنظره ان الحكمة التي في خلقه انما هي على مقدار ثمنه ومنظره وقد قال
الله عز وجل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله والكلمات في هذا الموضع ليس يريد بها القول والكلام المولف

من المعروف وانما يريد النعم والاعاجيب والصفات وما اشبه ذلك فان كل فن من
هذه الفنون لو وقف عليه رجل رقيق اللسان صافي الذهن صحيح الفكر تام الأداة
لما برح ان يحسره للمعاني وتعوزه الحكم وقد عيي المتكلمون والروساء والجلة العظماء
في التمثيل بين الملايكة والمومنين وفي فرق ما بين الجن والانس وطباع الجن ابعد من الانس
وانما ذهبوا الى الطاعة والمعصية ويخيل اليّ انك لو سمعتهما يتمثلان بين المديح والطاووس
لما اشتد تعجبك ونحن نرى ان تمثيل ما بين خصال الذرة والحمامة والفيل والبعير والـ لتعلم
والذيب اعجب واعجب ولسنا نعني ان للذرة ما للطاووس من حسن ذلك الريش وتلاوينه
وتعاريجه ولا ان لها غناء الفرس في الحروب والدفع عن الحريم لكنا اردنا مواضع التدبير
العجيب من الخلق الخسيس والحس اللطيف في الشيء السخيف والنظر في العواقب
من الخلق الخارج من حدود الانس والجن والملايكة ولم نذهب الى ضخم البدن وعظم
الجسم ولا الى المنظر الحسن ولا الى كثرة الثمن وفي القرد اعاجيب وفي الدب اعاجيب
وليس فيهما كبير مرفق الا بقدر ما يتكسب القراد وانما قصدنا الى شيئين يتسع القول
فيهما ويكثر الاعتبار مما يستخرج العلماء من خفي امرهما ولو جمعنا بين الديك وبين
بعض ما ذكرت وبين الكلب وبين بعض ما وصفت لانقطع القول قبل ان تبلغ الموازنة
والمقابلة وقد ذكرت ان بعض ما دعاك الى الانكار عليهما والتعجب منهما سقوط قدر
الكلب وبذالة وبله الديك وغباوته وان الكلب لا بهيمة تامة ولا سبع تام وبالعجز
انه لسبع تام وما كان ليخرجه من شيء من حدود الكلاب الى حدود الناس مقدار ما هو
عليه من الانس بهم فقد يكون في الشيء بعض الشبه من شيء ولا يكون ذلك مخرجا له
من احكامه وحدوده وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الانسان بالقمر والشمس
والغيث والبحر وبالاسد والسيف وبالحية والنجم ولا يخرجونه بذلك الى هذه
المعاني ولا يخرجون هذه المعاني الى حد الانسان واذا ذموا قالوا هو الكلب والخنزير
وهو القرد وهو الحمار وهو الثور وهو التيس وهو الذيب وهو العقرب والجعل
وهو القرنبى ثم لا يدخلون هذه الاشياء في حدود الناس ولا اسمائهم ولا يخرجون

ذلك الانسان الى هذه الحدود وهذه الاسماء وسموا الجارية غزالا وسموها ايضا خشفا
ومهرة وفاختة وحمامة وزهرة وقضيب خيزران على ذلك المعنى وصنعوا مثل ذلك
بالبروج والكواكب فذكروا الاسد والثور والحمل والجدي والعقرب والحوت وسموها
بالقوس والسنبلة والميزان وغيرها . وقال في ذلك بن عسلة الشيباني
لصعوت والنمري يحسبها ٭ عم السماك وخالة النجم ٭ ويروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال نعمت العمة لكم النخلة وهذا الكلام صحيح المعنى لا يعيبه الا من لا يعرف
مجاز الكلام وليس هذا مما يطرد ان نقيسه وانما نقدم على ما اقدموا ونحجم عما احجموا
وننتهي الى حيث انتهوا وتراهم يسمون الرجل جملا ولا يسمونه بعيرا ولا يسمون المرأة
ناقة ويسمون الرجل ثورا ولا يسمون المراة بقرة ويسمون الرجل حمارا ولا يسمون المرأة
اتانا ويسمون المرأة نعجة ولا يسمونها شاة وهم لا يضعون نعجة اسما مقطوعا ولا يجعلونه
علامة مثل زيد وعمرو ويسمون المرأة عنزا وما علمت ان الانسان الذي له خلقت
السموات والارض وما بينهما كما قال الله عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض جميعا منه انما سموه العالم الصغير سليل العالم الكبير لما وجدوا فيه من جميع اشكال
ما في العالم الكبير ووجدوا له الحواس الخمس ووجدوا فيه المحسوسات الخمس ووجدوا
الاه اللحم والحب ويجمع ما بين ما تقتاته البهيمة والسبع ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب
الأسد وغدر الذيب وروغان الثعلب وجبن الصفرد وجمع الذرة وصنعة السرفة
وجود الديك والف الكلب واهتداء الحمام وربما وجدوا فيه من كل نوع من البهايم والسباع
خلقين وثلثة ولا يبلغ ان يكون جملا بان يكون فيه اهتداؤه وغيرته وصولته وحقده
وصبره على حمل الثقل ولا يلزمه شبه الذيب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل غدره ومكره واستروا له
وتوحشه وشدة نكره كما ان الرجل يصيب الرأي الغامض المرة والمرتين والثلث ولا يبلغ
الأمر به ان يقال له داهية وذو نكرا وصاحب بزلاء وكما يخطئ الرجل فيفحش خطاؤه
في المرة او المرتين والثلث فلا يبلغ ذلك المقدار ان يقال له عيي وابله ومنقوص وسموه
العالم الصغير لانهم وجدوه يصور كل شيء بيده ويحكي كل صوت بفيه وقالوا ولأن

اعضاً مقسومة على البروج الاثنى عشر والنجوم السبعة وفيه الصفراء وهي من نتايج
النار وفيه السوداء وهي من نتاج الارض وفيه الدم وهو من نتاج الهواء وفيه البلغم
وهو من نتاج الماء وعلى طبايعه الاربع وضعت الاوتاد الاربعة فجعلوه العالم الصغير
اذ كان فيه من جميع اجزايه واخلاطه وطبايعه الا ترى ان فيه طباع الغضب والرضى
وآلة اليقين والشك. والاعتقاد والوقف. وفيه طباع الفطنة والغباوه. والسلامة
والنكر والنصيحة والغش. والوفاء والغدر. والرياء والاخلاص. والحب والبغض.
والجد والهزل. والجود والبخل. والاقتصاد والسرف. والتواضع والكبر. والانسه والوحشة.
والفكرة والاهمال. والتمييز والخبط. والجبن والشجاعة. والحزم والاضاعه. والادخار والتوكل.
والقناعة والحرص. والرغبة والزهد. والتسخط والرضى. والصبر والجزع. والذكر والنسيان.
والخوف والرجاء. والطمع والياس. والتنزه والطبع. والشك واليقين. والحياء والقحة. والكتمان
والاشاعة. والاقرار والانكار. والعلم والجهل. والظلم والانصاف. والطلب والهرب. والحقد وسرعة
الرضا. والحدة وبعد الغضب. والسرور والهم. واللذة والالم. والتامل والتمني. والاصرار والندم
واللجاج والبدوات. والعي والبلاغة. والنطق والخرس. والتصميم والتوقف. والتغافل والتفاطن.
والعفو والمكافات. والاستطاعة والطبيعة. ومالا يحصى عدده ولا يعرف حده. فالكلب سبع
وان كان بالناس آنسا ولا تخرجه الخصلة والخصلتان مما قارب فيه بعض طبايع الناس الى ان
يخرج من الكلبية قال وكذلك الجميع وقد عرفت شبه باطن الكلب بباطن الانسان وشبه ظاهر
القرد بظاهر الانسان ترى ذلك في طرفه وتغميض عينيه وفي ضحكه وفي حكايته وفي كفه
واصابعه وفي رفعها ووضعها وكيف يتناولها وكيف يحمل اللقمه الى فيه وكيف يكسر الجوز
ويستخرج سره وكيف يلقف كلما اخذ به واعيد عليه وانه من بين جميع الحيوان اذا سقط في الماء
غرق مثل الانسان فان الانسان مع اجتماع اسباب المعرفة فيه يغرق الا ان يكتسب معرفة
السباحة وان كان طبعه اوفى واكمل فهو من ههنا انقص واكمل وكل شيء فهو سبع من جميع
الحيوان مما يوصف بالمعرفة والفطنة ومما يوصف بالغباوة والبلة وليس يصير القرد بذلك
المقدار من المقاربة الى ان يخرج من بعض حدود القرود الى حدود الانسان.

وزعمت

وزعمت ان مما يمنع من التمثيل بين الديك والكلب انه حارس محترس منه فكل حارس من الناس فغير
مأمون تبدله ولقد سأل زياد ليلة من الليالي من على شرطته فقيل بلج بن نشبة الجشمي فقال
وساع مع السلطان يسعى عليهم ۞ ومحترس من مثله وهو حارس ۞ ويقال ان الشاعر قال هذا
الشعر في الفلافس النهشلي حين ولي شرطة الحرث بن عبد الله. فقال.
اقلي علي اللوم يا ابنة مالك ۞ وذمي زمانا ساد فيه الفلافس ۞ وساع مع السلطان يسعى عليهم ۞
ومحترس من مثله وهو حارس ۞ وليس يحكم لصغار المضار على كبار المنافع بل الحكم للغامر على
المغمور وللقاهر على المقهور ولو قد حكينا ما ذكر الشيخ من خصال الكلب وذكر صاحبه من خصال
الديك ايقنت ان العجلة من عمل الشيطان وان العجب بيس الصاحب وقلت وما يبلغ من
قدر الكلب ومقدار الديك ان يتفرغ لهما شيخان من جلة المعتزلة وهم اشراف اهل الحكمة فاي
شيء يبلغ غفر الله لك من قدر جزء لا يتجزأ من رمل عالج والجزء الاقل من اقل قطع الذرة للمكان
السحيق والصفيحة التي لا عمق لها ولاي شيء يعنون بذلك وما يبلغ من ثمنه وقد رجحه حتى
يفرغ للجدال فيه الشيوخ الجلة والكهول العلية وحتى يختار والنظر فيه على التسبيح والتهليل
وعلى قراءة القرآن وطول الانتصاب في الصلاة وحتى يزعم اهله انه فوق الحج والجهاد وفوق
كل بر واجتهاد فان زعمت ان ذلك كله سواء طالت الخصومة معك وشغلنا عما هو اولى بنا
فيك على انك اذا عممت ذلك كله بالذم وجللته بالعيب صارت المصيبة فيك اجل والعزاء عنك
اعسر وان زعمت ان ذلك انما جاز لانهم لم يذهبوا الى اثمان الاعيان في الاسواق والى عظم الحجم
والى ما يروق العين ويملاء النفس وانهم انما ذهبوا الى حاجة الامر فيه والى نتيجته وما يتولد عنه
من علم النهايات ومن باب الكل والبعض وكان ويكون ومن باب ما يحيط به العلم وما يفضل
عنه ومن فرق ما بين مذاهب الدهرية ومذاهب الموحدين فان كان هذا العذر مقبولا وهذا
الحكم صحيحا فكذلك نقول في الكلب لان الكلب ليس له خطر ثمين ولا قدر كبير في الصدر جليل
لانه ان كان كلب صيد فديته اربعون درهما وان كان كلب ضرع فديته شاة وان كان كلب دار
فديته زبيل من تراب حق على القاتل ان يؤديه وحق على صاحب الدار ان يقبله فهذا مقدار ظاهر
حاله ومفتشه وكوامن خصاله ودقايق الحكمة فيه والبرهانات على عجيب تدبير الرب تعالى ذكره

فيه على خلاف ذلك فلذلك استجازوا النظر في شانه والتمثيل بينه وبين نظيره ونعلم
ايضا مع ذلك ان الكلب اذا كان فيه مع خموله وسقوطه من عجيب التدبير والنعمة السابغة
والحكمة البالغة مثل هذا ان الانسان الذي له خلق الله السموات والارض وما بينهما احق
بان يفكر فيه ويحمد الله على ما اودعه من الحكمة العجيبة والنعمة السابغة وقلت ولو كان
بدل النظر فيهما النظر في التوحيد وفي نفي التشبيه وفي الوعد والوعيد وفي التعديل والتجويز
وفي تصحيح الاخبار والتفضيل بين علم الطباع والاختيار لكان اصوب والعجب انك عمدت
الى رجال لا صناعة لهم ولا تجارة الا الدعاء الى ما ذكرت والاحتجاج بما وصفت والا وضع
الكتب فيه والولاية والعداوة فيه ولا لهم لذة ولا هم ولا مذهب ولا مجاز الا عليه واليه فحين
ارادوا ان يقسطوا بين الجميع بالحصص ويعدلون بين الكل باعطاء كل شي نصيبه حتى يقع
التعديل شاملا والتقسيط جامعا ويظهر بذلك الخفي من الحكم والمستور من التدبير اعترضت
بالتعجب والتعتب وسطرت الكلام واطلت الخطب من غير ان يكون صوب رايك اديب
وشايعك حكيم وساضرب لك مثلا قد استوجبت اغلظ منه وتعرضت لاشد منه ولا
ولكنا نستانى بك وننتظر اوبتك وجدنا الجميع اهل النقص ولاهل كل صنف منهم
نسكا يعتمدون عليه في الجمال ويحتسبون به في الطاعة وطلب المثوبة ويفزعون
اليه على قدر فساد الطباع وضعف الاصل واضطراب الفرع مع خبث المنشاء وقلة
التثبت والتوقف ومع كثرة التقلب والاقدام مع اول خاطر فنسك المريب والمرتاب من المتكلمين
ان يتحلى برمي الناس بالريبة ويتزين باضافة ما يجد في نفسه الى خصمه خوفا من ان يكون فطن
له فهو يستر ذلك الداء برمي الناس به ونسك الخارجي يتحلى به ويتزيا بعماله اظهار استعظام المعاصي
ثم لا يلتفت الى مجاوزة المقدار والى ظلم العباد ولا يقف على ان الله تعالى لا يجب ان يظلم الظالمين
وان في الحق ما وسع الجميع ونسك الخراساني ان يحج ويقام على قفاه ويعقد الرياسة ويتهيا
للشهادة ويبسط لسانه بالحسبة وقد قالوا اذا نسك الشريف تواضع واذا نسك الوضيع تكبر
وتفسيره قريب واضح ونسك النبوي والجندي طرح الديوان والزراية على السلطان ونسك
دهاقين السواد ترك شرب المطبوخ ونسك الخصي لزوم طرسوس واظهار مجاهدة الروم

دهز

ونسك الرافضي ترك النبيذ ونسك البستاني ترك سرقة التمر ونسك المغني الصلاة في الجماعة
وكثرة التسبيح والصلوة على النبي عليه السلام ونسك اليهودي التشدد في السبت واقامته والصوم في
المظهر النسك بين المسلمين اذا كان فسلا يبغض العمل تصوف واظهر تحريم المكاسب وعاد سائلا
وجعل مسئلته وسيلة الى تعظيم الناس له واذا كان النصراني فسلا نذلا مبغضا للعمل ترهب
ولبس الصوف لانه قد وثق بانه متى لبسه وتزيا بذلك الزي وتحلى بذلك اللباس واظهر تلك
السيما انه قد وجب على اهل اليسر والثروة منهم ان يعولوه ويكفوه ثم لا يرضى بان يربح الكفاية
باطلا حتى استطال بالمرتبة فاذا رمى المتكلم المريب اهل البراة ظن انه قد حول ريبته الى خصمه
وحول براة خصمه اليه واذا صار كل واحد من هذه الاصناف الى ما ذكرنا فقد بلغ الامنية ووقف
على النهاية فاحذر ان تكون منهم واعلم انك قد اشبهتهم في هذا الوجه وضارعتهم في هذا المذهب
وباب مما قدمنا ذكره وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق يقال اجرا من الليث واجبن من
الصفرد واسخى من لافظة واصبر على الهون من كلب واحذر من عقعق وازهى من غراب واصنع
من سرفة واظلم من حية واغدر من الذيب واخبث من ذيب خمر واشد عداوة من عقرب واروغ
من ثعلب واحمق من حبارى واهدى من قطاة واصدق من قطاة واكذب من فاختة والام من كلب
على جيفة واجمع من ذرة واضل من حمار اهله واعق من ضب وابر من هرة وانفر من الظليم واضل
من ضب واضل من ورل واضل من حية فيعبرون عن هذه الاشياء بعبارة كالعبارة عن الناس
في مواضع الاحسان والاساءة حتى كانهم من الملومين والمشكورين ثم يغيرون في هذا الباب
الباب الاخر يريدون هذا التعبير ويجعلون خبرهم مقصورا على ما في الخلقة من الغريزة والقوى
فيقولون ابصر من عقاب واسمع من فرس واطول ذماء من ضب واصح من الظليم والثاني يشبه
العبارة عن الحمد والذم والاول يشبه العبارة عن اللائمة والشكر وانما قلنا ذلك لان كل مشكور
محمود وليس كل محمود مشكورا وكل ملوم مذموم وليس كل مذموم ملوما وقد يحمدون
البلدة ويذمون الاخرى وكذلك الطعام والشراب وليس ذلك على جهة اللوم ولا
على جهة الشكر لان الاخر لا يقع الا على جهة التغيير والتكلف والا على ما ينال بالاستطاعة
والاول انما ينال بالخلقة وعقدار من المعرفة ولا يبلغ ان يسمى عقلا كما انه ليس كل قوة

تسمى استطاعة **باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب** وتعداد اصناف معايبها
ومثالبها من لومها وجبنها وضعفها وشرهها وغدرها وبذائها وجهلها وتسرعها ونتنها
وقذرها وما جاء في الآثار من النهي عن اتخاذها وامساكها ومن الامر بقتلها واطرادها ومن كثرة
جناياتها وقلة ردها ومن ضرب المثل بلومها ونذالتها وقبحها وقبح معاظلتها وعن سماجة نباحها
وكثرة اذاها وتقذر المسلمين من دنوها وانها كالخلق المركب والحيوان الملفق كالبغل من الدواب
والراعبي من الحمام وانها لا سبع ولا بهيمة ولا انسية ولا وحشية وانها من الحن دون الجن
وانها مطايا الجن ونوع من المسخ وانها تنبش القبور وتاكل الموتى وانها يعتريها الكلب من اكل لحوم
الناس فاذا حكينا ذلك حكينا ذكر قول من عدد محاسنها وصنف مناقبها واخذ في ذكر اسمائها وانسا(ها)
واعراقها وتفدية الرجال لها واستهتارهم بها وذكر كسبها وحراستها ووفائها والفها وجميع
منافعها والمرافق التي فيها وما اودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحس اللطيف
والادب المحمود وذلك سوى صدق الاسترواح وجودة الشم وذكر حفظها ونفادها
واهتدائها واثباتها لصور اربابها وجيرانها وصبرها ومعرفتها بحقوق الكرام واهانة اللئام
وذكر صبرها على الجفا واحتمالها للجوع وذكر طول ذمائها وشدة منتها ومعاقد القفار منها
وذكر يقظتها وقلة غفلتها وبعد اصواتها وكثرة نسلها وسرعة قبولها والقاحها وتصرف
ارحامها في ذلك مع اختلاف طبايع ذكورها والذكور من غير جنسها وكثرة اعمامها واخوالها
(فيها) وترددها في اصناف السباع وسلامتها من اعراق البهايم وذكر لقنها وحكايتها وجودة ثقا
(لكتب) وفهمها وخدمتها وجدها ولعبها وجميع امورها بالاشعار المشهورة والاحاديث الماثورة وبا
المنزلة والامثال السايرة وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها وما عاينوا منها وكيف قال
اصحاب الفال فيها واخبار المتطيرين عنها وعن اسنانها ومنتهى اعمارها وعدد جرائها ومدة
حملها وعن اسمائها والقابها وسماتها وشياتها وعن دوائها وادوائها وسياستها وعن التي لا
تلقن منها وعن اعراقها والخارجي منها وعن اصول مواليدها ومخارج بلدانها وذكر صاحب
الديك بعض ما يحفظ من اكل الكلاب لحوم الناس فقال قال الجارود بن ابي سبرة فيها
الم تر ان ابن سنيحوله وقوته اخزى بن عمرة مالكا فمن كان عنه بالمغيب سايلا

فقد صار

فقد صار فارض الرصافة هالكا • تظل الكلاب العاويات ينشنه • اذا احس مسودا من الليل حالكا •
وقال نفيع بن الصفار الهادر من ولد محارب بن خصفه في حرب قيس وتغلب ۵
افنت بني جشم بن بكر حربنا • حتى تعادل ميل تغلب واستوى • اكل الكلاب انوفهم وخصاهم •
فليبك تغلب للانوف وللخصى • وقال ابو يعقوب الخريمي وهو اسحق بن حسان بن قوهي في
قتل اهل بغداد • وهل رايت الفتيان في ساحة • المعرك معفورة مناخرها ۵
كل فتى مانع حقيقته • يشقى به في الوغا مساعرها • باتت عليه الكلاب تنهشه • مخضوبة من دم اظافر(ها)
وقال ابو الشمقمق وهو مروان بن محمد مولى مروان بن محمد ويكنى ابا محمد ۵
يوسف الشاعر فرخ • وجلده بالابلة • خلقي بلقي • كامن في جوف جله • خيطوها خشية الكلب
عليه عسله • وذكر لي عن ابي بكر الهذلي قال كنا عند الحسن اذ اقبل وكيع بن ابي سود فجلس فقال
يا ابا سعيد ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب ايصلى به فقال يا عجبا ممن يلغ في دم المسلمين
كانه كلب ثم يسال عن دم البراغيث فقام وكيع يتخلج في مشيته تخلج المجنون فقال الحسن ان لله (منه)
في كل عضو نعمة يستعين بها على المعصية اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك
وقال صاحب الديك (ن) اشياء من الحيوان تضاف الى نتن الجلود وخبث الرايحة كريح ابدا
الحيات وكنتن التيوس وصنان عرقها وكنتن جلد الكلب اذا اصابه مطر وضرب بنتن في
ما سوى ذلك نحن ذاكروها ان شاء الله وقال روح بن زنباع الجذامي في امراته وضرب بالكلب
المثل • ريح الكرايم معروف له ارج • وريحها ريح كلب مسه مطر • قال وكانت امراة روح
بن زنباع ام جعفر بنت النعمان بن بشير وكان عبد الملك بن مروان زوجه اياها وقال انها
جارية حسناء فاصبر على بذاء لسانها • وقال الآخر • وريح جورب وريح جلة ۵
وريح كلب في غداة طلة • وانشد ابو زيد • كان ريحهم من خبث طعمتهم • ريح الكلاب اذا ما مسها (مطر)
وما ذكر به الكلب في اكل العذرة قول الراجز • احرص من كلب على عقي صبي • وقال في مثل
ذلك حنظلة بن عراده لابنه السرندي • ما للسرندي اطال الله ايمته • خلى اباه بعفر البيد وادلجا
جعع خبيث يعاطي الكلب طعمته • وان راى غفلة من جاره ولجا • ربيته وهو مثل الفرخ اعظمه •
والكلب يلحس من تحت استه الدرجا • يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن (امه)

عقى بكسر العين ويقال عقى الصبي يعقى عقيا فاذا اشتد بطنه ليسمن قيل صرف فيجنى
والعقى وهو العقبة القيئه واياه عنى ابن عمر حين قيل له هل بايعت اخاك ابن الزبير فقال
انا احمى وضع يده فى قيئه ودعا الى البيعه انى لا انزع يدي من جماعة واضعها فى فرقه
وفى الحديث المرفوع الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه وهذا المثل فى الكلب ويقال انجل
من كلب على جيفة وقال بعضهم فى الكلب الجيفة اعجب اليه من اللحم الغريض ويأكل العذرة
ويرجع فى قيئه ويشغر ببوله فيصير فى جوف فيه وانفه ويحذفه تلقاء خيشومه وقال
صاحب الكلب ان كنتم انما تسقطون الكلب وتستسفلونه بهذا واشباهه فالجيفة انتن
من العذرة والعذرة شر من القيء والجيفة احب الى اشرف السباع ورؤسائها من اللحم
العبيط الغريض الغض والاسد سيد السباع وهو يأكل الجيفة ولا يعرض لشرايع الوحش
وافتراس البهايم ولا للسابلة من الناس ما وجد فى فريسة فضلة ويبدأ بعد شرب الدم فيبقر
بطنه ويأكل ما فيه من الغثيثة والثفل والحشوة والزبل وهو يرجع فى قيئه وعنه ورث
السنور ذلك وهو المضروب به المثل فى النجدة والبسالة وفى شدة الاقدام والصولة فقالوا
ما هو الا اسد على براثنه وهو اشد من الاسد وهو اجرأ من الليث العادي وفلان اسد
البلاد وهو الاسد الاسود وقيل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله وكفاك من نبل الاسد انه اشتق
لحمزة ابن عبد المطلب من اسمه ويقال للملك اصيد اذا ارادوا ان يصفوه بالكبر وبقلة الالتفات
وبان انفه فى اسلوب ولان الاسد يلتفت معا لان عنقه من عظم واحد • وقال حاتم
هلا اذا امطرت سماؤكم دما • ورفعت راسك مثل راس الاصيد • وقال الاخر
يذودون كلبا بالرماح وطيّئا • وتغلب والصيد النواظر من بكر • وقال اخر
وكم لى بها من اب اصيد • نماه اب ماجد اصيد • وبعد فان الذي يأكل الجيفة لم يبعد من
طبع كثير من الناس لان من الناس من يشتهى اللحم الغاب ومنهم من يشتهى المكسود وبين
المكسود وبين المصلوب اليابس ليس كبير فرق وانما يذبحون الديكة والبط والدجاج
والدراج من اول الليل ليسترخى لحمها وذلك اول التجفيف فالاسد اجمع لهذه الخصال
من الكلب فهلا ذكرتم بذلك الاسد وهو انبه ذكرا وابعد صوتا • واما ما ذكرتم من نتن الجلد

ومن استنشاق البول فان للتيس فى ذلك ما ليس للكلب وقد شاركه فى الحذف ببوله تلقاء انفه
وباينه بشدة الصنان فان الامثال به اكثر ذكرا وفى العنز ايضا عيوب وفى توجيه التيس بوله
الى حاق خيشومه قال الشاعر لبعض من يهجوه • دعيت بزيد كى تزيد فلم تزد •
فعاد لك المسمى فاسماك بالفحر • وما الفحل الا التيس يعتل بوله • عليه فيمذى فى لبان وفى نحر •
وقال آخر فى مثل ذلك • اعثمان بن حيان بن لوم • عتود فى مفارقه ببول •
ولو انى اشاء قلادفانت • نغامته ويفهم ما اقول • وبعد فما يعلم من صنيع العنز فى لبنها وفى
الارتضاع من خلفها الا القبيح وقال ابن احمر الباهلى فى ذلك • انا وجدنا بنى سهم وجاملهم •
كالعنز تعطف روقيها فترتضع • وقد هجا ابن عاصية السلمي بعض الكرام حين عزل عن
ينبع فقال لمن ظن انه انما عزل لخيانة • ركبوك من خلد فطهرك منهم • مد بالحراقف والفقار موقع
كالكلب يتبع خانقيه ويحتمى • نحو الذين هم يعز ويمنع • فقد قال ابن هرمة الفهرى •
فما عادت لذى يمن رؤسا • ولا ضربت بفرقيها ازارا • كعنز السوء تنطح من خلاها •
وترأم من يحد لها الشفارا • وما تعلم الرجوع فى الجرة واعادة الفرث الى الفم ليستقصى مضغه
الا اسمج واقذر من الرجوع فى القيء وقد اختار الله عز وجل تلك الطبيعة للانعام وجعل الناس
ليسوا الشيء من اللحمان اشد اكلا ولا به اشد عجبا ولا اصلح لابدانهم ولا اغذى لهم من لحوم
هذه الانعام اقتنائها ومسانها قال صاحب الديك ما يشبه عود الماشية فى الجرة ورجوعها
فى الفرث تطحنه وتسيغه الرجوع فى القيء وقد زعموا ان جرة البعير انتن من فى الكلاب
لطول غبوبها فى الجوف وانطلاقها الخطباء الزبل وانها انتن من الثلط وانما مثل الجرة مثل الريق
الذى ذكره ابن احمر فقال • هذا الثناء واجدر ان اصاحبه • وقد يدوم ريق الطامع الامل •
فانما الريق مثل العذرة لان الريق الذى زعموا ما دام فى الفم الذ من السلوي وامتع من التسنيم
واحسن موقعا من الماء البارد من العطشان المسموم فالريق كذلك ما لم يزايل موضعه ومتى
زايل فم صاحبه الى بعض جلده اشتد نتنه وعاد فى سبيل القيء فالريق والجرة فى سبيل واحد
كما ان القيء والعذرة فى سبيل واحد ولو ان الكلب قلس حتى يملى من القلس فمه ثم رجع فيه
من غير مباينة له لكان فى ذلك احق بالنظافة من الانعام فى جرتها وحشيها واهليها وان

الأذناب لبعض حيضا بيننا فما عاف لحمها اصحاب التقذر لمشاركتها الأنعام في الجرّة **فقال**
صاحب الكلب اما ما عبتموه من اكل العذرة فان ذلك عام في الماشية المتخيّر لحمها
على اللحمان لان الإبل والشاء كلها جلّالة وهي على يابس ما يخرج من الناس احرص وعلى
انها اذا تعوّدت اكل ما قد جفّ ظاهره وداخله رطب رجع امرها الى ما عليه الكلب ثمّ الدجاج
لا ترضى بالعذرة وبما يبقى فيها من الحبوب التي لم يأت عليها الاستمراء والهضم حتى
تلتمس الديدان التي فيها فيجتمع لها نوعين من القذر لانها اذا اكلت ديدان العذرة فقد
اتت على النوعين جميعا ولذلك قال عبد الرحمن بن الحكم في هجائه للانصار نخبث الطعام
فضرب المثل بالدجاج من بين جميع الحيوان وترك ذكر الكلاب وهي له معرضة فقال
وللانصار آكل في قراها لخبث الاطعمات من الدجاج ولو قال من الكلاب لكان الشعر
صحيحا مرضيّا وعلى ان الكلاب متى اشبعت لم تعرض للعذرة والانعام الجلّالة وكذلك
الحافر فقد جعلت ذلك كالحمض اذا كانت لها خلة فهي مرّة تتغذّى به ومرّة تتحمّض وقد جاء
في لحوم الجلّالة ما جاء وملوكنا واهل العيش منّا لا يرغبون في شيء من اللحمان رغبتهم
في الدجاج وهم يقدّمونها على البطّ والنواهض والقبج والدراج نعم وعلى الجداء والاعنق
الحمر من بنات الصفايا وهم يعرفون طبعها وشهوتها وهم مع ذلك يأكلون الرواعي كما يأكلون
المسمّنات واطيب ما في الانهار من السمك واحسنها قدودا وخرطا واسبطها سبوطا وارفعها
ثمنا واكثرها تصرّفا في المالح والطري وفي القريس المشبوط وليس في الماء
سمكة رفيعة الذكر ولا ذات خول الا وهي احرص على اكل العذرة منها وانها لا شدّ طلبا لها
من الخنزير في البر والجرّي في البحر وقد علم الناس كيف استطابة اكل لحوم الخنزير واكل الخنا
لها وكيف كانت الاكاسرة والقياصرة يقدّمونها ويفضّلونها ولولا التعبّد لجرى مجراه عند
غيرنا وقد علم الناس كيف استطابة اكل الجرّي لاذ نابها محشوّا وفي الجرّي قال ابو كلدة
هو ادم العيان وجيد في الكوشان ودواء الكليتين صالح لوجع الظهر وعجب الذنب
وخلاف على اليهود وغيظ على الروافض وفي اكله احياء لبعض السنن واماتة بعض
البدع ولم يفلح عليه مكثر قط ومحنة بين المبتدع والسني هلك فيه فئتان مذ كانت الدنيا

محلل ومحرم وقال ابو اسحق هو قبيح المنظر عادي الجلد ناقص الدماغ يلتقم العذرة ويبلع
الجرذان صحاحا وزهم لا يستطاع اكله الا محشوّا ولا يتصرف تصرف السمك وقد
وقع عليه اسم المسخ لا يطيب مملوحا ولا مبقورا ولا كبابا ولا يغتذى مطبوخا ويرمى كله
الا ذنبه والاصناف التي تعرض للعذرة كثيرة وقد ذكرنا الجلّالات من الانعام والجرّي
والمشبوط من السمك ويعرض لها من الطير الدجاج والرخم والهداهد وقد بلغ من شهوة
الرخمة لذلك ان سموها الانوق حتى سموا كل شيء من الحيوان يعرض للعذرة بانوق وهو
قول الشاعر • حتى اذا اضحى تدرّا واكتحل • لجاديتيه ثم ولّى فنثل •
رزق الانوقين القرنبى والجعل • ولشدّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر •
يبيت في مجلس الاقوام يربأهم • كانه شرطي بات في حرس • ولذلك قال الآخر •
اذا اتوه بطعام واكل • بات يعشّى وحده الفي جعل • وهذا البيت يدل على عظم البخو
فهجاه بذلك وعلى ان الجعل يقتات البراز وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل ان كان
قاله وانما قلت هذا لان الشعر يرتفع عنه والشعر قوله •
نعم جار الخنزيرة المرضع الغرثى اذا ما غدا ابو كلثوم • طاويا قد اصاب عند صديق
من ثريد ملبّق مأدوم • ثم انحى بجعره حاجب الشمس • فالقى كالمعلف المهدوم
وقال آخر في مثله • فلدققه ثارده وهو معا • ثمّ البان البخات جمعا •
جعجعة العود ابتغى ان يجمعا • ثمّ تخوّى باركا واسترجعا • عن جاثم يحسب كلبا ابقعا •
وفي طلب الجعل للزبل قال الراجز وهو ابو الغصن الاسدي •
ما ذا تلاقي طلحات الحوجه • من كل ذات بخنق ممجّجه • ظل لها بين الجبال ارجه •
من الضراط والفساء السمجه • يجيئها قاعدة مفحّجه • تعطيه عنها جعلا ملحرجه •
وقال يحيى الاغر تقول العرب سدك به جعله وقال الشاعر •
اذا اتت سليمى شب لي جعل • ان الشقي الذي يغري به الجعل • يضرب هذا للرجل
مثلا يلزق به من يكرهه واذا كان لا يزال يراه وهو يهرب منه قال يحيى وكان اصله
ملازمة الجعل لمن بات في الصحراء فكلما قام لحاجة قام معه لانه عنده يريد الغائط

وفي القرنبى يقول ابن مقبل • ولا اطرق الجارات بالليل قابعًا • قبوع القرنبى اخلفته مجاحره
والقبوع الاجتماع والتقبّض والقرنبى دويبة فوق الخنفساء ودون الجعل وهو والجعل
يتبعان الرجل الى الغايط ومن الطير الذي يضارع الرخمة في ذلك الهدهد الذي
الهدهد منتن البدن وان لم تجده ملطخًا بشيء من القذر لانه يبني بيته ويصنع افحوصه
من الزبل وليس قيانته منه الا قدر رغبته وحاجته في الّا يتخذ افحوصًا الا منه فاموره
ذلك النتن فعلق ببدنه وجرى على اعراق ابويه اذ كان هذا الصنيع عامًا في جنسه
ونعترى هذه الشهوة الذبان حتى انها لو رأت عسلا وقذرًا لكانت الى القذر اسرع وقال
الشاعر قفا خلف وجه قد اطيل كانه • قفا مالك يقضي الهموم على بثق •
واعظم زهوا من ذباب على خرء • وابخل من كلب عقور على عرق • ويزعمون ان
الزنبور لهج بصيد الذباب ولا يكاد يصيدها الا وهو ساقط على عذرة لفرط شهوته
ولاستفراغه لها فيعرف الزنبور ذلك فيجعل غفلته فرصة ونهزة قالوا وانما قلنا
ذلك لانا لم نجده يروم صيده وهو ساقط على تمرة فادوها في الحلاوة وقال
ابو الشمقمق في ذلك • الطريق الطريق جاكم الاحمق • راس الانتان والقذرة
وابن عم الحمار في صورة الفيل • وخال الجاموس والبقرة • يمشي رويدا يريد نقفلتكم
كمشي خنزيرة الى عذرة • وقال حماد عجرد في بشار بن برد العقيلي
ما صوّر الله شبها به • من كل من في خلقه صوّرا • اشبه بالخنزير وجها ولا
بالكلب اعراقا ولا مكسرا • ولا رأينا احدا مثله • انجس او اطفس او اقذرا •
لو طليت جلدته عنبرا • لنتنت جلدته العنبرا • او طليت مسكا ذكيا اذا •
تحوّل المسك عليه خرا • وقال ابو نواس في هجايه جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي
اذا ما مدحت امرءًا من خرٍ • اليس جزاي ان اعطى خرا • وقال اعرابي يهجو رجلا يقال
له جلمود بن اوس كان منتن العرق • اخ اذا ما عارضي تألقا • ورعدت حافاته وبرقا
اهلكت جلمود بن اوس غرقا • كان لحمقاء فجاء احمقا • اخبث شيء عرقا وخلقا •
وقال حماد عجرد في بشار • يا ابن برد اخسا فلا الكلب • ها انت لا الى الانسان •

بل لعمري لانت شر من الكلب • واولى منه بكل هوان • ولريح الخنزير اطيب من ريحك •
يا ابن الطيان ذي التبان • وقال بعض الشعرا في عبد الله بن عمير
غزا ابن عمير غزوة تركت له • ثناء كريح الجورب المتخرق • وقال حماد عجرد في بشار •
قل للشقي الجد في رمسه • ومن يفر الناس من رجسه • للقرد بشار بن برد ولا •
تحفل برغم القرد او تعسه • للقرد باللبث اغتياد فا • هذا الذي ادناك من مسه •
يا ابن استها فاصبر على ضغمه • بنابه يا قرد او ضرسه • فهاده اخبث من ليله •
ويومه اخبث من امسه • وليس بالمقلع عن فعله • حتى يدلي القرد في رمسه •
ما خلق الله شبيها له • من جنه طرا ومن انسه • والله ما الخنزير في نتنه •
من ربعه بالعشر او خمسه • بل ريحه اطيب من ريحه • ومسه الين من مسه •
ووجهه احسن من وجهه • ونفسه انبل من نفسه • وعوده اكرم من عوده •
وجنسه اكرم من جنسه • وانا احفظك الله استظرف وضعه للخنزير بهذا المكان وفي
هذا الموضع حيث يقول وعوده اكرم من عوده اين عود الخنزير من الكرم قبحه الله
وقال حماد عجرد في بشار بن برد • ان ابن برد راى رؤيا فاولها • بلا مشورة انسان ولا اثر •
راى العمى نعمة لله سابغة • عليه اذ كان مكفوفا عن النظر • وقال لو لم اعم لكنت كما •
قد كان برد ابي في الضيق والعسر • اكد نفسي بالتطيين مجتهدا • اما اجيرا واما غير مؤتجر •
اوكنت ان انا لم اقنع بفعل ابي • فصاب شاء شقي الجد او بقر • كاخوتي دايبا اشقى شقاهم •
في الحر والبرد والادلاج والبكر • فقد كفاني العمى عن كل مكسبة • والرزق ياتي بانواع من القدر •
فصرت ذا نشب من غير ما طلب • الا بمسئلتي اذ كنت في صغري • اضم شيئا الى شيء فاحرزه •
مما اجمع من تمر ومن كسر • من كان يعرفني لو لم اكن زمنا • او كان يبذل لي شيئا سوى الحجر •
فقل له لا هداه الله من رجل • فانه عرة تزري على العور • لقد فطنت الى شيء تعيش به •
يا ابن الخبيثة قد ارهفت في النظر • يا ابن التي نشرت عن شيخ صبيتها • لا ابن ثوبان ذي الهامات والعجر •
اما يكفيك عن شتمي ونقصي • ما في حرامك من نتن ومن دفر • نفتك عنا عقيل وهي صادقة •
فسل اسيد او فاسال بازفر • يا ابن ام الظباء المستطب بها • من اللوى لست من هولا الغرر

بل انت كالكلب ذلا واذل وفى • نذالة النفس كالخنزير والنغر • وانت كالقرد فى تشويه منظره
بل صورة القرد اهى منك فى الصوره • ووصف ابن كريمة حشاله كان هو واصحابه يتاذون بريحه
فقال • ولى كنيف بحمد الله يطرقنى • ارواح وادى خبال غير فتار • له بدايع نتن ليس يعرفها •
من البرية الا خازن النار • اذا اتانى دخيل زاد فى بدعا • كأنه لجج عمدا باضرارى •
فراحتو وفى له الخلان كلهم • وباع مسكنه من قربه جارى • فمن ادمن البرسام اقلقه •
او الصداع فمره يدخلن دارى • استكشف النتن فى انفى لكثرته • فليس يوجد فيه غير اضمارى •
وقيل للمخلول ويلك ما حفظت بيت شعر قط فقال بيتا واحدا اشتهيته فحفظته قيل فانشدنا
فانشدهم • كأنما نكهتها امدة • تسيل من قرحة بجذوم • وزعم اصحابنا ان رجلا من بنى سعد كان
انتن الناس ابطا بلغه ان ناسا من عبد القيس يتحدونه برجل منهم فمضى اليهم شذا فوافاهم وقد ازبد
ابطاه وهو يقول • اقبلت من جلهة باعثينا • بذى خضيض يعطس المجنونا • يزوى له المنتن له الجبينا
تبيّت عبد القيس يا ابطونا • قال ومتح اعرابى على بير وهو يقول • يا رتها اذا بدا صنانى •
كأننى جانى عبيتران • وقال اخر • كأن ابطى وقد طال المدا • نفحة خرء من كوامخ القرا •
ويقال انه ليس فى الارض رايحة انتن ولا اشر على النفس من بخر فم او نتن خرء ولا فى
الارض رايحة اعصم لروح من ريح التفاح وقال صاحب الكلب فما ترى الناس يعاونه
تسمير بقولهم قبل نجومها وتفتق بزورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب
منها بعم حتى ربما ذروا عليها السماد ذرا ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب موضع اللب قوى العرق
بل من طهر بالعذرة وعلى انهم ما يصيبونها الا مغشوشة مفسرة وكذلك صنيعهم فى الريحان
فاما النخل فلو استطاعوا ان يطلوا بها الاجذاع طليا لفعلوا وانهم ليوقدون بها الحمامات
واتانين الملال وتنانير الخبز ومن اكرم سمادهم الابعار كلها والاخثاء اذا جففت وما يبس
النلط جافا والخثايا بسا وبين العذرة جافة ويابسة فرق وعلى انهم يعالجون بالعذرة
وبجرة الكلب من الذبحة والخانوق فى اقصى مواضع النغر وهو اقصى الحلق ومواضع اللهاة
ويضعونها على مواضع الشوكة ويعالجون بها عيون الدواب وقال مسيح الكاس انما اشتق
الخبز من الخرء وهو فى النوم خير وسلحة مدركه الذين كوم العروس ليلة العرس ولقد دخلت

على

على بعض الملوك لبعض الاسباب واذا به قعاص وزكام وثقل راس واذا ذلك قد طاوله وقد كان
بلغنى انه هجر الجلوس على المقعدة واتيان الخلا فامرته بالعوده الى عادته فامرته به اياما
حتى ذهب عنه وزعم ان الدنيا منتنة الحيطان والتربة والانهار والاودية الا ان الناس قد غمرهم
ذلك النتن المحيط بهم وقد محق حسهم له طول مكثه فى خياشيمهم قال فمن ارتاب بخبرى فليقف
فى الرد الى ان يمحق ذلك فاول ما يخرج الى الدنيا عن بيت مطيب وليشم تشمم المتثبت على ان
البقاع تتفاوت فى النتن فهذا قول مسيح الكاس وزعم لى سلويه وابن ماشويه متطببا الخلفا انه ليس
على الارض جيفة انتن نتنا ولا اثقب ثقبا من جيفة بعير فظننت ان الذي وهمهما ذلك عصبيتهما
عليه وبغضهما لاربابه ولان النبى صلى الله عليه وسلم وعلى اله هو المذكور فى الكتب بركوب البعير
وانا اقول فى النتن والطيب شيا لعلك ان تفقدته ان توافقنى عليه وترتضى قولى اما النتن فانى
لم اشم شيا قط انتن من ريح حش مقير يبول فيه الخصيان ولا يصب عليه الماء فان لابوالهم المتراكمه
ولريح القار وريح هواء الحش وما يتصل به من ريح البالوعة من النتن ومذهبا فى المكروه ليس
وبين الابدان عمل وانما يقصد الى عين الروح وصميم القلب ولا سيما اذا كان الخلاء غير مكشوف وكان
مغموما غير مفتوح فاما الطيب فانى لم اشم رايحة قط احيا للنفس ولا اعصم للروح ولا افتق ولا
اغنج ولا اطيب حمرة من ريح مشطة عروس اذا احكمت تلك الاخلاط وكان عرق راسها وبدنها
سليما وان كانت بمدينة الرسول فانك ستجد ريحا تعلم انه ليس فوقها الا ريح الجنة وما قالوا فى
النتن وفى ريح الظربان خاصة قول الحكم بن عبدل • القيت نفسك فى عروض مشقة
ولحصر انفك بالمناجل اهون • انت امرؤ فى ارض امك فلفل • جم وفلفلنا هناك الدندن
فبحق امك وهى منك حقيقه • بالبر واللطف الذى لا يخزن • لا تدن فاك من الامير ونحه
حتى يداوى ما بانفك اهدن • ان كان للظربان جحر منتن • فلجحر انفك يا محمد انتن
وقال الربيع بن ابي الحقيق وذكر الظربان حين رمى قوما بانهم يفسون فى مجالسهم لان الظربان
انتن خلق الله فسوة وقد عرف الظربان ذلك فقد جعله من احد سلاحه كما عرفت الحبارى ما فى
سلاحها من الالة اذا وثب الصقر منها والظربان يدخل على الضب جحره وفيه حسوله او بيضه
فيأتى اضيق موضع فى الجحر فيسده ببدنه ويحول استه فلا يفسو ثلث فسوات حتى يدار

بدار بالضب مبخر سكران مغشيا عليه فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حوله وتقول الاعراب
انه ربما دخل في تلال الحجمه فيفسو فلا يفسو ثلث فسوات حتى تتفرق الابل كما تتفرق عن المبرك
تترك وفيه قردان فلا يردها الراعي الا بالجهد الشديد فقال الربيع وهجا ابن بريح التيوس •

قليل غناؤكم في الهياج • اذا ما تنادوا والامر شديد • وانتم كلاب لدى دوركم •
تهر هرير العقور الرصود • وانتم ضرابي اذا تجلسون • وما ان لنا فيكم من مزيد •

وانتم تيوس وقد تعرفون • بريح التيوس وقبح الجدود • قال ويقال افسى من الظربان ويسمى
مفرق النعم يريدون من نتن ريح فسايه قال ويقال في المثل اذا وقع بين الرجلين شر
فتباينا وتقاطعا فسا بينهما ظربان ويقال ادس من ظربان لان الضب انما يخدع في جحره ويوغل
في سربه لشدة طلب الظربان له وقال الفرزدق في ذلك • ولو كنت في نار الجحيم لاصبحت
ضرابي من حمان عني تثيرها • وكان ابو عبيدة يسمي الحماني صاحب الاسم الظربان يريد هذا المعنى
كانه سمى كل حماني ظربانا وقال ابن عبدل • لا ابدن قطن الامير وبحه • حتى يداوي ما بانفك اهدت
في شعره الذي يعود فيه • ليت الامير اطاعني فشفيته • من كل من يكفي القصيد ويلبس
منكورا يحشو الكلام كانما • باتت مناخره بدهن تعرن • وبني طهر سجنا فكنت اميرهم
زمنا فاضرب من اشاء واحبس • قل لابن اكلة العقاص محمد • ان كنت من خوف العقرب تحتمي
العقب نفسك في عروض مشقتي • ولحمر انفك بالمناجل اهون • انت امرؤ في ارض امك فلفل
حم وفلفلنا هناك الدنك • فبحق امك وبهر منك حقيقة • بالبر واللطف الذي لا يحزن
لا ابدن فاك من الامير وبحه • حتى يداوي ما بانفك اهدت • ان كان للظربان جحر منتن
فلجحر انفك يا محمد انتن • فسل الامير وانت غير موفق • وبنو ابيه للفصاحة معدن
وسل ابن ذكوان تجده عالما • بسكينة العرب التي لا تحزن • اذ انت تجعل كل يوم عقصة
فتجيد ما عملت يداك وتحسن • اشبهت امك غير باب واحد • ان قد ختنت وانها لا تختن
فلئن اصبت درهما فدفنتها • وقتنت فيها وابن ادم يفتتن • فبما اراك وانت غير مدرهم
اذ انت تقصف في القيان وتزفن • اذ راس مالك لعبة بصرية • بيضاء مقرنة عليها السوسن
وقال ابن عبدل ايضا • يجوت محمدا ودخان فيه • كريح الجحر فوق عطين جلد

اكبت

ركبت اليه في رحل اتاني • كريم يطلب المعروف عندي • فقلت له ولم اعجل عليه
وذلك بعد تقريظي وحمدي • فاعرض مكفهرا عني كاني • اكلمه صخرة في راس صمد
اقرب كل ناصره ليدنوا • فما يزداد مني غير بعد • فاقسم غير مستثن يمينا
ابا بحر لتمتحن بردي • فلو كنت المهذب من تميم • لخفت ملامتي ورجوت حمدي
يجوت محمدا فوجدت ريحا • كريح الكلب مات قريب عهد • وقد لذعتني يعثان نتن
سيبلغ ان سلمنا اهل نجد • وادنا حظه فوددت اني • فديت دنوه عني ببعد
كما افتدت المعاده من جواه • فخلعتها ولم ترجع بزبد • وقارفها جواه فاستراحت
وكانت عنده كاسير قيد • وقد ادنيت فاه الي حتى • قتلت بذاك نفسي غير عمد
وما يدنو الى فيه ذباب • ولو طليت مشافره بقند • يرين حلاوة ويخفن موتا
وعافا ان يهمن له بورد • فلما فاح فوه على فوحا • بمثل غثيثة الدبر المعد
فقلت له تنح بفيك عني • فما هذا بريح قتار رند • وما هذا بريح طلا وتكن
يفوح خراك فيه غير سهد • فحدثني فان الصدق ادنى • لباب الحق من كذب وجحد
انت تجول في عنج طحير • فاعلم او اتاك به مغد • نكهت على نكهة اخذريت
تسيبر شابك الانياب ورد • فان اهديت لي من فيك حتفي • فاني كالذي اهديت اهدى
لكم شردا يسرن مغنيات • تكون فنونها من كل فند • اما تجزي خربت لها اذا ما
رواها الناس من شيب ومرد • وارجو ان تموت ولم يصبني • جوى اني اذا السعيد جد
فقلت له متى استطرقت هذا • فقال اصابني في جوف مهد • فقلت له اما داويت هذا
فتعذر فيه اما لا بجهد • فقال وهل علمت له دواء • فتشربه لنا فيما نسد
فقلت له ولا آلوه غيا • له فيما اسر له وابدي • عليك بقيئة وبعر كلب
ومثل ذاك من نون كنعد • وحلبتث وكراث وثوم • وعودي حرمل ودماغ فهد
وحنجرة ابن اوى ثم دفلى • ووزن شعيرة من بزر قند • وكف ذريرة ولسان صقر
ومثقالين من صوان رفد • يدق وينخل المعجون منه • ببول آجن وبعر قرد
وتدفنه زمانا في شعير • وتدفنه فلا يبدو لبرد • فدخن فاك ما عتقت منه

ولا يعجن باظفار وسعد • فان حضر الشتاء وانت حي • اراك الله نعمتك امر رشد
فدحرجها بنادق وازدردها • متى رهت التكلم اي زرد • فتقذف بالمصل على مصل
ببلعوم وشدق مسعد • وويلك ما لبطنك مذ قعدنا • كان دوية ارزام رعد
فان لحكة الناسور عندي • دواء ان صبرت له سيجدي • يميت الدود عنك وتشتهيه
ان انت سننته سن المقد • به وطلبته باصول سعد • وشيء من جني لصف ورند
اظني ميتا من نتن فيه • اعاذ الله من ناجاه بعدي • **وقال صاحب الكتاب**
سنذكر اشعار العرب في هجاء الكلب مجردا على وجهه ثم نذكر ما دخلوا من خلاله
واصناف اعماله وامورا من صفاته ونبتدي بذكر هجائه في الجملة • قال بشار بن برد
عددت سويدا اذ جريت وتولبا • وللكلب خير من سويد وتولب • وقال بشار او غيره
اتذكر اذ ترعى على الحي شائهم • وانت شريك الكلب في كل مطعم • وتلحس ما في القعب من فضل سؤره
وقد عاش فيه باليدين وبالفم • وقال ابن ادينة • من يجمع المال ولم يجد به
ويترك المال لعام جدبه • يهن على الناس هوان كلبه • وقال اخر
واني شريبي لا تعف بوجهه • كلوم كان كلبا هارش الكلبا • ولا اقسم الاعطان بيني وبينه
ولا اتوقاه وان كان مجربا • وهجا ابن الاحوص ابنا له فشبهه بجرو كلب فقال ٥
اقبح به من ولد واشقح • مثل جري الكلب لم يفقح • ان يرهسوا الرغيف ينبح
بالباب عند حاجة المستفتح • وقال ابو حزانة • يا ابن على برح الخفاء •
انت لغير طلحة الغداء • قد علم الاشراف والاكفاء • انك انت الناقص الفافاء •
هبلق جد عدا الرعاء • بغيه المبذر والرداء • بنوا على كلهم سواء •
كانهم زبينة جراء • وقال عبد بني الحسحاس وذكر قبح وجهه ٥
اتيت نساء الحارثيين عدوة • بوجه براه الله غير جميل • فشبهنني كلبا ولست بفوقه
ولا دونه ان كان غير قليل • وقال ابن ذواب السعدي في هوان الكلب •
لكسرى كان اعقل من تميم • ليالي فر من ارض الضباب • واسكن اهله بيلاد ريف
واشجار وانهار عذاب • فصار بنوا ابيه بها ملوكا • وصرنا نحن امثال الكلاب

فلا

فلا رحم الاله صدى تميم • فقد ازرى بنا في كل باب • واراد اللعين هجاء جرير وجرير
من بني كليب فاشتق هجاه من نسبه فقال ٥ ساقضي بين كلب بني كليب
وبين القين قين بني عقال • بان الكلب مطعمه خبيث • وان القين يعمل في سفال
كلا العبدين قد علمت معد • لئيم الاصل من عم وخال • وما بقيا على تركتما كب
ولكن خفتما صرد النبال ٥ وقال رجل من همدان يقال له الضحاك بن سعد يهجوا
مروان بن محمد فجعله كلبا واشتق له اسما من الكلب فقال ٥
لج الفرار بمروان فقلت له • عاد الظلوم ظليما همه الهرب • اين الفرار وترك الملك ان قبلت
منك الهوينا فلا دين ولا ادب • فراشة الحلم فرعون العذاب وان • يطلب نداه فكلب دونه كلب
وقال اخر وجعل الكلب مثلا في اللوم ٥ سرت ما سرت من ليلها ثم عرجت
على رجل بالعرج الام من كلب • وكذلك قول الاسود بن المنذر فانه قال ٥
فان امرءا انتم حوله • تحفون قبته بالقباب • يهين سراتكم جاهدا • ويقتلكم مثل قتل الكلاب
وقال سحيمة بن نعيم • الست كليبيا لكلب وكلبة • لها عند اطناب البيوت هرير
وقال النجاني في ذلك • من منزلي قد اخرجتني زوجتي • تهر في وجهي هرير الكلبة
زوجتها فغيرها من حرفتي • قلت طالما اراقت جرتي • ام هلال ابشري بالحرة
وابشري منك بقرب الضرة • ويقال للكلب فلحس وهو من صفات الحرص والالحاح
ويقال فلان اسال من فلحس وفلحس رجل من بني شيبان كان حريصا رغيبا
وملحفا ملحا وكان طفيليا وكل طفيلي فهو عندهم فلحس وهو من صفات الحرص والالحاح
والارشم الكلب والذئب وقد اشتق منه للانسان اذا كان يتشمم الطعام ويتبع مواضعه
وقال جرير في بعضهم • لقى حملته امه وهي ضيفة • فجاءت بيتن للضيافة ارشما
وقال حور في استرواح الطعام • وبنو الهجيم كتيبة اطامهم • نط اللحا متشابهو الالوان
لو يسمعون باكلة او شربة • بعمان اصبح جمعهم بعمان • متابطين بنيهم وبناتهم
صعر الانوف لريح كل دخان • وقال سهم بن حنظلة العنزي في ذلك ٥
واما كلاب فمثل الكلاب • لا يحسن الكلب الا هريرا • واما تميم فمثل البغال

اشبهن اباهن الحمرا • واما هلال فعطارة • يبيع ملابا وعطرا كثيرا •
ومر جرير يوما بالمربد فوقف عليه الراعي وابنه جندل فقال له جندل انه قد طال وقوفك على
هذا الكلب الكليبي فالى متى وضرب عجز بغلته فمضى الراعي وابنه فقال جرير والله لاثقلن
رواحلك فلما امسى اخذ في هجائه فلم ياته ما يريد فلما كان مع الصبح انفتح له القول فقال
فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا • ولو وضعت فقاح بني نمير •
على خبث الحديد اذا لذابا • ثم وقف في موقفه فلما مر به جندل قبض على عنان فرسه فانشده
قوله حتى اذا بلغ هذا البيت • اجندل ما تقول بنو نمير • اذا ما الاير في است ابيك غابا •
قال ثم ولى يقول يقولون والله شرا وقال الشاعر وضرب بالكلب المثل في قبح الوجه ه
سوءت فقلت لها هج فتبرقعت • فذكرت حين تبرقعت ضبارا • وضبار اسم كلب
وقال كعب الاحبار لرجل واراد سفرا ان لكل رفقة كلبا فلا تكن كلب اصحابك وتقول
العرب احب اهلي الي كلبهم الظاعن ومن الامثال وقع الكلب على الذئب ليأخذ منه ما اخذ
ومن امثالهم الكلاب على البقر ومن امثالهم في الشوم على اهلها دلت براقش وهي
كلبة قوم نبحت على جيش مروا ليلا وهم لا يشعرون بالحي فاستدلوا على موضعهم بنباحها
فاستباحوهم وقال الشاعر لم تزل سيدا آل ثور نباحة عضه كلب فماتا
وقال صاحب الكلب قد يموت الناس بكل شي وقد قاد عبد الملك بن مروان الاشجعي
من الضحاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح اباه كبش فوجد ليس به خبط ولا نبط وقال
عرفجة بن شريك يهجو اسلم ووطئت اباه عنز فمات فقال ولم استطع اذنابي معشري
مكان قتيل العنز ان انكلا • فيا بن قتيل العنز هلا اثرته • بنزعة تيس في الزريبة ازنما
وقال ابو العود في حصين بن بجي • اصبح محتاجا الى العرب • في طلب العرف الى كلب
قد وقع الكلب له وجهه • فصار لا يحاش للسب • اذا شكى صب اليه الهوى •
قال له مالي وللصب • اعني فتى يطعن في دينه • تثب معه خشب الصلب •
قال وقلت لابي عبيدة اليس بقع الكلاب اشرها قال لا قلت ولم وقد قال الشاعر
وخفت هجاءهم لما تواصوا • كخوف الذئب من بقع الكلاب • قال ليس هكذا

قال

قال انما قال • كخوف الذئب من سود الكلاب • الا ترى انه حين اراد الهجاء قال
كانك بالمبارك بعد شهر • تخوض غموره بقع الكلاب • ويدل على ذلك قول الشاعر •
لعمري لجود من جواد سويقة • اسافله ميت واعلاه اجرع • احب البنا ان نجاور اهله
ويصبح منا وهو مرأى ومسمع • من الجوشن الملعون بالري لا ينى • على راسه داعي المنية يلمع
يقولون لي صبرا فقلت لطالما • صبرت ولكن لا ارى الصبر ينفع • فليت عطائي كان قسم بينهم
وكان لي الصمان والحزن اجمع • وكان لهم اجرى هنيئا واصبحت • لي البازل الكوماء بالرمل تضبع
فاصل نفسي عدو عليج كانما • يموت به كلب اذا مات ابقع • قال فقد ترى كما ترى ان ابقع
الابقع شرها قال فقلت فلم قال الشاعر لامية بن ابي الصلت يمدح سيف بن ذي يزن ه
ارسلت اسدا على بقع الكلاب فقد • امسى شريدهم في الارض فلا لا • قال فكيف يقول
ذلك وهو يمدحهم واذا صغر شان ما انهزموا فقد صغر شان الممدوح بل انما قال ارسلت اسدا
على سود الكلاب قال وانما جاء الحديث في قتل سود الكلاب لان عقورها اكثر ما يكون سودا وذلك
من غلبة انفسها وليس في الارض حيوان من بقرة وثور وحمار وفرس وكلب وانسان الا
والسود اشدها ادرا وعضا واظهرها قوة وصبرا وقال ابو سعيد المخزومي في هجائه دعبلا ه
يا نائب ابن ابي سعيد انها • دول واحرى بها ان تنتقلا • هلا جعلت لها كحرمة دعبل
في است ام كلب لا يساوي دعبلا • وقال ابن نوفل ه جبت على قصواء تنقل سوءة
البنا وكم من سوءة لا تنالها • وتزعم انهم تحت سلمى بن جندل • وقد خرئت بعد الرجال كلابها
وقال الحسن بن هانئ يهجو حصين بن بجي • قفا خلف وجه قد اطيل كانه
قفا مالك يقضي الهموم على بثق • واعظم زهوا من ذباب على خرا • وابخل من كلب عقور على عرق
وقال ابو الشمقمق • اهل جود ونائل وفعال • غلبوا الناس بالندى والعطية
جئته زائرا فادنا مكاني • وتلقى بمرحب وبتحية • لا كمثل الامام حارثة اللؤم
شبيه الكليبة القلطية • جئته زائرا فاعرض عني • مثل اعراض قحبة سوسية
وتولى كانه اير بغل • غاب في دبر بغلة مصرية • وقال ايضا •
الا قولا لسران المخازي • ووجه الكلب والتيس الضروط • له بطن يضل الفيل فيه

ودبر مثل راقود النشوط • وابر عارم لا احترمنه • كزور سمنته في بشق زوط
ولحية حايك من باب قلبا • موصلة الجوانب بالجنوط • اذا نهض الكرام الى المعالي
نرى سران بسغل في هبوط • لو وجد عليه الفقر باد • مرقعة جوانبه بغبط
وقال ايضا في ذلك • يا ارق الكلب وبحر من سعة • والطير والوحش في بهاء دويه
لو شئت صبرته في حال قافته • حتى تقر بتلك الحال عينيه • وقال جرير عطية يهجو الصلتان العبدي
اقول لها والدمع يغسل كحلها • متى كان حكم الله في كرب النخل • فقال الصلتان •
تعيرنا ان كانت النخل مالنا • وود ابوك الكلب ان كان ذا نخل • يعيره جرير بانه
كان وابوه من اصحاب النخل وقال وضاح اليمن • واكتم السر عصيانا وفي سكري
حتى يكون له وجد ومستمع • واترك القول عن علم ومقدرة • حتى يكون بذاك النجم مطلع
لا قوتي قوة الراعي ركائبه • يبيت ياوي اليه الكلب والربع • ولا العسيف الذي تشتد عقبته
حتى يووب وباتي نعله قطع • وقال محمد بن عباد الكاتب مولى بجيلة وابوه من سبي دابق
وكان رضيعا وصديق ثمامه يهجو ابا سعيد دعي بني مخزوم وبعدان لقي منه ما لقي •
فعلت ثراهيك الذي استاصلته نفيا وضربا • ونعوت قحطانا لا لتهجوهم معايدة واربا
واردت كيما تشتفي بهجائهم منهم فتربا • وونقمة انك ماسببت حاكر لو مك ان تسبا
كالكلب ان ينبح فليس جوابه الا اخس كلبا • خفض عليك وقر مكانك لا تطف شرقا وغربا
واكشف قناع ابيك مالا باء ليس تنال غصبا • وقال اخر يصف كلبا •
ولذ كطعم الصرخدي تركته • بارض العدا من خشية الحدثان • ومبدي الشحناء بيني وبينه
دعوت وقد طال السرى فدعاني • فوصفه كما ترى انه يبدي له البغضاء وقال اخر
سرت ما سرت من ليلها ثم عرجت • على رجل بالعرج الام من كلب • وقال راشد بن شهاب
اليشكري • فلت اذا هبت شمال عرية • يكلب على لحم الجزور ولا برم •
وقال كثير بن عبد الرحمن وهو يصف نعلا من نعال الكرام • اذا طرحت لم يطب الكلب ريحها
وان وضعت في مجلس القوم شمت • وقال اللعين في بعض اضيافه يخبر انه قراه لحم كلب وقد
قال ابن الاعرابي انما وصف تيسا • فقلت لعبدي اقتلا داء بطنه • واعفاجه

اللابي

اللابي لحم زوايد • فجاء بخرشاوي شعر عليهما • كراديس من اوصال اعفر سافد
وقال دعبل بن علي • ولو برزق الناس عن حيلة • لما نال كفا من التربه
ولو يشرب الماء اهل الفضل • لما نال من مائهم شربه • ولكنه يرزق من ربه فه
بعم به الكلب والكلبه **باب في ذكر من هجي باكل لحوم الكلاب ولحوم الناس**
قال سالم بن دارة الغطفاني • يا فقعسي لم اكلته لمه • لو خافك الله عليه حرمه
فما اكلت لحمه ولا دمه • وقال الفرزدق في ذلك • اذا اسدي جاع يوما ببلده
وكان سمينا كلبه فهو اكله • وقال مساور بن هند •
اذا اسدية ولدت غلاما • فبشرها بلوم في الغلام • يخرسها نساء بني دبير
باخبث ما يكون من الطعام • ترى اظفار اعقد ملقيات • براثنها على وضم الثمام
فهذا وما اشبهه يدل على ان اللعين قراهم كلبا ولم يقرهم تيسا وان الصواب خلاف
ما قال ابن الاعرابي وقال مساور بن هند • بني اسد ان تحمل العام فقعس
فهذا اذا دهر الكلاب عليها • وقال شريح بن اوس يهجو ابا المهوس الاسدي •
وعيرتنا تمر العراق وبره • وزادك ابر الكلب شيطه الجمر • وقال معروف الدبيري
في الكلهم لحوم الناس • اذا ما ضفت بوما فقعسيا • فلا تطعم له ابدا طعاما •
فان اللحم انسان فدعه • وخير الزاد ما منع الحراما • وقد هجيت هذيل واسد
والعنبر وباهلة باكل لحوم الناس قال حسان بن ثابت يذكر هذيلا •
ان سرك الغدر صرفا لا مزاج له • فات الرجيع وسل عن دار لحيان •
قوم تواصوا باكل الجار بينهم • فالكلب والشاة والانسان سيان • وقال
الشاعر في مثل ذلك في هذيل • وانتم اكلتم شحمة ابن مخدم • زياد فلا يامنكم احد بعد
تداعوا له من بين خمس واربع • وقد نصل الاظفار وانساء الجلد • ورفعتم جردانه لرئيسكم
معاوية الفلي، بالك ما شكد • وقال الشاعر في مثل ذلك في باهلة •
ان عفافا اكلته باهلة • تمششوا عظامه وكاهله • واصبحت ام عفاف ثاكله
وهجا شاعر اخر بلعنبر وهو يريد ثور بن تحمه وكان شريفا وكان يقال له مجير الطير

فاما بجير الجراد لبنو مدلج بن سويد بن مرثد بن جبير معنى ان الشاعر ثور بن شحمة باكل الرجل
العنبري لحم المراة الى ان نزل ثور من الجبل فقال • عجلتم ما صادكم علاجي •
من العنوق ومن النعاج • حتى اكلتم طفلة كالعاج • فلما عيروه قال ثور •
يا بنت عمي ما يدريك ما حسبي • اذ لا يجن جنين الزاد اضلاعي • اني لذو مرة تخشى بوادره
عند الصباح بنصل السيف قراع • ومن ظريف الشعر قول ابي عدنان •
فما كلبة سوداء تقرى بنابها • عراقا من الموتى مرارا وتكدم • اتيح لها كلب فضمت بعرقها
فهارشها وهي على العرق تعزم • فعقب على هذا الشعر فانه من اعاجيب الدنيا وقال انسان
زنجي • ما بال كلب بني كليب سبنا • ان لم يوازن حاجبا وعقالا •
وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور فقال له مالك انما رفعك قبر بتستر قال شقيق حبذا
وضعك قبر بالمشقر يا ابن قتيل النساء وقتيل الكلاب قال وكان يقال لمسمع قتيل الكلاب وذلك
انه لجا في الردة الى قوم من بني عبد القيس فكان كلبهم ينبح عليه فخاف ان يدل على مكانه فقتله
فقتل به قال والعرب تقول اسرع من لحسة كلب انفه ويقال اوحى من لعوة وهي
الكلبة وجمعها لعاء وفي المثل الام من كلب على عرق ونعم كلب في بؤس اهله وفي المثل
اضيع المعروف ولو الى كلب وقال ابن سيرين الكلب في النوم رجل فاحش فان كان اسود
فهو عربي وان كان ابقع فهو عجمي وقال الاصمعي عن حماد بن سلمة عن ابي لبيد ابي بلال
مرداس بن اذية قال رايت ابا بلال في النوم كلبا تذرف عيناه وقال انا حولنا بعدكم
كلابا من كلاب النار قال ولما خرج شمر بن ذي الجوشن لقتال الحسين بن علي رضي الله عنهما
فراى الحسين فيما يرى النائم ان كلبا ابقع يلغ في دمائهم فاول ذلك ان يقتلهم شمر وكان
منسلخا برصا قال والمسلمون كلهم يسمون الخوارج كلاب النار وقال صاحب الديك
لصاحب الكلب يصفه بالسرعة في الحضر وبالصبر على طول العدو وبسعة الاهاب
وانه اذا عدا صبع وبسط يديه ورجليه حتى يمس قصه الارض وحتى يشرط اذنيه بشبا
اظفاره وانه لا يحتشي ربوا مما يصيب الكلاب من اللهث فان كان كما تقولون فلم وصفت
الشعراء الفرس وشبهته بضروب من الخلق وكذلك الاعضاء وغير ذلك من امره وتركوا الكلب

في

في الماء لا يبقت احد اليه وقال ابو داود الايادي في ذلك • على لسان كجنة الورل الاحمر
يجله الندى عليه العذار • ولم يذكره في شيء وقال حماد عجرد الكلابي • كان لسانه ورل عليه
بدار مضيئة يجع العرار • وقال امرؤ القيس • وخد اسيل كالمسن وبركة •
كجؤجؤ هيق دفه قد تمورا • ولم يذكره في شيء من ذلك وقال عقبة بن سابق •
عريض الخد والجبهة والصهوة والجنب • ولم يذكره بشيء وقال امرؤ القيس •
وسامعتان تعرف العتق فيهما • كسامعتي مذعورة وسط ربرب • ولم يذكره بشيء
وقال عقبة بن سابق • وله بركة كجؤجؤ هيق • ولبان مضرج بالخضاب •
ولم يذكره وقال خفاف بن ندبة • عبل الذراعين سليم الشظا • كالسيد يوم القرة الصلدد
وقال امرؤ القيس • سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا • اقب كتيس حل بالغدوات
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال عقبة بن سابق • وارساغ كاعناق ظباء اربع غلب
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال الجعدي • كان تماثيل ارساغه • رقاب وعول لدى مشرب
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال امرؤ القيس • لها ثنتان خظاتا كما • اكب على ساعديه النمر
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال ابو داود • يمشي كمشي نعامتين تتابعان اشق شاخص
وقال ابن الصعق • يحنب مثل العقاب تخاله للضمر قدحا • ولم يذكره في شيء من
ذلك وقال ربيعة بن جشم ويروى لامرئ القيس • وساقان كعباهما اصمعان
لحم حماتيهما منبتر • ولم يذكره في شيء من ذلك وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري •
كان حماتيهما ارنبان • تقبضتا خيفة الاجدل • ولم يذكره في شيء من ذلك وقال
خالد بن الصقعب • كان حماتها كردوس فحل • مقلصة على ساقي ظليم •
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال الاعشى • اما اذا استقبلته فكانه
جذع سما فوق النخيل مشذب • واذا تصفحه الفوارس معرضا • فتقول سرحان
الغضا المنتصب • اما اذا استدبرته فتسوقه • ساق يقمصها وظيف احدب
منه وجاعرة كان حماتها • لما كشفت الجل عنها ارنب • ولم يذكره في شيء من ذلك
وقال الاسعد الجعفي • اما اذا استقبلته فكانه • باز يكفكف ان يطير وقد راى

اما اذا استعرضته متمطرا • فتقول هذا مثل سرحان الغضى • اما اذا استدبرته فتقول
ساق قموص الوقع عاريه كنسا • ولم يذكره في شيء من ذلك وقال ابو داود •
كالسيد ما استقبلته واذا • ولى تقول ململم ضرب • لام اذا استعرضته وشى
متتابعا ما خانه عقب • يمشي كمشي نعامة تبعت • اخرى اذا هي راعها خطب
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال امرؤ القيس • له ايطلا ظبي وساقا نعامة •
وارخاء سرحان وتقريب تتفل • وقال ابن سنان العبدي ٥
اما اذا ما اقبلت فطارة • كالجذع شذب نبتي المنجل • اما اذا ما اعرضت فتليلة
ضخم مكان حزامها والمركل • اما اذا ما استدبرت فنعامة • تنفي سنابكها صلاب الجندل
ولم يذكره في شيء من ذلك قال ابو عبيدة ومما يشبه خلق الفرس من خلق النعام
طول وظيفيها وقصر ساقيها وعري نسيها ومما يشبه من خلقه خلق الارنب صغر
كعبيها ومما يشبه من خلقه خلق الحمار الوحشي غلظ لحمه وظماء فصوصه وسراته وتمحص
عصبه وتمكن ارساغه وعرض صهوته **قال صاحب الكلب** قد قال ابو عبيدة انما
ما يشبه من خلقه خلق الكلب هرت شدقه وطول لسانه وكثرة ريقه وانحدار قصه
وسبوغ ضلوعه وطول ذراعيه ورحب جلده ولحوق بطنه وقال طفيل الغنوي يصف الخيل
تباري مراخيها الزجاج كانها • ضراء احست نباة من مكلب • وقال طفيل ايضا ٥
كان على اعطافه ثوب مائح • وان يلق كلب بين لحييه يذهب **وقال صاحب الديك**
واين يقع البيت والبيتان من جميع اشعار العرب **قال صاحب الكلب** لعلنا ان تتبعنا
ذلك وجدناه كثيرا ولكنك تقدمت في امر ولم نشعر بالذي تعني فنلتقط من جميع اكثرها
النقط والان شريف الاعضاء وقد يشبه مواضع منه مواضع من الفرس العتيق
وما حضرنا من الاشعار الا قوله • وترى الكميت امامه وكانه رجل يغاضب •
وقال ان ونحو ذلك • فوص تراح الى الصراخ اذا عدت • فعل الضراء تراح للكلاب
وقد شبهوا بالكلب كل شيء وكان اسم فرس عامر بن الطفيل الكلب والمزنوق والورد **قال
صاحب الديك** قد قال اوس بن حجر ووصف الناقة ونشاطها والذئب

يهيجها

يهيجها فقال • كان هرا جنيبا عند معرضها • والتف ديك برجليها وخنزير
فهلا قال والتف كلب كما قال والتف ديك • وقال ابو حية ٥
وتزاورت عنه كان بدفها • هرا تنشب ضبعها بالاظفر • وقال الاعشى ٥
بجلالة سرح كان بدفها • هرا اذا انتعل المطي ظلالها • وقال عنترة بن شداد العبسي
وكانما ينأى بجانب دفها الوحشي من هزج العشي مؤوم • هر جنيب كلما عطفت له
غضبى اتقاها باليدين وبالفم • وقال المثقب العبدي • فسل الهم عنك بذات لوث
عذافرة كمطرقة القيون • بصادقة الوجيف كان هرا • يباريها ويأخذ بالوضين
قال صاحب الكلب انما يذكرون في هذا الباب السباع المنعوتة بالمخالب وطول
الاظفار كما ذكروا الهر وابن اوى والكلب ليس يوصف بالمخالب وليس ان الهر اقوى منه
الا ترى ان اوس بن حجر قال في ذلك • كان هرا جنيبا عند معرضها • فذكر الموضع الذي
يوصف بالكلب والخدش والخمش والتظفير فلما اراد ما يثورها ويفزعها حتى تذهب جافلة
في وجهها او نادة او كانها مجنونة من حاق المرح والنشاط قال والتف ديك برجليها
وخنزير وقال ابو النجم ٥ لو جرش حلقها لم تحفل • من شهوة الماء ورز معضل
ولو قد اوس والتف شن برجليها وخنزير لكان جائزا لولا يبس الشن وتحوله
وانه حالس يلتوي على رجليها وقال اخر ٥ كان ابن اوى موثق تحت غرزها
اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا **قال صاحب الديك** حدث عمرو بن شعيب عن عبد الله
ابن عمرو وعبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل يعطي عطيته
ويرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده ومثل الذي يعطي العطية ويرجع فيها كمثل الكلب يأكل حتى
اذا شبع قاء ثم عاد في قيئه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرجع في هبته الا الوالد من ولده والعائد في هبته كالعائد في قيئه وعن جعفر بن محمد
عن ابيه عن عبد الله بن جعفر ان ابا بكر امر بقتل الكلاب قال عبد الله بن جعفر وكانت امي
تحت ابي بكر فكان جرو لي تحت السرير فقلت له يا ابه وكلبي ايضا فقال لا تقتلوا كلب
ابني ثم اشار باصبعه الى الكلب اي خذوه من تحت السرير وانا لا ادري فقتل واسمعيل

ابن ابنه قال امتان من الجن مسخنا وهما الكلاب والحيات وعن ابن المبارك قال اذا عرف
الرجل قدر نفسه صار عند نفسه اذل من الكلب وقال صاحب الديك وذكر الكلب
فقال ومن لؤمه انك ان اسمنته اكلك وان اجعته انكرك ومن لؤمه اتباعه لمن
اهانه والفه لمن اجاعه لانه اجهل من ان يانس بما يونس به واشره وانهم واحرص والح
من ان يذهب بطمعه ما يذهب بطامع السباع ومن جهله ايضا انا لم نجده يحن الى مجتنبه
اليه ينباحه واربابه الذين ربوه وتبنوه الاكرم اسنه لمن عرفه ساعة واحدة بل لمن
اذله واجاعه واعطشه بل ليس ذلك منه حراسة وانما هو فيه من فضل البذاء والعبث وشدة
التحرش والتسرع وقد قال الشاعر في ذلك ٥ اذا تخازرت وما بي من خزر
ابدى اذا بوديت من كلب ذكر اسود قراع تعرى في السحر وانما ذلك شكل من شكل من
وكالذي يعتري ناسا من السفلة من الصخب والكلب جبان وفيه جراءة وجبن ولو كان شجاعا
وفيه بعض التهيب كان امثل ولفرط الجبن يفزع من كل شيء وينبح فالبردون ربما نهق البردون
مستديا وقلق وصهل صهيلا في اختلاط وليس ذلك من فضل قوة يجدها في نفسه على الامر مع
ولكنه يكون جبانا فاذا راى البردون الذي يظن انه يعجز عنه اراه الجبن انه واقع به فعندها
يقلق واذا قلق رمح وهذه العلة تعرض للمجنون فان المجنون الذي تستولي عليه السوداء
ربما وثب على من لا يعرف وليس ذلك الا لان المرة وهمته انه يريد به سوء وان الراي ان يبداه
بالضرب وعلى ذلك يرمي بنفسه في الماء والنار فاما الذي شهدت انا من ابي اسحق
ابرهيم بن سيار النظام فانا خرجنا ليلة في بعض طرقات الابلة وتقدمته شيئا والح عليه
كلب من شكل كلاب الرعاء وكره ان يعدو فيغريه ويحربه وانف ايضا من ذلك وكان انفا
شديد الشكيمة اباء للهضيمة وكره ان يجلس مخافة ان يشغر عليه ببوله ولعله ان يخضع
فيهرش ثوبه والح عليه فلم ينله بسوء فلما جزنا حده وتخلصنا منه قال ابرهيم في كلام له كثير
بعدد خصاله المذمومة فكان اخر كلامه ان قال ان كنت سبعا فاذهب مع السباع وعليك
بالبراري وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بكلام ملحون
من قولي ان كنت سبع ولم اقل ان كنت سبعا وانا اقول ان الاعراب تفسد نوادر

والقاص

المولدين

المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب لان سامع ذلك الكلام انما اعجبته تلك الصورة وذلك
المخرج وتلك اللغة وتلك العادة فاذا ادخلت على هذا الامر الذي انما اضحك بسخفه وبعض كلام
العجمية التي فيه حروف الاعراب والتحقيق وحولته الى صورة الفاظ الاعراب الفصحاء واهل المروءة والنجابة
انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته ثم قال ابو اسحق ان اطعم اللص بالنهار كسرة خبز
خلاه ودار مواه ليلا وهو في هذا الوجه مرتش والكل سحت وهو مع ذلك اسمج الخلق صوتا واخبث
الخلق يقظة ونوما ينام النهار كله على نفس الجادة وعلى مدق الحوافر وفي كل سوق وملتقى كل طريق
وعلى سبيل الحمولة وقد سهر الليل كله بالصياح والصخب والنصب والتعب وبالغيظ والغضب والمجيء
والذهاب فيركبه من النوم على حسب حاجته اليه فان وطئته دابة فاسوا الخلق جزعا والامه
لؤما واكثره نباحا وعواء فان سلم ولم تطاه دابة ولا وطاه انسان فليست تتم له
السلامة لانه في حال متوقع للبلية ومتوقع البلية في بلية فان لم يسلم فليس على ظهرها
مبتلى اسوا حالا منه لانه اسواهم جزعا واقلهم صبرا ولانه الجاني ذلك على نفسه وقد كانت
الطرق الخالية له معرضة واصول الحيطان له مباحة وبعد فان كل خلق فارق اخلاق
الناس فانه مذموم والناس ينامون بالليل الذي جعله الله سكنا وينتشرون بالنهار
الذي جعله الله لحاجات الناس مسرحا قال صاحب الكلب لو شينا ان نقول ان
سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية لقلنا ولو كان خلاف ذلك الذ لكانت الملوك
بذلك اولى ولجوا اما الذي اشرتم به من النوم في الطرق الخالية وعبتموه به من نومه على شارعات
الطرق والسكك العامرة وفي الاسواق الجامعة فلعل امره واعلم شانه ولولا ان الكلب
يعلم ما يلقى من الاحداث والسفهاء وصبيان الكتاب من رض عظامه بالواحهم اذا وجدوه
نائما في طريق خال ليس يحضره رجال يهابون وشيخ يرحمون ويزجرون السفهاء وان
ذلك لا يعتريه في مجامع الاسواق لقل خلافه عليك ولما رقد في الاسواق وعلى ان هذا
الخلق انما يعتري كلاب الحراس والتي في الاسواق ماواها ومنازلها وبعد فمن اخطا
واظلم ممن يكلف السباع اخلاق الناس وعادات البهائم وقد علمنا ان سباع الارض
تفارقها انما تهيج وتسرح وتلتمس المعيشة وتتلاقى على السفاد والعضال ليلا

لانها تبعد بالليل واما نام الناس بالليل من حوايجهم لان التمييز والتفصيل والتبيين لا يمكنهم
الا نهارا وليس للتعب المتحرك بد من سكون يكون جماما له ولولا صرفهم الناس بحمام
الى الوقت الذي لو لم ينام وافيه والوقت مانع من التمييز والتبيين لكانت الطبايع تنتقض
فجعلوا النوم بالليل لضربين احدهما لان الليل اذ كان من طبع البرد والركود والخثوره
كان ذلك انزع الى النوم وادعى اليه لانه من شكله والوجه الاخر فلان الليل موحش مخوف
الجوانب من الهوام والسباع ولان الاشياء المتباعد والحاجات الى تمييز الدنانير والدراهم
والحبوب والبزور والجواهر واخلاط العطر والشر نهارا وما لا يحصى عدده فقادتهم طبايعهم
وساقتهم غرايزهم الى وضع النوم في موضعه والانتشار والتصرف في موضعه على ما قدر
الله من ذلك واحبه فاما السباع فانها تتصرف بالليل ولها ايضا علل يطول ذكرها
واما ما ذكرنا عنه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل فان الملوك لم تجهل فضل النوم
بالليل والحركة بالنهار ولكن الملوك لكثرة اشغالها فضلت حوايجها عن مقدار النهار
ولم يتسع لها فلما استعانت بالليل ولم يكن لها بد من الخلوة بالتدبير المكتوم والسر
المخزون وجعلت المقدار الفاضل عن اتساع النهار الى المقدار الذي لا بد للخلوة بالاسرار
منه اخذت من الليل صدرا صالحا فلما طال ذلك عليها اعتادتها المران وخف ذلك عليها
بالدربة وناس منهم ذهبوا الى التناول من الشراب والى سماع الصوت الحسن ماين يدي
المنة ويكون مادا للقوة وعلموا ان العوام اذا كانت لا تتناول شراب ولا تتكلف السماع
على هذا المعنى ان طبعها سيسوء وقوتها ستكسر فراوا ان الليل استر واجدر ان يتم به باقي
التدبير وقال الراجز   الليل اخفى والنهار افضح   وقالوا في المثل الليل اخفى للويل
وما زالت ملوك العجم تلهي المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر حتى
اخذت ذلك ملوك العرب عن ملوك العجم ولذلك قال ابن علية الشيباني
وسماع مدجنة تعللنا   حتى ننام تناوم العجم   فصحوت والنمري يحسبها   عم السماك وخالة النجم
النجم واحد وجمع وانما يعني في البيت الثريا والمدجن يعني سحابة دايمة وفيما يحكى
عن امراة من عقلاء نساء العرب واذا كان نساء العرب في الجملة اعقل من رجال العجم

فما ظنك بالمراة منهن اذا كانت مقدمة عندهم فروا جميعا ان ام تابط شرا قالت
والله ما ولدته يتنا ولا سقيته غيلا ولا ابتته على مائقة فاما اليتن فخروج رجل
المولود قبل راسه وذلك علامة سوء ودليل على الفساد واما سقي الغيل فارضاع
لبن الحبلى وذلك فساد شديد واما قولها في المائقة فان الصبي يبكي بكاء شديدا
متعبا موجعا فاذا كانت الام جاهلة حركته في المهد حركة تورثه الدوار او نومته بان
تضرب بيدها على جنبه ومتى نام الصبي وتلك الفزعة او اللوعة او المكروه قايم في
جوفه ولم يعلل ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسره حتى يكون نومه على سرور
فيسري فيه ويعمل في طباعه ولا يكون نومه على فزع او غيظ او غم فان ذلك مما يعمل في
الفساد والام الجاهلة والمرقصة الخرقاء اذا لم تعرف فرق ما بين هاتين الحالتين
كثر منها ذلك الافساد وترادف واعان مثاني الاول ومثالث الثاني حتى يخرج
الصبي مائقا وفي المثل صاحبي مئق وانا تئق فكيف نتفق يضرب هذا المثل للمسافر
الاحمق الرفيق والزميل وقد استفرغه الضجر لطول السفر فقلبه ملان فاول شي يكون
من ذلك المئق من المكروه لم يحتمله بل يفيض صبره عليه لامتلايه من طول ما قاسى
من مكروه السفر فاحتاج حذاق الملوك واصحاب العنايات التامة الى ان يداووا انفسهم
بالسماع الحسن وتبدوا وانسوا انفسهم بالشراب الذي اذا وقع في الجوف حرك الدم واذا
حرك الدم حرك طباع السرور ثم لا يزال زايدا في مخيلة الدم زايدا في الحركة المولدة
للسرور هذه صفة الملوك وعليه بنوا امرهم جهل ذلك من جهله وعلمه من علمه وباب

صاحب الكلب اما تركه الاعتراض على اللص الذي اطعمه اياما واحسن اليه مرارا
فانما وجب عليه حفظ اهله لاحسانهم اليه وتعاهدهم له فاذا كان عهده بهذا اللص
احدث من اهله لم يكلف الكلب النظر في العواقب ومطالعة الامور والذي اضمر اللص
من البيات غيب قد ستر عنه وهو لا يدري اجاء ليأخذ ام جاء ليعطي ومن امره
ام هو المتكلف لذلك ولعل اهله ايضا ان يكونوا قد استحقوا ذلك منه بالضرب
والاجاعة والسب والاهانة واما سماجة الصوت فالبغل اسمج صوتا منه

والحمار انكر صوتا منه وكذلك الطاوس على انهم يتشاءمون به وليس الصوت الحسن الا لاصناف
لحمام من القماري والدباسي واصناف الشفانين والوراشين فاما الاسد والذيب وابن
اوي والخنزير والظبي وجميع الطير والسباع والبهايم فكذلك واعا لك ان تذم الكلب
في الشيء الذي لا يعم والناس يقولون ليس في الناس شيء اقل من ثلثة اصناف البيان
الحسن والصوت الحسن والصورة الحسنة ثم الناس بعد مختلطون ممتزجون وربما كان
من الناس بل كثيرا ما نجده وصوته اقبح من صوت الكلب فلم يخصون الكلب بشيء عامة
الخلق فيه سواء حالا من الكلب واما عواوه من وطي الدابة وسوء جزعه من ضرب الصبيان
فجزع الفرس من وقع عذبة السوط اسوا من جزعه من وقع حافر برذون وهو في
هذا الموضع للفرس اشد مناسبة منه للحمار على ان الديك لا يذكر بصبر ولا جزع قال
صاحب الديك حدثني العتبي قال كان في اليونانيين ممرور له نوادر عجيبة وكان
يسمى زنيموس قال والحكماء يروون له اكثر من ثمانين نادرة وما منها نادرة الا وهي
غرة وعين من عيون النوادر فمنها انه كان كلما خرج من بيته مع الفجر الى شاطي الفرات
للغايط والطهور التي في اصل باب داره وفي دوارته حجرا كبيرا يصفق الباب فيحتاج
الى معالجة فتحه والى دفعه كلما رجع من حاجته فلما اذا رجع لم يجد الحجر في موضعه ووجد
الباب منصفقا فكمن له في بعض الايام ليرى هذا الذي يصنع ما يصنع فبينا هو في
انتظاره اذ اقبل رجل حتى تناول الحجر فلما نحاه عن مكانه انصفق الباب فقال له مالك ولهذا
الحجر ومالك تأخذه فقال لم اعلم انه لك فقال فقد علمت انه ليس لك قال وقال له
بعضهم ما بال زنيموس يعلم الناس الشعر ولا يقول الشعر قال زنيموس كالمسن الذي
يشحذ ولا يقطع قال ورآه رجل ياكل في السوق فقال انا آكل في السوق فعال اذا جاع
زنيموس في السوق اكل في السوق قال واسمعه رجل كلاما غليظا وسطا عليه وفحش في
القول وحلم عنه فلم يجبه فقيل له ما منعك من مكافاته وهو لك معرض قال ارايت لو
رمحك حمار اكنت ترمحه قال لا قال فان نبح عليك كلب اتنبح عليه قال لا قال
فان السفيه اما ان يكون حمارا او يكون كلبا لانه لا يخلو من شرارة تكون فيه او جهل

وما

وما اكثر ما يجتمعان فيه وقال صاحب الديك يقال للسفيه انما هو كلب وانما انت
كلب نباح وما زال ينبح علينا منذ اليوم وكلب من هذا ويا كلب بن كلب واخسأ كلبا
وقالوا في المثل احتاج الى الصوف من جز كلبه واجع كلبك يتبعك واحب شيء
الى الكلب خانقه وسمن كلبك ياكلك واضرع من كلبة حومل وكالكلب يربض في
الاري فلا هو ياكل ولا يدع الدابة تعتلف وفي امثالهم في الشوم قولهم على اهلها
دلت براقش وبراقش كلبة نبحت على جيش مروا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع
الحي فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم وقال صاحب الديك روى
اسمعيل المكي عن ابي رجاء العطاردي قال سمعت ابن عباس يقول السود من الكلاب
الجن والبقع منها الحن ويقال ان الحن ضعفة الجن كما ان الجنية اذا كفر وظلم وتعدى
وافسد قيل شيطان فان قوي على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق السمع قيل مارد
فان زاد فهو عفريت فان زاد فهو عبقري كما ان الرجل اذا قاتل في الحرب واقدم ولم يحجم
فهو الشجاع فان زاد فهو البطل فان زاد قالوا بهمة فان زاد قالوا اليس فهذا قول
ابي عبيدة وبعض الناس يزعم ان الجن والحن صنفان مختلفان وذهبوا الى قول
الاعرابي حين اتى بعض ابواب الملوك ليكتب في الزمنى فقال في ذلك

ان تكتبوا الزمنا فاني لزمن • من ظاهر الداء وداء مستكن •
ابيت اهوي في شياطين ترن • مختلف نجاوها جن وحن •

حدث ابو عتيبة عن ابي الزبير عن جابر قال امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فكنا نقتلها كلها حتى قال انها امة من الامم فاقتلوا البهيم
الاسود ذا النكتتين على عينيه فانه شيطان وعن ابي عتيبة عن ابي الزبير عن جابر
قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب حتى ان المراة لتقدم بكلبها من البادية
فنقتله ثم نهانا عن قتلها وقال عليكم بالاسود البهيم ذي الغرتين فانه شيطان وحدث
عبد الله وابو بكر ابنا نافع عن نافع عن ابن عمر ونافع عن ابي رافع قال امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان اقتل الكلاب فانتهيت الى ظاهر بني عامر واذا عجوز مسكينة
معها الكلب وليس يقربها انسان فقالت ايتي النبي فاخبره خبري ان هذا الكلب يونسني وليس

وبي احد فوجع اليه فاخبره فامر ان يقتل كلبها فقتله وقال في حديث اخر انه لما
فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المراة قالت الآن استرحت قالوا فقد صح الخبر
عن قتل جميع الكلاب ثم صح الخبر بنسخ بعض وبقتل الاسود البهيم منها مع الخبر بانها
من الجن والحن والجنا امتين مسختا وهما الحيات والكلاب ثم روى الاشعث عن الحسن
قال ما خطب عثمان خطبة الا امر بقتل الكلاب وذبح الحمام وعن الحسن قال سمعت عثمان
بن عفان يقول اقتلوا الكلاب واذبحوا الحمام وقال عطاء في كلب الصيد اذا كان صائدا
اربعون درهما وفي كلب الزرع شاة والحسن بن عماره عن يعلى بن عطاء عن
اسمعيل بن حسان عن عبد الله بن عمرو قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب
الصيد باربعين درهما وفي كلب الغنم بشاة وفي كلب الزرع بفرق من طعام وفي كلب
الدار بفرق من تراب حق على القاتل ان يوديه وحق على صاحب الدار ان يقبضه
قالوا والتراب لا يكون عقلا الا اذا كان في مقدار الفرق وفي قوله وحق على صاحب
الدار ان يقبضه دليل على النهي عن اتخاذه وان ذلك على التصغير لامر الكلب
وتحقيره على وجه الارغام لمالكه ولو كان عوضا او ثوابا او كان في طريق الاموال
المحروص عليها لما اكره احد على قبضه ولكان العفو افضل قال وسئل عن الكلب يكون في
الدار وفي الدار من هو له كاره ابن ابي عروبة عن قتاده عن ابي الحكم ان ابن عمر سئل
عن ذلك فقال المأثم على رب الدار الذي يملكها وعن ابن عمر قال من اتخذ كلبا ليس
بكلب زرع ولا ضرع ولا صيد نقص من اجره كل يوم قيراط فقال رجل وان اتخذه رجل
وهو كاره قال انما اثمه على صاحب الدار وصدقة ابن طيسلة المازني قال سالت الحسن
قلت ان دورنا في الجبان وهي معورة وليس عليها ابواب فما ترى ان نتخذ فيها كلابا قال
لا لا يحيى بن ابي انيسة عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا
الا كلب صيد او كلب ماشية نقص من اجره قيراطان وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم من اقتنى كلبا فانه ينقص من عمله كل يوم قيراط ويونس عن ابي
اسحق واسرايل بن يونس عن ابي اسحق قال حدثنا هنيدة بن خالد الخزاعي قال

الطوف

انطلقت مع نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نعود رجلا من الانصار فلما انتهوا
الى باب الدار ثار الكلب في وجوه القوم فقال بعضهم لبعض ما بقي هاولاء من
عمل فلان شيا كل كلب منها ينقص قيراطا في كل يوم هشام بن حسان عن الحسن عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتخذ كلبا ليس بكلب صيد ولا زرع ولا ضرع فانه
ينقص من اجره كل يوم قيراط والقيراط مثل جبل احد يونس عن ابي اسحق عن مجاهد قال اقبل
عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة وكانت امراة عم له تهاديه فلما كان ذات يوم
قالت له لو ارسلت الى الغنم فاستانست برعايها وكلابها فقد نزلت قاصية فقال
لولا كلابها لفعلت ان الملائكة لا تدخل دارا فيها كلب الثوري عن سماك بن حرب ان ابن عباس
قال على منبر البصرة ان الكلاب من الجن وان الجن من ضعفة الجن فاذا غشيكم منها شي
فالقوا اليها شيا او اطردوه فان لها انفس سوء وهشيم عن المغيرة عن ابرهيم قال لم
يكونوا ينهونا عن شي من اللعب ونحن غلمان الا الكلاب قال صاحب الكلب
وروى ابرهيم عن ابي يحيى الاسلمي عن محمد بن المنكدر عن سعد بن ابي عبد الرحمن قال تغاير
رجلان على عهد عمر بديكين فامر عمر بالديكة ان تقتل فاتاه رجل من الانصار فقال امرت
بقتل امة من الامم تسبح الله فامر بتركها وعن قتادة ان ابا موسى قال لا تتخذوا
الدجاج في الدور فتكونوا اهل قرية وقد سمعتم ما قال الله في اهل القرى افامن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون وهذا عندي من ابي موسى ليس على ما يظنه الناس
لان تاويله هذا ليس له وجه ولكنه كره للفرسان ورجال الحرب اتخاذ ما يتخذه الفلاح
واصحاب التعيش مع حاجته يومئذ الى تفرغهم لحروب العجم واخذهم في تاهب الفرسان
وفي دربة رجال الحرب فان كان ذهب الى الذي يظهر في اللفظ فهذا تاويل مرغوب عنه
وقال صاحب الكلب لصاحب الديك فقد امر عمر بقتل الديكة ولم يستثن منها شيا
دون شي ونهى ابو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيا دون شي والديكة
تدخل في هذا الاسم واسم الدجاج يجمعها جميعا ورويتم في قتل الحمام مثل رواياتكم في قتل
الكلاب ولم ار كم رويتم ان الحمام مسخ ولا ان بعضه من الجن وبعضه من الحن ولا

انا مسخين مسخا وكان احدهما الحمام وزعمتم ان عمر انما امر بقتل الديكة حين كره الهراش
بينهما والقمار بهما فلعل كلاب المدينة فى تلك الايام كثر فيها العقور واكثر اهلها فى الهراش
بها والقمار فيها وقد علمتم ان ولاة المدينة ربما ذمروا على صاحب الحمام اذا خيف من قبله
القمار وطلوا به السطوح وذكروا عنه الرمى بالبندق وخديعة اولادهم بالزواجل فما بالكم
لم تخرجوا للكلاب من التاويل والعذر مثل الذى خرجتم للحمام والديكة ورويتم فى الجرى
والضباب انهما كانتا امتين مسختا وروى بعضكم فى الارنب انها كانت حيا طة
تسرق السلوك وانها مسخت وترك عليها بعض خيوطها السلوك علامة لها ودليلا على
جنس سرقتها ورويتم فى الفارة انها كانت طحانة وفى سهيل انه كان عشارا باليمن
وفى الحية انها كانت فى صورة جمل وان الله عاقبها حتى لاطها بالارض وقسم عقابها على
عشرة اقسام حين احتملت دخول ابليس فى جوفها حتى وسوس الى ادم من فيها وقلتم فى
الوزغة وفى الحداة ما قلتم وزعمتم ان الابل خلقت من اعنان الشياطين وتاولتم فى ذلك
اقبح التاويل وزعمتم ان الكلاب امة من الجن مسخت والذئب احق ان يكون شيطانا
من الكلب لانه وحشى وصاحب قفار وبه يضرب المثل فى التعدى والكلب الوف وصاحب
ديار وبه يضرب المثل والذئب خئون غدار والكلب وفى ناصح وقد اقام الناس فى
الديار الكلاب مقام السنانير للفار والذئب مضرة كله والكلب منافعه فاضلة
على مضاره بل هى غالبة عليها وغامرة لها وهذه صفة جميع هذه الاشياء النافعة
والناس لم يطبقوا على اتخاذها عبثا ولا جهلا والقضاة والفقهاء والعباد والولاة
والنساك الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمحتسبة واصحاب الشكاو والتسليم
جميعا لم يطبقوا على ترك النكير لها وعلى ما يشاهدون منها فى دورهم الا بعضهم ولا
يمتنع عليهم الا وقد علموا انه قد كان لقتل الكلاب باعيانها فى ذلك الدهر معنى والا
فان الناس فى جميع اقطار الارض لا يجمعون على مسالمة اصحاب المعاصى الذين قد
خلعوا عذرهم وابرزوا صفحاتهم بل ما نرى خصما يطعن على شاهد عند قاض بان فى
داره كلبا ولا نرى حكما يرد بذلك شهادة بل لو كان اتخاذ الكلاب ماموراً به لما كان الا كذلك

ولو

ولو انكم حلتم العقاب ولم نؤمر بالقصد الى قتله وانما الغاية فى دفع باسه عنا فان
اتى ذلك المقدار عليه كان كسارق مات من قطع يده وقاذف مات من جلد ظهره وقد امرنا
بالقصد الى قتل الحيات والعقارب وان لم تعرض لنا فى ذلك الوقت لان جنسها الجنس
المتلف متى هم بذلك وليس لنا ان نضرب الباغى بالسيف الا وهو مقبل غير مدبر ولنا ان
نقتل الحية مقبلة ومدبرة كما نقتل الكافر مقبلا ومدبرا الا ان قتل الكافر بجميع الامتحان والعقوبة
وليس فى قتل الحية الا الامتحان وقد كان يجوز ان نمتحن بحبسها او الاحتيال لمنعها
دون قتلها اذا ولى الباغى من عزان يكون يريد الرجوع الى فيئة فحكمه الاسر والحبس
الى ان يونس منه النزوع وسبيل الافاعى والسباع وذوات السموم من الهمج والحشرات
القتل مقبلة ومدبرة وقد ابيح لنا قتل صرف من الحيوان عند ما يبلغ من جناياتها علينا الخدش
فضلا عن الجرح والقتل كالبعوض والنمل والبراغيث والقمل والبعير قتله فاد فان صار على
الناس كان قتله صلاحا والان قتله حرام فان خيف كان قتله حلالا وحديث عن مسخ
الضب والجرى وعن مسخ الكلب والحداة وان الحمام شيطان من جنس المزاح الذى كنا كتبنا
به الى بعض اخواننا ممن يدعى علم كل شى وجعلنا هذه خرافات وهذه الفطن الصغار من
باب المسائل فقلنا له ما الشفنلق والشيصبان وشنكوبر ودنكا ذاب ومن
قاتل امراة ابن مقبل ومن خانق العربى ومن هاتف سعد وحجزنا عن ابى اقيش
وعن بنى لبنى ومن زوجها وعن بنى غزوان ومن امرانه وعن سملقة وزوبعة والميدعان
وعن النقار ذا الرقبة وعن آصف ومن منهم اشار باصف سليم وعن طيفش اسم
كلب اصحاب الكهف وكيف صارت الكلاب لا تنبح من سماه واين بلغ كتاب شرطهم وكيف
حدثتم عن ابن عباس فى الفار والقرد والخنزير والفيل والارنب والعنكبوت والجرى
انهن كلهن مسخ وكيف صفة يده بالمسخ وهل يحل لنا ان نصدق بهذا الحديث عن ابن عباس
وكيف صارت الظباء ماشية الجن وكيف صارت الغيلان تغير كل شى الا حوافرها ولم ماتت
مزحزبة وعاشت من ضربتين ولم صارت الارانب والكلاب والنعام مراكب الغيلان
ولم صارت الرواقيد مطايا السواحر وباى شى تدح اهل السعلاة عمرو بن يربوع

وما فرق ما بينه وبين عبد الله بن هلال وما فعلت الفتاة التي سمت بجيرا على يدي
حرمي وابي منصور ولم عقب من ذلك المذهب ولم مضى على وجهه شقشق وما الفرق
بين الغيلان والسعالي وبين شيطان الحمرة وشيطان الحماطة ولم علق السمك المليح
باذنابه والطير باذانه وما بال الفراخ تحمل باجنحتها والعرازيج بارجلها وما
بال كل شيء اصل لسانه داخل وطرفه مما يلي الهوى الا لسان الفيل ولم قالت الهند
لولا ان لسانه مقلوب لتكلم ولم صار كل ما مضغ واكل يحرك فكه الاسفل والتمساح
يحرك فكه الاعلى ولم صار لاجفان الانسان الاشفار وليس ذلك للدواب الا في الاجفان
العالية وما بال عين الجرادة وعين الافعى لا تدوران وما بيضة العقر وما بيضة الديك
ولم امتنع بيض الانوق وهل يكون الابلق العقوق وما بال لسان سمك البحر عديما
وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ومن النساء على وجهها ولم صار القتيل اذا
قتل سقط على وجهه ثم يقلبه ذكره واين تذهب شقشقة البعير وغرمول الحمار وكبد الكوسج
بالنهار ودم الميت وخبرني عن الضفادع لم صارت تنق بالليل فاذا ابصرت النار
امسكت   وقالوا قد عارضناكم بما يجري مجرى الفساد ونخافه لنردكم الى
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج الظاهر التاويل فان اعجبتك هذه المسائل واستطرفت
هذا المذهب فاقرا رسالتي الى احمد بن عبد الوهاب الكاتب   والكلاب اصناف
لا يحصيها الا من اطال الكلام وجملة ذلك ان ما كان منها للصيد فهي الضراء واحدها ضرو
وهي الجوارح والكواسب ونحن لا نعرفها الا في السلوقية وفي احرار الكلاب وعتاقها
والخلاسية هجنها ومقاريفها وكلاب الرعاء من زينيها وكرديتها حتى كوادنها ومحامرها
وقد يقيد الكلاب غير السلوقية ولكنها تقصر عن السلوقية بعيدا وسلوق من ارض اليمن
لها حديد جيد الطبع كريم العنصر والجوهر وقد قال الشاعر   تقد السلوقي المضاعف
نسجه   وتوقد بالصفاح نار الحباحب   قال الاصمعي سمعت بعض الملوك وهو يركض
خلف كلب وقد دنى خطمه من عجب ذنب الظبي وهو يقول ايه فدتك نفسي وانشد لبعض
الرجاز   مغديات ومحبيات   قال صاحب الديك فلما صار الكلب عندهم يجمع خصال

اللوم

اللوم والنذالة والحرص والشره والبذاء والشرع واشباه ذلك صاروا يشنعون
لمن هجوه بهذه الخصال وقال بشار   ٥   واستغن بالوجبات عن ذهب
لم يبق قبلك لامرئ ذهب   يرد الحريص على متالفه   والليث يبعث حينه كلبه
قال صاحب الكلب   لما اشتقوا من اسمه للاشياء المحمودة اكثر قال عامر
بن الطفيل   ومنجح يسعى بشكته   محمرة عيناه كالكلب
ومن ولد ربيعة بن نزار الكلب بن ربيعة وكلاب بن ربيعة وكالب بن ربيعة وكلبة
بنو ربيعة بن نزار وفيهم من السباع اسد وضبيعة وذئب وذويب ومنهم خمسة
عشر رجلا ثمانية من جميع السباع ومن الثمانية اربعة مشتقة من اسم الكلب ومن هذا الباب
كليب بن يربوع وكلاب بن ربيعة وكلب بن وبرة ومنه بنو الكلبة قال الشاعر
سيكفيك من ابني نزار لراغب   بنو الكلبة الشم الطوال الاشاجع   والكلبة لقب مية بنت علاج
بن شحمة العنبري وبنوها بنو الكلبة الذين سميت بهم تزوجها خزيمة بن النعمان من بني
ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنمي اسمهم وفيها يقول شبيل بن عزرة الضبعي صاحب الغريب وكان
شيعيا من الغالية فصار خارجيا من الصفرية   ٥   بنو الكلبة هارقة وبنو هم
خزيمة عبد حامل الاصلاد كس   وفي مية الكلبة يقول ابوها وهو علاج بن شحمة   ٥
انك قد بانت بمية عزبة   فقد كان مني لا يمل مزارها   دعتها رجال من ضبيعة كلبة
وما كان يشكى في الحول جوارها   ومما اشتق له من اسم الكلب من القرى والبلدان والمناس
وغير ذلك قولهم في الوقعة التي كانت بارم الكلبة الكلبة ومن ذلك قولهم حين نزل الناس
السراة صرنا الى نجد الكلبة وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس الى ازد
شنوءة بالسراة وان بني اخته قتلوا كلبة لجار لهم وكانوا اعد منه فغضب ومضى الى
عمان فسمي ذلك النجد الذي هبط منه نجد الكلبة ويقولون كان ذلك عند طلوع كوكب
الكلب ومن ذلك قولهم عاد بن انف الكلب ومن ذلك ابو عمر الكلب الجرمي وكان رجلا
من العلية وكان عالما وصافا فرضيا وابو عمرو الكلب النحوي وعلويه كلب المطبخ وكان
اشبه الناس بالنبيذ في قدر اشوابيه وبين محمد بن علي والكلب كلب الماء وكلب الرجلي

والعنبرة التي يقال لها الكلب وكذلك الكلبة والكلبتان والكلوب وقال راشد بن شهاب
في ذلك المعنى • امكن كلاب القنا من نحورها • واحصب بيدو من اسنانها بدم
فسوف ترى الاقوام دوني ودونكم • اذا الكلبتان قيني وتراضنا نزم • وقال الراجز ۵
ما زال مذكان غلاما يستتر • له على العير اكاف وثفر • والكلبتان والعلاث والوتر
وقال اشهب بن رميلة وكان اول من رمى بني مجاشع انهم قيون • يا عجبا هل يركب القين الفرس
وعرق القين على الخيل نجس • وانما اداته اذا جلس • الكلبتان والعلاث والقبس
وكان اسم المزنوق فرس عامر بن الطفيل الكلب وقد زعمت العلماء ان حرب ايام حرابت
انما كانت بسبب كلب قال صاحب الديك قد قيل للخوارج كلاب النار وللنوائح
كلاب النار وقد قال جندل بن الراعي لابيه في وقوفه على جرير مالك تطيل الوقوف على
كلب بني كليب وقال زفر بن الحارث ۵ يا كلب قد كلب الزمان عليكم •
ولعابكم منا عذاب مرسل • ان السماوة لا سماوة بالحفا • بمنابت الزيتون وابني بحدل
وبارض عك في السواحل انها • ارض تذوب بها اللقاح وتهزل • وقال حصين بن القعقاع برثي
عتيبة بن الحارث ۵ بكر النعي بخير خندف كلها • بعتيبة بن الحارث بن شهاب
قتلوا ذوابا بعد مقتل سبعة • فشفى الغليل وربة المرتاب • يوم الحليس بذي الفقار كانه
كلب بضرب جماجم ورقاب • وقال الاخر • لله در بني الحداء من نفر
وكل جار على جيرانه كلب • اذا غدوا وعصي الطلح ارحلهم • كما تقضب وسط البيعة الصلب
واذا كان العود سريع العلوق في كل زمان وكل ارض او في عامة ذلك قالوا ما هو الا كلب
وقالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم في وبر بن جابر حين خرج من عنده واستاذنه الى اهله
نعم ان لم تدركه ام كلبة يعني الحمى وهما ذكروا به العضو من الكلب والكلبة ولخلق منهما
والصفة الواحدة من صفاتهما والفعل الواحد من افعالهما قال رؤبة ۵
لاقيت مطلا كنعاس الكلب • يقول مطلا مترمطا دايما وقال الشاعر في ذلك ۵
يكون نهار ليل القوم نجم • كعين الكلب في هبي قباع • قال يريد ارض ذات غبرة
من الجدب لا يبصر القوم فيها النجم الذي يهتدون به الا وهو كانه عين الكلب لان الكلب ابدا مغمض

عز مطبق الجفون وما مفتوحها والهبتي الظلمة واحدها هاب ويجمع هبي مثل غاز وغزى
والقباع التي قد قبعت في القتام واحدها قابع كما يقبع القنفذ وما اشبهه في جحره
وانشد لابن مقبل ۵ ولا الطارق الجارات بالليل قابعا • قبوع القرنبى اسلمته مجاجره
والقبوع الاجتماع والتقبض والقرنبى دويبة اعظم من الخنفسا وقال الاخر في صفة
مالك بن العجلان • ما ضر تغلب وايل اهجوتها • ام بلت حيث تناطح البحران •
ان الاراقم لن ينال قديمها • كلب عوى متهتم الاسنان • وقال الشاعر منظور بن زبان •
لبئس ما خلف الاباء بعدهم في الامهات عجان الكلب منظور • ومن هذا الضرب قول الاعرابي
لقد شان صغرى والياها وزينبا • لصغرى فتى من قومها لا يزينها •
كلاب لعاب الكلب ان ساق هجمة • يعذب فيها نفسه ويهينها • وقال عمرو بن
معدي كرب • لحى الله جرما كلما در شارق • وجوه كلاب هارشت فازبارت • وقال سفيان
بن حرب • ولو شئت نجتني كميت طمرة • ولم احمل النعماء لابن شعوب •
وما زال مهري مزجر الكلب منهم • لدن غدوة حتى دنت لغروب • وقال عبد الرحمن
بن زياد • دعته بمسروق الحديث وضالع • من الطرف حتى جاء بصيصة الكلب
وقال شريح بن اوس • وعيرتنا تمر العراق وبره • وزادك ابر الكلب سنبطه الجمر
وقال الاخر وهو يهجو قوما • وجاء بجرشاوى شعير عليهما • كراديس من اوصال اعقد سافد
وقال الحرث دعي الوليد • ذهب الذين اذا راوني مقبلا • هشوا وقالوا مرحبا بالمقبل •
وبقيت في خلف كان حديثهم • ولغ الكلاب تهارشت في منهل • وقال سبرة بن عمرو الفقعسي
حين ارتشى ضمرة بن ضمرة النهشلي ونفر عليه عباد بن انف الكلب الصيدا لخغار بسبر
يا حمر كيف حكمت امك هابل • والحكم مسئول به المتعهد • اصفقت عهدا ام رعيت امانة
ام هل سمعت بمثلها لا ينشد • شنعاء فاقرة تجلل نهشلا • دنسا تغور به الرفاق وتنجد
ان الرفاق اما رحمك جنبها • فلك اللقاء وراكب متجرد • لا شي يعدلها ولكن دونها
خرط القتاد نهار شوكته اليد • فضح العشيرة واستمر كانه • كلب يبصبص للعفاد ويطرد
جرعان يلحس اسكتي زينب • غلم يسور على البراثن اعقد • وقال العزرد بن ضرار ۵

وان كنا ان اللحم من بكر انكم • تهر عليها اكم وتكالب • وليت الذى التى فناك رحله
لتقربه بات عليه الثعالب • وهذان البيتان من باب الاشتقاق لا من باب الصفات وذكر
الاعضاء وقال • يا حمر يا عبد بني كلاب • يا ابن كلب موثق بباب •
اكان هذا اول الثواب • يا ورلا رقرق في سراب • لا يعلقنكم ظفرى ونابى •
وقال الاخر • كان بني طهية رهط سلمى • حجارة خارئ يرمى الكلاب •
قال صاحب الكلب وما اشتق من اسم الكلب في مواضع النباهة كليب بن ربيعة
وهو كليب وايل ويقال انه قيل في رجل من ربيعة ما لم يقل في احد من العرب حتى ضرب بها المثل
وهو قولهم اعز من حمى كليب وايل والاخر لا حر بوادى عوف قالوا وكانت ربيعة اذا انتجعت
معه لم توقد نارا ولم تحوض حوضا وكان يحمى الكلا ولا يتكلم عنده الا خفضا ويجير الصيد ويقول
صيد كذا وكذا في جوارى فلا يهاج وكان له جرو كلب قد كنعه فربما قذف به في الروضة
تعجبه فيحميها الى منتهى عوائه ويلقيه بحريم الحوض فلا يرده بعير حتى تصدر ابله وفي ذلك
يقول معبد بن شعبة التيمي • اظن ضرارا انني سأطيعه • واني سأعطيه الذي كنت امنع
اذا ازورقت عيناه واحمر وجهه • وقد كاد غيظا وجهه يتميع • تقدم في الظلم المبين عامدا
ذراعا اذا ما قدرت لك اصبع • كفعل كليب كنت انبئت انه • يخطط الكلاء المياه ويمنع
يجير على ابناء بكر بن وايل • ارانب ضاح والظباء فترتع • وقال دريد بن الصمة ٥
لعمرك ما كليب حين دلا • بحبل كليبه بمنى بعيج • باعظم من بني سفيان بغيا •
وكل عدوهم منه مريج • وقال العباس بن مرداس • كما كان يبغيها كليب بظلمه •
من العز حتى طاح وهو قتيلها • على وايل اذ يترك الكلب ما نحا • واذ يمنع الاكلاء منها حلولها •
وقال عباس ايضا الكليب بن غنم الظوى ٥ الكليب انك كل يوم ظالم •
والظلم انكد وجهه ملعون • تبغي بقومك ما اراد بوايل • يوم الغدير سميك المطعون •
واخال انك سوف تلقى مثلها • في صفحتيك سنانها المسنون • وقال النابغة الجعدي •
كليب لعمري كان اكثر ناصرا • وايسر ذنبا منك ضرج بالدم • رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة
كحاشية البرد اليماني المسهم • وقال قطران العبسي ٥ المرتجاس بن مرة لم يرد •

حمى

حمى وايل حتى اعتزاه جهولها • اجر كليبا اذ رمى الناب طعنة • حدث وايلا حتى استخفت عقولها
باهون مما قلت اذ انت سادر • وللدهر والايام وال يديلها • وقال رجل من بني هلال
بن عامر بن صعصعة • نحن ابسنا تغلب ابنة وايل • بقتل كليب اذ طغى وتخيلا
اباناه بالناب التى شق ضرعها • فاصبح موطوء الحمى متذللا

نهاية الجزء الاول

جزء ثاني اوله

حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان وجميع الغربان على حكم غراب نوح وجميع الحمام على حكم
حمامة السفينة وجميع الذباب على حكم ذيب اهبان بن اوس وجميع الحمير على حكم حمار عزير لكان ذلك
حكما مردودا وقد تعرض لخصائص الامور اسباب في دهر الانبيا ونزول الوحي لا يعرض مثلها في
غير زمانهم قد كان جبريل عليه السلام يمشي في الارض في صورة دحية الكلبي وكان ابليس يتراءى في
السكك في صورة سراقة المدلجي وظهر في صورة الشيخ النجدي ومثل هذا كثير فان زعمتم
ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى رجل يتبع حماما طيارا فقال شيطان يتبع شيطانا فخبرونا عن
من يتبع الحمام من بين جميع سكان الافاق ونازلة البلدان من عربيهن والعجم من بني هاشم
الى من دونهم اتزعمون انهم شياطين على الحقيقة او انهم من نسل الشياطين ام تزعمون
انهم كانوا انسا فمسخوا بعد جنا ام يكون قوله لذلك الرجل شيطان على مثل قوله شياطين الانس
والجن وعلى قول عمر لانزعن شيطانه من نعرته وعلى قول منظور بن رواحة ٥
فلما اتاني ما تقول ترقصت • شياطين راسي وانتشين من الخمر • وقد قال مرة ابو الوجيه
العكلي وكان ذلك حين ركبني شيطاني قيل له اى الشياطين تعني قال الغضب والعرب تسمى
كل حية شيطانا وانشد الاصمعي • تلاعب مثنى حضرمي كانه • تعمج شيطان بذى خروع قفر •
وقالت العرب ما هو الا شيطان الحماطة ويقولون ما هو الا شيطان القبح وما هو الا شيطان يريدون
الفطنة وشدة العارضة وروى عن بعض الاعراب في وقعة كانت والله ما قتلنا الا الشياطين

بهما لان الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطانا وكان به برص وفي بني سعد بنو شيطان
قال طفيل الغنوي • وشيطان اذ يدعوهم ويثوب • وقال ابن ميادة •
فلما اتاني ما تقول محارب • تغنت شياطيني وجن جنونها • وقال الراجز •
اني وان كنت حديث السن • وكان في العين نبو عني • فان شيطاني كبير الجن
وقال ابو النجم • اني وكل شاعر من البشر • شيطانه انثى وشيطاني ذكر
وهذا كله على وجه المثل وعلى قول منظور بن رواحة • اتاني واهلي بالدماخ بغمرة
مسب عويف اللؤم حي بني بدر • فلما اتاني ما يقول ترقصت • شياطين راسي وانتشين من الخمر
وقد رويتم عن عبد الله بن فائد باسناد له يرفعه قال خرافة رجل من بني عذرة استهوته
الشياطين فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بحديث فقالت امراة من نسائه هذا من حديث
خرافة قال لا وخرافة حق ورويتم ان شريك بن خباشة دخل الجنة وخرج منها ومعه
ورقة من ورقها وان عمر سأل الرجل المفقود الذي استهوته الجن فقال ما كان طعامكم
قال البعر والبقول والرمة وسأل عن شرابهم فقال الجدف • وقال الاعشى •
فاني وما كلفتموني وربكم • لاعلم من امسى اعق واحربا • لكالثور والجني يضرب ظهره
وما ذنبه ان عافت الماء مشربا • ورويتم ان الجن خنقت حرب بن امية وخنقت مرداس
بن ابي عامر وخنقت الغريض المغني وانها قتلت سعد بن عبادة واستهوت عمارة بن الوليد
فانتم املياء بخرافات اقوياء على رد الصحيح وتصحيح السقيم ورد تاويل التنزيل
والحديث المشهور الى اهوائكم وقد عارضناكم وقابلناكم وقارضناكم وقالوا في الحديث
انه من اقتنى كلبا ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا قنص فقد اثم فهاتوا شيئا من جميع
الحيوانات يصلح للزرع والضرع والقنص وبعد فهل اتخذوا كلب الزرع الا ليحرس الماشية
واولادها من السباع وهل عند الكلب عند طروق الاسد والنمر والذئاب وجميع ما يغتال
الكلاب من رؤساء السباع الا صياحه ونباحه وانذاره ودلالته وان يشغلها بعض الشغل
ويهايج بها بعض الهجاهجة الى ان يلحق بها من يحميها ويتوافى اليها من يذود عنها
اوليس في هذا القياس انا متى وجدناها يكثر فيه اللصوص ويفشوا فيه السراق وتظهر فيه

النقوب

النقوب ويشيع فيه التسلق من اذا افضى الى منزل القوم لم يرض الا بالحريم ليس
دونها شيء او يأتي على الانفس وهو لا يصل الى ما يريد حتى يمر بالنساء مكشفات
ومن عسى اذا اخذ امراة اخذ بيدان لا يرضى بان يتوعد بذبح الاولاد ان لم يتق
بالمال حتى يذبح ومن عسى ان تمكن شيئا او امن قليلا ان يركب الحرم بالسوءة العظمى
وبالتي لا شوى لها فهذه الحال احق بالحراسة من تلك الاحوال وبعد فلم صار نساء الحرميين
يتزاورن ليلا ونساء المصريين يتزاورن نهارا ونساء الحرميين لا يرين نهارا ونساء
المصريين لا يرين ليلا الا للمكاريات ولمكان كثرة من يستعفي ومن يتحرف للنقب والتسلق
فاذا كان الامر كذلك فاي الامرين احق بالتحصين والحياطة وايهما اشبه بالتعزير والاضاعة
اتخاذ الكلاب الذي لا تنام عند نوم من دأب نهاره او ترك اتخاذها وبعقطة السهر على
قدر نوم المسروقين وعلى انا لو خلينا بين حرس الاسواق وما يشتمل عليه من حراسة الناس
وبين اتخاذ الكلاب لاستغنوا عن ضمان الحراسة ولامتنع كل محروس من اعطائه تلك الاجرة
ولو جاء اللصوص ذلك من اعظم الغنم واجود الفرص او ما تعلمون ان هذا الحرم بهذه
الجهات وهذه العقائل من الاموال احق بالمنع والحراسة وبالدفع عنها بكل حيلة من حفظ
الغنم وحريم الراعي وحرمة الاجير وبعد فان الذئاب لا تجتمع على تطبيع واحد والذي يخاف
من الذئب السلة والخطفة والاستلاب والاختلاس والاموال التي في حوانيت التجار وفي
منازل اهل اليسار ياتيها من العدد والعدة ومن نخب اصحاب النجدة من يحتملها بحذافيرها
مع ثقل وزنها وعظم حجمها ثم يجالدون على ذلك بالسيوف الهندية والادراع الطوال
ومنهم من يبين جميع الخليقة لولا انهم قد احسوا من انفسهم بجراءة وثبات العزيمة ثم ليس
من عزمهم لكانوا كغيرهم ولولا ان قلوبهم اشد من قلوب الاسد لما خرجوا على ان جميع
الخلق يطالبونهم وعلى ان السلطان لم يول الا لمكانهم والاندار بهم وعلى انهم ان ظفر بهم
قاتلوا قتال من لا ينجيه الا القتال وعلى انهم ان اخذوا ماتوا كراما ولعل المدينة كانت
في ذلك الدهر ما فوقنا عليها من اهل الفساد وكان اكثر كلابها عقورا واكثر فتيانها من
بين مهارش او مقامر والكلب العقور والكلب الكلب اشد معرة من الذئب المأمور

بقتله وقد يعرض للكلاب الكلب والجنون لامور منها ان تأكل لحوم الناس ومنها
كالجنون الذي يعرض لساير الحيوان وجهال الناس يقتلون الوزغ على ان اباها
وامهاتها كانت تنفخ على نار ابرهيم وتنقل اليها الحطب فاحسب ان اباها وامهاتها قد
كن يعرفن فضل ما بين النبي والمتنبي وانهن اعتقدن عداوة ابرهيم عن تعصب في اصل
النظر او عن معاندة بعد الاستبانة حتى فعلن ذلك كيف جاز لنا ان نزر وازرة وزر
اخرى الان تدعوا ان هذه التي نقتلها هي تلك الجاحدة للنبوة والكافرة بالربوبية وانها
لا تناكح ولا تتوالد وقد كان يستقيم في بدء هذا الامر ان نقتل اكثر هذه الاجناس اما من طريق
المحنة والتعبد واما اذا كان الله قضى على جماعتها الموت ان يجري ذلك على ايدي الناس كما
اجرى موت جميع الناس على يدي ملك واحد وهو ملك الموت وبعد فلعل النبي صلى الله
عليه وسلم قال هذا القول ان كان قاله على الحكاية لا قوام وبل قوم ولعل ذلك كان على معنى
كان يومئذ معلوما فترك الناس العلة ورووا الخبر سالما من العلل مجردا غير مضمن
ولعل من سمع هذا الحديث شهد اخر الكلام ولم يشهد اوله ولعله عليه السلام قصد بهذا
الكلام الى ناس من اصحابه قد كان دار بينهم وبينه فيه شي متقدم كل ذلك ممكن سائغ
غير مستنكر ولا مدفوع وقد رويتم في الفواسق ما رويتم في الحية والحداة والعقرب
والفارة والغراب ورويتم في الكلب العقور وكيف يقتل في الحل والحرم فان كنتم فقهاء
فقد علمتم ان تسمية الغراب بالفسق والفارة بالفويسقة ان ذلك ليس من شكل تسمية
القاذف وما من شكل تسمية ابليس وقد قالوا ما فجرها الا فاجر ولم يجعلوا الفاجر اسما
له لا يفارقه وقد يقال للفاسق من الرجال خبيث وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اكل
من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلانا وهو عز قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين وقد قال
بعض الرجاز وذكر ذيبا • اما اتاك عني الحديث • اذ انا بالغائط استغيث •
والذيب وسط غنمي يعيث • وصحت بالغائط يا خبيث • وهذا الباب كثير وليس هذا
موضعه وقد ذكرناه في كتاب الاسم والحكم وقد يشبه الاسم الاسم في صورة تقطيع الصوت
وفي الخط في القرطاس وان اختلفت اماكنه ودلايله فاذا كان كذلك فانما يعرف فضله

بالمتكلمين

بالمتكلمين به وبالحالات وبالمقابلات وبالذين عنوا بالكلام وبغير جملة وتفسيرها يطول وقد
قالوا امرنا بقتل الحية والعقرب والذيب والاسد على معنى ينتظم معنيين احدهما الامتحان
والتعبد بفكر القلب وعمل الجارحة لا على جهة الانتقام والعقوبة وامرنا بضرب الباغي
بالسيف اذا كانت العصا لا تغني فيه على جهة الدفع

وقال رجل من سدوس

وانت كليبي لكلب وكلبة • لها عند اطناب البيوت هرير • وقال ابن مقبل العجلاني
بكت ام بشر ان تبدد رهطها • وان اصبحوا منهم شريد وهالك •
وان كلي حييك منهم بقية • لوات المنايا حالها متماسك •
كلاب وكعب لا يبيت اخوهم • ذليلا ولا تبقي عليه المسالك • وقال رجل
من بني كلاب من الخوارج لمعوية بن ابي سفين   قد سرت سير كليب في عشيرته
لو كان فيهم غلام مثل جساس   الطاعن الطعنة النجلاء عاندها كطرة البرد اعيى فتقها الآسي
قال ابو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق كان اول عمل وليه الحجاج تبالة فسار اليها فلما
قرب منها قال للدليل اين هي وعلى اي سمت هي قال تسترك عنها هذه الاكمة قال لا اراني اميرا
الا على موضع يسترني منه اكمة قال اهون بها على ولاية وكر راجعا فقيل في المثل اهون
من تبالة على الحجاج والعامة تقول لهو اهون على من الاعاب على عركر قال ولما حضرت الحجاج
الوفاة وقد ولي قبل ذلك ما ولي وافتتح ما افتتح وقتل من قتل قال للمنجم هل ترى ملكا يموت
قال نعم ولست به ارى ملكا يموت واسمه كليب وانت اسمك الحجاج قال فانا والله كليب امي
سمتني به وانا صبي فمات واستخلف على الخراج يزيد بن ابي مسلم وعلى الحرب يزيد بن ابي كبشة
قال والعرب انما كانت تسمي بكلب وحمار وحجر وجعل وحنظلة وقرد على التفاول بذلك وكان
الرجل اذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفال فان سمع انسانا يقول حجرا او راى
حجرا سمى ابنه به وتفاءل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر فانه يحطم ما لقي وكذلك ان سمع
انسانا يقول ذيب او راى ذيبا تاول فيه الفطنة والخب والمكر والكسب وان كان حمارا تاول
فيه طول العمر والوقاحة والقوة والجلد وان كان كلبا تاول فيه طول الحراسة واليقظة

وبعد العيش والكسب وغير ذلك ولذلك صور عبيد الله بن زياد في دهليزه كلبا وكبشا
واسدا وقال كلب نابح وكبش ناطح واسد كالح فتطير الى ذلك فطارت عليه وقال الآخر
لو كان الرجل منهم انما كان يسمى بحجر وجبل وكلب وحمار وثور وخنزير وجعل على هذا
المعنى فهلا سمى ببرذون وبغل وعقاب واشباه ذلك وهذه الاسماء من لغاتهم قال الاول
انما لم يكن ذلك لانه كان لا يكاد يرى بغلا وبرذونا ولعله لا يكون رآهما قط وان كانت الاسماء
عندهم عتيدة لامور لعلهم يحتاجون اليها يوما ما قالوا فقد كان يسمى بفرس وبعير كما كان
يسمى بحمار وثور وقد كان يستقيم ان يشتق منها اشتقاقات محموده بل كيف صار
ذلك كذلك ونحن نجده يسمى بنجم ولا يسمى بكوكب الا ان بعضهم سمى بذلك عنزاله وفيه
يقول ، كوكب ان مت فهي حنيفتي ، لامت الا لهوي يا كوكب ، ووجدناهم يسمون بجبل
وسند وهود ولا يسمون باحد ولا بثبير واجاء وسلمى ورضوى وصندي وحنم
ولم نلقاء عيونهم متى اطلعوا ارؤسهم من خيامهم ويسمون ببرج ولا يسمون بقلل
ويسمون بتمر وشهد على جهة اللقب او على جهة المديح ولم يسموا بارض وسماء وهواء
وماء الا على ما وصفنا وعلى الاصول في الزجر ابلغ كما ان جبلا ابلغ من حجر وطود ابلغ
من جبل وتركوا اسم جبالهم المعروفة وقد سموا باسد وليث واسامة وضرغامة
وتركوا ان يسموا بسبع وسبع هو الاسم الجامع لكل ذي ناب ومخلب قال الاول قد سموا
ايضا باسماء الجبال فتسموا ابابان وسلمى قال آخرون انما هذه اسماء ناس سموا بها
هذه الجبال وقد كانت لها اسماء تركت لثقلها او لعلة من العلل والا فكيف تسموا
بسلمى وتركوا اجاء ورضوى وقال بعضهم قد كانوا ربما فعلوا ذلك على ان يتفق لواحد
ولود او لعظم جليل ان يسمع او يرى حمارا فيسمى ابنه بذلك وكذلك الكلب والذئب
ولم يتفق في ذلك الوقت ان يسمع بذكر فرس او حجر او بهواء او ماء فاذا صار حمار وثور
وكلب اسم رجل معظم تتابعت عليه العرب تطيرا به ثم يكثر ذلك في ولده خاصة بعده
وعلى ذلك سمت الرعية بنيها وبناتها باسماء رجال الملوك ونسائهم وعلى ذلك صار
كل علي يكنى بابي حسن وكل عمر يكنى بابي حفص واشباه ذلك والاسماء ضروب منها شيء

اصلي كالسماء والارض والهواء والماء والنار واسماء اخر مشتقات منها على جهة
الفال وعلى شكل اسم الاب كالرجل يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا ويسمي عمير ابنه عمران
ويسمي عمران ابنه معمرا وربما كانت الاسماء باسماء الله عز وجل مثل ما سمى الله عز وجل
ابا ابرهيم آزر وسمى ابليس بفاسق وربما كانت الاسماء ماخوذة من امور تحدث في
الاسماء مثل يوم العروبة سميت في الاسلام يوم الجمعة واشتق ذلك له من صلوة الجمعة

ونقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره ثم نعود الى موضعنا الاول ان شاء الله تعالى

ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية امورا كثيرة فمن ذلك تسميتهم للخراج اتاوة وكقولهم
الارباب وتسميتهم للرشوة ولما ياخذه السلطان الحلوان والمكس وقال خارجي ٥
افي كل اسواق العراق اتاوة ، وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ، وكما قال العبدي في الجارود
الا بن المعلى خلتنا ام حسبتنا ، صرارى نعطي الماكسين مكوسا ، وكما تركوا انعم صباحا
وانعم ظلاما وصاروا يقولون كيف اصبحتم وكيف امسيتم وقال قيس بن زهير بن خذيمة لسنان بن
سنان بن ابي حارثة انعم ظلاما ابا حمزة قال نعمت فمن انت قال قيس بن زهير وعلى ذلك
قال امرؤ القيس ، الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ، وهل يعمن [illegible] كان في العصر الخالي
وعلى ذلك قول الاول ، اتوا ناري فقلت منون انتم ، سراة الجن قلت عموا ظلاما ،
وكما تركوا ان يقولوا للملك او السيد المطاع ابيت اللعن كما قيل مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه
وقد زعموا ان حذيفة بن بدر كان يحيا بتحية الملوك ويقال له ابيت اللعن وتركوا ذلك في
الاسلام من غير ان يكون كفرا وقد ترك العبد ان يقول لسيده ربي كما يقال رب الدار
ورب البيت وكذلك حاشية السيد والملك تركوا ان يقولوا ربنا كما قال الحارث بن حلزة
ربنا وابننا وافضل من يمشي ومن دون ماله به الثناء ، وكما قال لبيد حين ذكر حذيفة بن بدر
واهلكن يوما رب كندة وابنه ، ورب معد بين خبت وعرعر ، وكما عير زيد الخيل حاتما
الطائي في خروجه من طيئ ومن حرب الفساد الى بني بدر حيث يقول ٥
وفر من الحرب العوان ولم يكن ، بها حاتم طبا ولا متطببا ، ورب حصنا بعد اذ كان ابيا
ابوه حصن فاستقال واعتبا ، اقم في بني بدر فلا يا بهمنا ، اذا ما انقضت حربنا ان نطربا

وقال عوف بن محلم حين رأى الملك حل بفنائه زبى ورب الكعبة وزوجه
ام اناس بنت عوف وكانوا يقولون لقوام البيت السدنة وقالوا الحجبة وقال
ابو عبيدة معمر بن المثنى عن ابى عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي حين انشد شعر الاسدي
ومركضة صريحي ابوها تهان لها الغلامة والغلام قال فقلت له فتقول للجارية
غلامة قال لا هذا من الكلام المتروك واسماء زالت مع زوالها معانيها كالمرباع
والنشيطة والصفي فالمرباع ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصا للرئيس وصار في الاسلام
الخمس على ما سنه الله واما النشيطة فانه كان للرئيس ان ينتشط عند قسمة المتاع
العلق النفيس يراه اذا استحلاه وبقي الصفي وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل
مغنم وهو كالسيف الهدام والفرس العتيق والدرع الحصين والشيء النادر وقال
ابن عنمة الضبي حليف بني شيبان في مرثية بسطام بن قيس لك المرباع منها والصفايا
وحكمك والنشيطة والفضول والفضول فضول المقاسم كالشيء اذا قسم وفضلت
فضلة استهلك كاللؤلؤة والسيف والدرع والبيضة والجارية واشباه ذلك واسماء
حدثت لم تكن وانما اشتقت لهم من اسماء متقدمة على التشبيه مثل قولهم لمن ادرك
الجاهلية والاسلام مخضرم كابي رجاء العطاردي وشقيق بن سلمة ومن الشعراء كالنابغة
الجعدي وابن مقبل واشباههم من الفقهاء والشعراء ويدل على ان الاسم احدث في الاسلام
انهم في الجاهلية لم يكونوا يعلمون ان ناسا يسلمون وقد ادركوا الجاهلية وما كانوا يعلمون
ان الاسلام يكون ويقال ان اول من سمى الارض التي لم تحفر قط ولم تحرث اذا
فعل بها ذلك مظلومة النابغة حيث يقول شعر الا الاواري لأيا ما ابينها
والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد • ومنه قيل سقاء مظلوم اذا عجل عليه قبل ادراكه
وقال الحادرة • ظلم البطاح بها انهلال حريصة • فصفا النطاف بها بعيد المقلع
وقال اخر • قالت له مي باعلى ذي سلم • لو ما تزورنا اذا الشعب الم •
الا بليل نام والقوم ظلم • يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه وقال الاخر
انا ابو زينب واليوم ظلم • وقال ابن مقبل • عاد الاذلة في دار وكان بها

هرت الشقاشق ظلامون للجزر • وقال اخر • وصاحب صدق لم ينلني شكاته
ظلمت وفي ظلمي له عامدا اجر • وقال اخر • لا يظلمون اذا ضيفوا وطائهم
ومهم لجارهم في دارهم ظلم • وظلمهم للجزور ان يعرقبوها وكان في الحق ان
تنحر نحرا وظلمهم الجزر ايضا ان ينحروها صحاحا سمانا لا علة بها قال ومن ذلك
قولهم لحرب غشوم وانما سميت بهذا لانها تنال غير الجاني قال ومن ذلك قولهم
من اشبه اباه فما ظلم يقول قد وضع الشبه في موضعه وفي المثل العبد ادنى ظلم معناه
القرب ومن المشتق المحدث اسم منافق لمن رآى بالاسلام واستسر الكفر اخذ ذلك
من النافقاء والقاصعاء والداماء ومثل المشرك والكافر ومثل التيمم قال الله تعالى
فتيمموا صعيدا طيبا اي تحروا ذلك وتوخوه قال فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه فكثر هذا في الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه وكذلك صنيعهم وعادتهم
في الشيء اذا طالت صحبته للشيء وملابسته له وكما سموا رجيع الانسان الغائط
وانما الغيطان البطون التي كانوا ينحدرون فيها اذا ارادوا قضاء الحاجة للستر ومنه
العذرة وانما العذرة الفناء والافنية هي العذرات ولكن لما طال القاءهم النجو والزبل
في افنيتهم سموا تلك الاشياء التي رموا بها باسم المكان الذي رميت به وفي الحديث نقوا
عذراتكم وقال ابن الرقيات • رحم الله اعظما دفنوها • بسجستان طلحة الطلحات •
كان لا يحجب الصديق ولا • يعتل بالبخل طيب العذرات • ولكنهم لكثرة ما كانوا [illegible]
في افنيتهم سموها باسمها ومنه النجو وذلك ان الرجل كان اذا اراد قضاء الحاجة تستر
بنجوة والنجو الارتفاع من الارض فقالوا من ذلك ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط
اذا ذهب الى الغائط لذلك الامر ثم اشتقوا منه فقالوا اذا غسل موضع النجو قد استنجى
وقالوا ذهب الى المخرج والى المتوضأ والى المذهب والى الخلاء والى الحش وانما الحش
القطعة من النخل وهي الحشان وكانوا بالمدينة اذا ارادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل
لان ذلك استر فسموا المتوضأ الحش وان كان بعيدا من النخل كل ذلك هربا من ان يقولوا
ذهب للخراءة لان الاسم الخرء وكل شيء سواه من قولهم رجع ورجيع وبراز وزبل وغائط

ومن هذا الباب المُلْك والمَلِك من صنع الحرز فسموا الحرز باسم من صنعها وهذا عند الاصمعي
خطاء ومن هذا الشكل الراوية والراوية هو الجمل بعينه وهو حامل المزادة فسمي المزادة
باسم حامل المزادة ولهذا المعنى سموا حامل الشعر والحديث راوية ومنه قولهم ساق الى امراته
صداقها وانما كان يقال ذلك حين كانوا يدفعون في الصداق ابلا وتلك الابل
يقال لها النافجة وقال شاعرهم وليس تلادي من وراثة والدي ولا شاد مالي مستفاد
النوافج وكانوا يقولون تهنيك النافجة فلما واذا كانوا يدفعون الصداق عينا
ورقا فلا يقال ساق اليها الصداق ومن ذلك انهم كانوا يضربون على العروس البناء
كالقبة والخيمة والخيام على قدر الامكان فيقال بنى عليها اشتقاقا من البناء ولا يقال
ذلك اليوم والعروس اما ان يكون مقيمة في مكانها او تتحول الى مكان اقدم من بنائها
قالوا ومن ذلك قولهم في البغي والمكتسبة بالفجور قحبة وانما القحاب السعال وكانوا
اذا ارادوا الكناية عن زنت وتكسبت بالزناء قالوا قحبت اي سعلت كناية وقال الشاعر
في ان السعال هو القحاب • واذا ما قحبت واحدة • جاوب المعبر منها تخضف • وكذلك
كانت كنايتهم في انكشاف عورة الرجل يقال كشف علينا متاعه وعورته وشواره
والشوار المتاع وكذلك الفرج والعانة والاير والحر والاست وكلمات للنبي صلى الله عليه وسلم
لم يتقدمه فيهن احد من ذلك قوله اذا لا ينتطح فيه عنزان ومن ذلك قوله
مات حتف انفه ومن ذلك قوله يا خيل الله اركبي ومن ذلك قوله هدنة على دخن
وقوله كل الصيد في جوف الفرا وقوله لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقال عمر شنشنة اعرفها من اخزم
يعني شبه ابن العباس بالعباس واخزم فحل معروف بالكرم واما الكلام الذي جاءت
به كراهية من طريق الروايات فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم
خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي كانه كره صلى الله عليه وسلم ان يضيف المؤمن الطاهر الخبث
الى نفسه والفساد بوجه من الوجوه وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهي عن قول القائل
استاثر الله بفلان بل يقال مات فلان ولا يقال استاثر الله بعلم الغيب واستاثر
الله بكذا وكذا قال النخعي كانوا يكرهون ان يقال قراءة عبد الله وقراءة سالم وقراءة

ابي

ابي وقراءة زيد وكانوا يكرهون ان يقولوا سنة ابي بكر وعمر بل سنة الله وسنة
رسوله ويقال فلان كان يقرأ بوجه كذا وفلان يقرأ بوجه كذا وكره مجاهد ان يقولوا
مسيجد ومصيحف للمسجد القليل الذرع والمصحف القليل الورق ويقول انهم وان
لم يريدوا التصغير والتحقير له فانه بذلك شبيه وربما صغروا الشيء من طريق الشفقة
والرقة كقول عمر اخاف على هذا العريب وليس يصغرهم يريد وقد يقول الرجل انما فلان
اخيي وصديقي وليس التصغير له يريد وذكر عمر ابن مسعود فقال كنيف ملئ علما وقال
سلمة بن سلامة بن وقش يوم السقيفة انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وهو كقول
النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الحميراء وكقولهم لابي قابوس الملك ابو قبيس وكقولهم دويهية
الدهر ودويهية الدهر وذلك حين ارادوا لطافة المدخل ودقة المسلك ويقال ان كل
فعيل في اسماء العرب فانما هو على هذا المعنى كقولهم المعيدي وكنحو سليم وضمير وكليب
وعقيل وجعيل وحميد وسعيد وجبير وكنحو عبيد وعبيد الله وعبيد الراج وطريف
التصغير والتحقير انما هو كقولهم بخيل ونذيل قال ورب اسم اذا صغرته كان املاء
للصدر مثل قولك ابو عبيد الله هو اكبر من ابي عبد الله وكعب بن جعيل هو افخم من كعب بن
جعل وربما كان التصغير خلقة وبنية لا تتغير كنحو الحميا والكميت وهنيدة والمطيطاء
والمريطاء والسميراء والمليساء وليس هو كقولهم العقيري وفي كبيدات السماء والثريا
وقال علي بن ابي طالب دققت الباب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت
انا فقال انا كانه كره قولي انا وحدثني ابو علي الانصاري وعبد الكريم العفاري قالا
حدثنا عيسى بن حاضر قال كان عمرو بن عبيد يجلس في داره وكان لا يدع بابه مفتوحا
فاذا قرعه انسان قام بنفسه حتى يفتح له فاتيت الباب يوما فقرعته عليه فقال من هذا فقلت
انا فقال ما اعرف احدا يسمى بانا فلم اقل شيئا وقمت خلف الباب اذ جاء رجل من اهل
خراسان وقرع الباب فقال عمرو من هذا قال رجل غريب قدم عليك يلتمس العلم فقام
ففتح الباب فلما وجدت فرجة اردت ان الج الباب دفع الباب في وجهي بعنف فاقمت
عنه اياما ثم قلت في نفسي والله اني يوم انقض على عمرو بن عبيد لغير رشيد

الراي فاتيت الباب فنقرت عليه فقال من هذا قلت عيسى بن حاضر فقام ففتح لي الباب
وقال رجل عند الشعبي اليس الله قال كذا وكذا قال وما علمك وقال الربيع بن خثيم
اتقوا تكذيب الله ليتق احدكم ان يقول قال الله في كتابه كذا وكذا فيقول الله كذبت
لم اقله وقال عمر بن الخطاب لا يقل احدكم اهريق الماء ولكن يقول ابول وسال عمر رجلا
عن شيء فقال الله اعلم فقال عمر قد خزينا ان كنا لا نعلم ان الله اعلم اذا سئل احدكم عن شيء
فان كان يعلمه قاله وان كان لا يعلمه قال لا اعلمه وسمع عمر رجلا يدعو ويقول اللهم
اجعلني من الاقلين قال ما هذا الدعا قال اني سمعت الله عز وجل يقول وقليل من عبادي
الشكور وقال وما آمن معه الا قليل قال عمر عليك من الدعاء بما يعرف وكره عمر بن
عبد العزيز قول الرجل لصاحبه ضعه تحت ابطك وقال هلا قلت تحت يدك وتحت منكبك
وقال مرة وراث فرس بحضرة سليمان فقال ادفعوا هذا الشيب ولم يقل ذلك الروث
وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الاشعث عمدت الى مال الله فوضعته تحت تحت كانه
كره ان يقوله على عادة الناس تحت استك فتلجلج فرقا ان يكون قد عا او رفثا
ثم قال تحت ذيلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم لمملوكه عبدي وامتي ولكن
يقول فتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي وربتي ولكن يقول سيدي وسيدتي وكره
مطرف بن عبد الله قول القائل للكلب اللهم اخزه وكره عمران بن الحصين ان يقول
الرجل لصاحبه نعم الله بك عينا ولا نعم الله بك عينا وقد كرهوا اشباه ما جاءت في الروايات
لا نعرف وجوهها واري اصحابنا يكرهونها ولا نستطيع الرد عليهم ولم نسمع لهم في
ذلك اكثر من الكراهة ولو كانوا يروون الامور مع عللها وبرهاناتها خفت المؤونة
ولكن اكثر الروايات مجردة وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة
ودون الاخبار عن البرهان وان كانوا شاهدوا النوعين مشاهدة واحدة
قال ابن مسعود وابو هريرة لا تسموا العنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم وقد
رفعوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم واما قوله لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله
فما احسن ما فسر ذلك عبد الرحمن بن مهدي قال وجه هذا عندنا ان القوم قالوا وما يهلكنا

الا

الا الدهر فلما قال القوم ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الله يعني ان الذي
اهلك القرون هو الله عز وجل فتوهم منهم المتوهم انما اوقع الكلام على الدهر
وقال يونس وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان قل ومعك روح القدس فقالوا
قال النبي لحسان قل ومعك جبريل لان روح القدس ايضا من اسماء جبريل الا ترى ان
موسى قال لبنته ان روح الله مع كل احد وهو يريد العصمة والتوفيق والنصارى تقول
للمتنبي معه روح كذا وكذا ومعه روح سبقره وتقول اليهود معه روح بلعزبوث
يريدون شيطانا فاذا كان نبيا قال روحه روح القدس وروحه روح الله
وقال الله عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني القرآن وسمع الحسن رجلا
يقول طلع سهيل وبرد الليل فكره ذلك وقال ان سهيلا لم يات بحر قط ولا ببرد ولهذا
الكلام مجاز ومذهب وقد كرهه الحسن كما ترى وكره مالك بن انس ان يقول الرجل للغيم
والسحابة ما اخلقها للمطر وهذا كلام مجازه قائم وقد كرهه ابن انس كانهم من حرصهم
عليهم العود في شيء من امر الجاهلية احتاطوا في امورهم فمنعوهم من الكلام الذي فيه
ادنى متعلق وروي ان ابن عباس قال لا تقولوا الذي خاتمه على فمي وانما يختم
الله على فم الكافر وكره قولهم قوس قزح وقال قزح شيطان وانما ذهبوا الى التزيج
والتلوين كانه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهلية وكانه احب ان يقال قوس الله
فيرفع من قدره كما يقال بيت الله وزوار الله وارض الله وسماء الله واسد الله
وقالت عائشة قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده
فلانكن ذهبت الى نزول المسيح فما اعرف له وجها الا ان يكون قالت لا تغيروا ما كنتم
وقولوا كما قيل لكم والفظوا بمثله سواء وكره ابن عمر قول القائل اسلمت في كذا وكذا
وقال ليس الاسلام الا لله عز وجل وهذا الكلام مجازه عند الناس سهل وقد كرهه
ابن عمر وهو اعلم بذلك وكره ابن عباس قول القائل انا كسلان وقال عمر لا تسموا
الطريق السكة وكره ابو العالية قول القائل كنا في جنازة قال قل تبعت جنازة كانه
ذهب الى انه عنى انه كان في جوفها والناس لا يريدون هذا ومجاز هذا الكلام

قائم وقد كرهه ابو العاليه وهو عندي شبيه بقول من كره ان يقول اعطاني فلان نصف
نصف درهم وقال اذا قلت كيف تكيل الدقيق فليس جوابه ان يقول القفيز بدينار
ولكن جوابه ان تتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ويقول هكذا الكيله وهذا في القول
مسخوط وكره ابن عباس قول القايل الناس قد انصرفوا ابى بدر من الصلوة فاذا جلسوا
قولوا قد قضوا الصلوة وقد فرغوا من الصلوة وقد صلوا لقوله تعالى ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم وكلام الناس كان ذلك حين انصرفنا من الجنازه وقد انصرفوا من
السوق وصرف الخليفه من الدار الناس اليوم بخير وكنت في اول المنصرفين وقد
كرهه ابن عباس ولو اخبرونا عن علته استغنينا بذلك وكره حبيب بن ابى ثابت ان
يقال للحايض طامث وكره مجاهد قول القايل دخل رمضان وذهب رمضان وقال قالوا
شهر رمضان فلعل رمضان اسم من اسماء الله قال ابو اسحق انما اتى من قوله شهر رمضان
الذى انزل فيه القرآن فقد قال الناس يوم التروية ويوم عرفة ولم يقولوا التروية ولا قالوا
عرفة وكان ابو اسحق يقول لا تتسهلوا الى كثير من المفسرين وان نصبوا انفسهم للعامة
واجابوا في كل مسئلة فان كثيرا منهم يقول بغير رواية وعلى غير قياس وكلما كان المفسر
اغرب عندهم كان احب اليهم وليكن عندهم عكرمة والكلبى والسدى والضحاك
ومقاتل بن سليمان وابو بكر الاصم في سبيل واحدة وكيف اثق بتفسير قوم واسكن الى
صوابهم وقد قالوا في قوله تعالى وان المساجد لله ان الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام
مساجدنا الذى نصلى فيها بل انما عنى الجباه وكلما سجد الناس عليه من يد ورجل وانف وثفنة
وقالوا في قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت انه ليس يعنى الجمال والنوق وانما يعنى
السحاب واذا سئلوا عن قوله وطلح منضود قالوا الطلح هو الموز وجعلوا الدليل على ان شهر
رمضان قد كان فرضا على جميع الامم وان الناس غيروه قوله كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم وقالوا في قوله تعالى رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قالوا يعنى انه حشره
بلا حجة وقالوا في قوله تعالى ويل للمطففين ان الويل واد في جهنم ثم قعدوا يصفون ذلك
الوادى ومعنى الويل في كلام العرب معروف وكيف كان في الجاهلية قبل الاسلام وهو من اشهر

كلامهم

كلامهم وسئلوا عن قوله قل اعوذ برب الفلق قالوا الفلق واد في جهنم ثم قعدوا يصفونه
وقال اخرون الفلق المقطره بلغة اليمن وقال اخرون عينا تسمى سلسبيلا قالوا اخطاء من
وصل بعض هذه الكلمه ببعض قالوا وانما هى سل سبيلا اليها يا محمد فان كان كما قالوا فاين
معنى تسمى وعلى اى شى وقع قوله تسمى فتسمى ماذا وما ذاك الشى وقالوا في قوله تعالى وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا الجلود كناية عن الفروج كانه لا يرى ان كلام الجلد من اعجب
العجب وقالوا في قوله تعالى كانا ياكلان الطعام ان هذا انما هو كناية عن الغايط كانه لا يرى
ان في الجوع وما ينال اهله من الذلة والعجز والفاقة وانه ليس في الحاجة الى الغذاء ما يكتفى
به في الدلالة على انهما مخلوقين حتى يدعى على الكلام ويدعى له اشياء قد اغناه الله عنها وقالوا
في قوله وثيابك فطهر انما عنى قلبه ومن عجيب التاويل قول اللحياني الجبار من الرجال يكون
على وجوه يكون جبارا في الضخم والقوة فتاول قوله تعالى ان فيها قوما جبارين قال
ويكون جبارا على معنى يكون قتالا وتاول في ذلك واذا بطشتم بطشتم جبارين وقوله
لموسى صلوات الله على نبينا وعليه ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اى قتالا بغير حق
قال والجبار المتكبر عن عبادة الله وتاول قوله عز وجل ولم اكن جبارا عصيا وتاول في
ذلك قول عيسى عليه السلام ولم يجعلني جبارا شقيا اى لم يجعلني جبارا متكبرا عن عبادته
وقال الجبار المسلط القاهر قال وهو قوله وما انت عليهم بجبار اى مسلط فتقهرهم
على الاسلام قال والجبار الله تعالى وتاول ايضا الخوف على وجوه ولو وجده في الف
مكان لقال والخوف على الف وجه وكذلك الجبار وهذا كله يرجع الى معنى واحد
الا انه لا يجوز ان يوصف به الا الله عز وجل وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضى
ان ابى اوصى بثلث ماله في الحصون قال اذهب فاشتر بها خيلا فقال الرجل انه انما
ذكر الحصون قال اوما سمعت قول الاسعد الجعفى • ولقد علمت على تجنبي الردى •
ان الحصون الخيل لا مدر القرى فينبغى في مثل هذا القياس على هذا التاويل انه ما قيل
للمدن والحصون حصون الا على التشبيه بالخيل وخبرنى النوشجانى قال قلت للمحمى القاضى
اوصى جدى بثلث ماله لاولاده وانا من اولاده قال ليس لك شى قال قلت ولم قال انت من

ولد البنات قال قلت وان كنت من ولد البنات فاني من اولاده فقال ليس لك شئ قال قلت
ولم قال اوما سمعت قول الشاعر • بنونا بنوا ابنائنا وبناتنا • بنوهن ابناء الرجال
الاباعد قال فشكوت ذلك الى فلان فزادني شرا وقالوا في قوله ما ساءك وناءك قالوا
ناءك ابعدك وساءك ابرصك قال لقوله تخرج بيضاء من غير سوء وبئس الشئ التكلف
وقال ابن قيس • وحال انقار اذا هي اعرضت • عن الاصل لا يسطيعها المتكلف
وقال الله تبارك وتعالى وهو يخبر عن نبيه وما انا من المتكلفين وليس يؤتى القوم
الا من التنطع ومن شدة اعجابهم بالغريب من التاويل وسئل حفص بن غياث عن
فقه ابي حنيفة فقال اعلم الناس بما لم يكن واجهلهم بما كان وقالوا في قوله تعالى لتسئلن
يومئذ عن النعيم قالوا النعيم الماء الحار في الشتاء والبارد في الصيف قال ومن
الاسماء المحدثة التي قامت مقام الاسماء الجاهلية قولهم في الاسلام لمن لم يحج صرورة وانت اذا قرات
اشعار الجاهلية وجدتهم قد وضعوا هذا الاسم على خلاف هذا الموضع قال ابن مقروب
الضبي • لو انها عرضت لاشمط راهب • عبد الاله صرورة المتبتل •
لرني لبهجتها وحسن حديثها • ولهم من ناموره بتنزل • والصرورة عندهم اذا كان
ارفع الناس في مراتب العبادة وهو اليوم اسم الذي لم يحج اما لعجز واما لتضييع واما لانكار
فهما مختلفان كما ترى فاذا كان للعرب ان يشتقوا كلاما من كلامهم واسماء من اسمائهم
واللغة عارية في ايديهم ممن خلقهم ومكنهم والهمهم وعلمهم وكان ذلك منهم صوابا
عند جميع الناس فالذي اعارهم هذه النعمة احق بالاشتقاق واوجب طاعة وكما كان له
ان يبتدئ الاسماء فكذلك له ان يبتدئها تماما حتى قد سمى كتابه المنزل قرانا
وهذا الاسم لم يكن حتى كان وجعل السجود للشمس كفرا فلا يجوز ان يكون السجود لها
كفرا الا وترك السجود بعينه يكون ايمانا والترك للشئ لا يكون الا بالجارحة التي كان بها
الشئ وفي مقداره من الزمان ويكون بدلا منه وعقيبا فواحد انه سمى السجود كفرا واذا
كان كفرا كان جحدا واذا كان جحدا كان شركا والسجود ليس بجحد والجحد ليس باشراك
الا ان نصرفه الى الوجه الذي يصير به اشراكا وهذا من المشتق وكلا انما

يروى من هذا بيت شعر جاهلي او مثلا سائرا واخرى انه قد صار ايضا في هذا القياس
عمل الجبهة ايمانا واذا كان ايمانا كان توحيدا واخلاصا لله وهذا من المشتق وترك
الخضوع لله بالقلب كفر وليس هو جحد ولا انكار وهم لا يجيبون في اللغة القديمة
والاشعار الصحيحة ايمانا ليس باقرار واقرارا ليس من عمل اللسان على ان اشعار
الاسلام والامثال السائرة فيها والامثال الكائنة بعد الجاهلية تزيد في العدد على ما كان
في جميع ايام الجاهلية **ثم رجعنا الى القول في الكلب** قال والنباح
والعواء يقع في مواضع مختلفة ويكون من اجناس مختلفة وكلها مشتقة من نباح الكلب وعوائه
يقال للكلب يعوي وللفصيل يعوي وللذئب يعوي كما يقال للكلب ينبح وللهدهد ينبح
ويقال للظبي اذا اسن انه ينبح ويقال للشاعر ينبح وللحيات تنبح وقال الحكم بن عبدل
البث اذا البث مجتهدا • ورفعت صوتا ما به بحح • لا يدرك الشعراء منزلتي
في الشعر ان سكتوا وان نبحوا • وقال ابو ذويب • ولاهتها كلبي ليبعد نفرها
ولو نبحتني بالشكاة كلابها • يعني شعراءها وقال الاصمعي اذا كان الرجل ضخم الصوت
قيل نبح ينبح نبحا وهو نباح الكلب ونباح الرجل ونباح الشاعر فاذا كان اذا تكلم
كان صوته جافيا وهو في ذلك بحة ويرسل بعضه في اثر بعض قيل كلام فلان غذمرة
كما تسمع وقال الراعي • يتبعن تبعهم حتى اذا حال دونهم • ركام وحاد ذو غذامير صيدح
قال والنبوح اصوات جماعة الحي ما فيها من كل صوت وقال طفيل الغنوي •
عوازب لم تسمع نبوح مقامة • ولم تر نارا تم حول مجرم • وانما اخذ ذلك للجميع من نباح
الكلاب وذكروا ان الظبي اذا اسن ونبتت لقرونه شعب نبح وهو قول ابي داود •
وقصري شنج الانساء نباح من الشعب • يعني من جهة الشعب وانشد لبعضهم •
وينبح بين الشعب نبحا تخاله • كلاب سلوق ابصرت ما يريبها • وبيض الهزل المسود غيره
كما ابيض عن حمض المراضيع سيرها • لان الظبي اذا هزل ابيض والبعير يشبع جلده من اكل الحمض
ولذلك قال ابن لجا • شابت ولما تدن من ذكائها • كما قال الاخر
الكلي حمضا فالوجوه شيب • شربن حتى نزح القليب • وقد نقير الناقد حمراء

اذا اتت حبشية ولذلك قال الشاعر • حمراء الاحبشة الاثام • وما اشبه ذلك بقول
العبدي • وداويتها حتى شتت حبشية • كان عليها سندسا وسدوسا • والدواء اللبن
فكذلك تصير الفرس اذا القت شعرها وطرت تستبدل هذا اللون وقال خالد بن
الصقعب النهدي • هبطنا بعد عهدك بطن جنب • تظل حمامه مثل الخصوم
كان عراين ايكه ثلاثا في • به جمعان من نبط وروم • نباح الهدهد الحولي فيه
كنبح الكلب الانس المقيم • ويقال ان الهدهد ينبح وربما جعلوا الهدهد الذي
ينبح لحمامة الذكر قال الشاعر وهو يصف حمام الذكر كيف يضح ٥
واذا استثرت اريك فيها هدهد • مثل المداك خضبته بجساد • وقال طفيل
في النبوح والجماعات • واشعث تزهاه النبوح مدفع • عن الزاد مما خلف الدهر محثل
وقال الجعدي • فلما دنونا لصوت النبوح • ولا نستبين لها الا التماسا
اضاءت لنا النار وجها اغر • ملتبسا بالقلوب التباسا • وقال عمرو بن كلثوم
وقد هرت كلاب الحي منا • وشذبنا قتادة من يلينا • وقال بعض الحكما
كلاب الحي شعراوهم وهم الذين ينبحون دونهم ويحمون اعراضهم وقال اخر
كلاب الحي كل كلب عقور وكل ذي عيش اربع وامأوله • لعمرك ما خشيت على ابي
رياح بني مقيدة الحمار • ولكني خشيت على ابي • رياح الجن او اياك حار ٥
والطواعن عند العرب رياح الجن وفي الحديث ان الطاعون وخز من الشيطان
وقال ابو سلمى • لابد للسودد من ارماح • ومن سفيه دايم النباح
ومن عديد يتقي بالراح • وقال الاعشى • مثل ايام لنا نعرفها
هر كلب الناس فيها ونبح • وقال ٥ • ربرزت الاحلام في مجلسهم
كلما كلب من الناس نبح • وقال ٥ • سينبح كلبي جاهدا من ورايكم
واغنى غناي عنكم ان اونبا • وقال ابو ذويب • ولا هرها كلبي ليبعد نفرها
ولو نبحتني بالشكاة كلابها • وقال بشر بن ابي حازم • واني والشكاة لآل لام
كذات الضغن تمشي في الرفاق • وقال ابو زبيد • الم ترني سكنت لأيا كلابكم

وكففت

وكففت عنكم الكلبي وهي عقر **قال صاحب الكتاب** قد علمنا انكم تشنعتم على الكلب
كل شيء هجي به وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدره ولوم طبعه وعلى قلة عنايه
وقد راينا الشعراء قد هجوا الاصناف كلها فلم يفلت منهم انسان ولا سبع ولا بهيمة ولا
طاير ولا هميج ولا حشرة ولا رفيع من الناس ولا وضيع الا ان يسلم بعض ذلك عليهم بالخمول
فكفاك بالخمول ذلة ولؤما وقلة ونذالة وقال امية بن ابي عايذ لاياس بن سهم ٥
ابلغ اياسا ان عرض ابن اختكم • رداوك فاصطن حسنه او تبذل • فان تك ذا طول فان ابن اختكم
وكل ابن اخت من ندا الخال معتل • فكن اسدا او ثعلبا او شبيهه • فمهما تكن انسب اليك واشكل
فما ثعلب الا ابن اخت ثعالة • وان ابن اخت الليث رييال اشبل • ولن تجد الاساد اخوال ثعلب
اذا كانت الهيجا تلوذ بمدخل • فهذا في الثعلب وقال مزرد بن ضرار ٥
وان كنا الحم من بكر انكم • تهر عليها امكم وتكابر • فليت الذي القى فناءك رحله
لتقريه بالت عليه الثعالب • فقد وضع الثعلب كما ترى بهذا الموضع الذي كفاك به
نذالة وقال ابن هرمة • فما عادت بذي يمن رءوسا • ولا خرت بمزعتها نزارا
كعنز السوء تنطح من خلاها • وترأم من يحد لها الشفارا • فهذا قول الشاعر في العنز وقال
ابن احمر ٥ انا وجدنا بني سهم وحاملهم • كالعنز تعطف روقيها فتنتطح
وقال الفرزدق • على حين لم اترك على الارض حية • ولا نابحا الا استقر عقورها
وكان بقيع اذ هجاني لاهله • كباحثة عن مدية تستثيرها • فهذا قولهم في العنز ولا نعلم
في الارض اقل شرا ولا اكثر خيرا من شاه وقال البحتري ٥
يا للرجال العوم قد ملتهم • ارى جوارهم احدى البليات • ذيب وضبع وخنزير تعارضها
عقارب دخبت دخبا لحيات • ما ظنكم باناس خير كسبهم • مصرح ليس يكسوه الامانات
فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والذباب والخنازير وقال حماد عجرد في بشار ٥
قد كان في حب غزالة شاغل • للقرد عن شتمي وعن ثوبانا • او في سميعة اختها وشرادها
لمجونها مع سفلة الجيران • اوبنت صعصع سوءه كوبها • شر النساء بالوكس الاثمان
هذا قول حماد في القرد وقال حماد في بشار ايضا • ولكن معاذ الله لست بقادف

برئنا بسوء او تقوم لنوائجي • وما قلت في الاعمى بجهل وانه • ولكن بامر بين لي واضح
ساعرض صفحا عن حصين لامه • ولست عن الوغد بن برد بصافح • وقال الاخر ٥
لما اتيت ابني يزيد بن خثعم • اذا القرد والخنزير محتبيان • امام بيوت القوم من ال خثعم
وراء قبيح الوجوه بطان • وقال العتابي ٥ اسجد لقرد السوء في زمانه
وان تلقاك بخنزوانه • لا سيما ما دام في سلطانه • وقال ابو الشمقمق ٥
ان رباح اللؤم من شحمه • لا يطبع الخنزير في سلحه • كفاه قفل ضل مفتاحه
قد يئس الحداد من فتحه • وقال خلف بن خليفه ٥ فسبحان من رزقه واسع
يعم به القرد والقرده • وهذا كثير ولعمري لو جمع كله لما كان مثل هجاء الناس للكلب
وكذلك لو جمع جميع ما مدح به الاسد فما دونه والامثال السايره التي وقعت في حمد هذه
الاشياء لما كانت كلها بمقدار مدح الكلب فهذه حجتنا في فرية الكلب على جميع السباع
والبهايم وكما قال معبد في ذم الكلب وتلا قول الله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه
اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شينا لرفعناه بها ولكنه اخلد
الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا قال ابو اسحق ان كنت انما جعلت الكلب شر
الخلق بهذه العلة فقد قال على نسق هذا الكلام ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك
كالانعام بل هم اضل فالذي قال في الابل والبقر والغنم اعظم فاسقط منها قدرها بقدر معنى
الكلام وادنى ذلك ان تشرك بين الجميع في الذم فانك متى انصفت في هذا الوجه دعاك
ذلك الى ان تنصفها في تتبع ما لها من الاشعار والامثال والاخبار والايات كما تتبعت
ما عليها **وقال صاحب الكلب** سنضرب مثلا يكون بينا عدلا اذا استوجب
القبيلان في تقادم الميلاد ثم كان احدهما لا يزال كثير الذراد والفرسان والحكماء
والاجواد والشعراء وكثير السادات في العشاير وكثير الرؤساء والارحاء وكان الاخر
قليل الذرء والعدد ولم يكن فيهم خير كثير ولا شر كثير خلوا ودخلوا في غمار العرب وغرقوا

في

في معظم الناس وكانوا من المغمورين ومن المنسيين فسلموا من ضروب الهجاء ومن اكثر ذلك
وسلموا من ان يضرب بهم المثل في قلة ونذالة اذ لم يكن لهم سرو وكان محلهم من القلوب محل من لا يغيظ
الشعراء ولا يحسدهم الاكفاء وكانوا كما قال حميد بن ثور • وقولا اذا جاوزتما ارض عامر
وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما • نزيعان من جرم بن زبان انهم • ابوا ان يميروا في الهزاهز محجما
واذا تقادم الميلاد ولم يكن الذرء وكان فيهم خير كثير وشر كثير وشاعر ومناقب
لم يسلموا من ان يهجوا ويضرب بهم المثل ولعلا بيضا ان يتفق لهم اشعار تتصل بمحبة
الرواة وامثال تسير على السنة العلماء فيصير حينئذ من لا خير فيه ولا شر امثل حالا في
العامة ممن فيه الفضل الكثير وبعض النقص ولا سيما اذا جاوروا من يأكلهم وحالفوا
من لا ينصفهم كما لقيت غنم وباهلة ولولا عبا اقامته في بني عامر ضعف ما اقامت
لذهب شطر شرفها ولكن قيس بن زهير لما راى دلايل الشر قال لاصحابه الذلة في
غطفان خير من العز في بني عامر وقد يكون القوم حلولا مع بني اعمامهم فاذا راوا
فضلهم عليهم حسدوهم وان تركوا شيا من انصافهم اشتد ذلك عليهم وتعاظمهم
باكثر من قدره وقد دعاهم ذلك الى الخروج منهم الى اعدائهم فاذا صاروا الى اخرب
نهشوهم وحملوا عليهم فوق الذي كانوا فيه من بني اعمامهم حتى يدعوهم ذلك الى
الندم على مفارقتهم فلا يستطيعون الرجوع حمية وانفا ومخافة ان يعودوا
لهم الى شر مما كانوا عليه ولا المقام في حلفائهم الذين يرون من احتقارهم ومن
شدة الصولة عليهم وقد خرج الاضبط بن قريع السعدي في بني سعد فخاف ربابا
فلما راى منهجهم وظلمهم وتهتكهم قال بكل واد بنو سعد فارسلها مثلا وقد كان
عباس بن ريطة الرعلي سيد بني سليم قد ناله منهم في بعض الامر فابى الضيم فلما
حاول منافرتهم وجد بني عمه اعدا منه فقال في كلمة له • واتكم تراحي التوام لبعلها
وام اخيكم كزة الرحم عاقر • وزعم ان ابا عمرو انشده هذا الشعر وخبر عن هذه
القصه في يوم من ايامه فدمعت عينه فحلف شبيل بن عزرة بالطلاق انه لعرف
في الحقيقة لغيته او لرشده فمن القبايل المتقادمه الميلاد التي في شطرها شرف

وفي الشعر الاخر شرف وضعة مثل قبايل غطفان وقيس عيلان ومثل فزارة ومرة وثعلبة
ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ثم يجي الى غني وباهلة واليعسوب والطفاوة فالشرف
والحظ في عبس وذبيان والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم مثل باهلة وغني مما لقيت
من صوايب سهام الشعراء وحتى كانهم القا لمدارج الاقدام ينكب فيها كل ساع ويعثر
فيها كل ماش وربما ذكروا اليعسوب والطفاوة ومازن البقعاء واشجع الخنثا
ببعض الذكر وذلك مشهور في خصايص العلماء لا يجوز ذلك صدورهم وعظم البلاء
يقع بغني وباهلة وهم ارفع من هاولاء واكثر فضولا ومناقب حتى صار من لا خير
فيه ولا شر عنده احسن حالا ممن فيه الخير الكثير وبعض الشر وصار مثلهم كما قال الشاعر
اضرب ندى طلحة الطلحات متئدا • ببخل مطلب فينا وكن حكما • تخرج خزاعة من لوم ومن كرم
فلا تعد لها لوما ولا كرما • وقد ضرب في شعره وطلحة خزاعة طلحا عبقريا وقال في ذلك
اشعر القيان الاسدي • حسبك في القوم ان يعلموا • بانك فيهم غني مضر
وانت مليح كلحم الحوار • فلا انت حلو ولا انت مر • وكما قال الشاعر في عليا
بن جبلة حيث يقول • ارى العليا كالعلباء لا حلو ولا مر • شييخ من بني الحارث لا خير ولا شر
فهذا ونحوه من اشد الهجاء والخمول اسم لجميع اصناف النقص كلها او عامتها ولكنه كالشر وعند
العامة وليس تنفعك العامة اذا ضرتك الخاصة ومن هذا الضرب تيم وثور وعكل ومزينة
في عكل وتيم ومزينة من الشرف والفضل ما ليس في ثور وقد سلم ثور الا من الشي اليسير
مما لا يرويه الا العلماء ثم حلت البلية وركد الشعر والتحف الهجاء على عكل وتيم وقد شعثوا من
مزينة شيا ولكن حسبهم الى المسلمين قاطبة ما تهيا لهم من الاسلام حتى قل حظهم فيه
وقد نالوا من ضبة مع ما في ضبة من الخصال الشريفة لان الاب متى قصر ولده في العدد
عن ولد اخيه او ابن اخيه فقد ركبتهم الاخرون بكل عظيمة حتى يروا تسليم المرباع اليهم خطا ويسير تحت
اللوا وحملا على اموالهم في النوايب وحتى ربما كانوا كالعظاريط والعسفاء وكالاتباع والدخلا
ثم لا يجدون من ذلك بدا لانهم متى امتنعوا حصروا واجتثوا فراوا ان البقية اربح لهم
وقد اعان غيلان بن خرشة على الاحنف بكلمة فقال الاحنف عبد في الجاهلية اتباع في الاسلام

فان

فان هربوا تفرقوا فصاروا اشلاء في البلاد فصار حكمهم كحكم من درج وهلك ابيهم كحكم
من لم يعقب وان هم حالفوا الغربا فذلك حين لا يغفل رووسهم من الذل والغرم والكلف
ضرباب فاهونهما كانضمام عبس وضبة واسد وغطفان فان هاولاء قبايل اقربا
لم ينهكوا كما نهكت باهلة وغني لحاجة القوم اليهم وخشيتهم ان هم تنكروا على حال
فلقد لقيت ضبة من سعد وعبس من عامر واسد من عيينة بن حصن ما لقوا وقد رايت
مشقة ذلك على النابغة وكيف كره خروج بني اسد من ذبيان وعيينة وان كان اسود
من النابغة فان النابغة كان احزم واعقل وقد سلمت ثور وابتليت عكل وتيم ولولا
الربيع بن خثيم وسفيان الثوري لما علمت العامة ان في العرب قبيلة يقال لها ثور ولشريف
واحد ممن قتلت تيم اكثر من ثور وما ولدوا وكذلك العنبر ابتليت وظلمت وبخست
مع ما فيها من الفرسان والشعراء ومن الزهاد والعلماء ومن الفقهاء ومن القضاة والولاة
ومن نوادر الرجال اسلاميين وجاهليين وقد سلمت كعب بن عمرو وابتليت الحبطات
ولو لم يكن لهم حسكة بن عتاب وعباد بن الحصين وعمرو بن الاسود لكان حظ الهم وسلمت
سلامة كعب بن عامر فانه لم ينلها من الهجاء الا الخفي والنتف ورب قوم قد رضوا
بخمولهم مع السلامة على العامة فلا يشعرون حتى يصب الله على قوم رووسهم حجارة والقرب
بابيات يسير بها شاعر وسوط عذاب يسير به الراكب والمثل كما قال الشاعر •
ان منافا احوة لدارم • كما الظليم فخة البراجم • وكما قال الشاعر •
وجدنا الحمر من شر المطايا • كما الحبطات شر بني تميم • فما الميسم في جلد البعير باعلق
من بعض الشعر واذا كان بيت واحد يرسله الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد والفعال
مثل نمير يصير الى ابلغ الى ما صارت اليه نمير وهو نمير فما ظنك بالظليم وبمناف وبالحبطات
وقد بلغ مخرق قول جرير • فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا
الى ان قال شاعر اخر وهو يهجو قوما اخر • وسوف يزيدكم ضعة هجاي
كما وضع الهجاء بني نمير • وحتى قال ابو الرديني • اتوعدني لتقتلني نمير
متى قتلت نمير من هجاها • ولذلك ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء

وهذا من اول كرمها كما بكى مخارق بن شهاب وكما بكى علقمة بن علاثة وكما بكى عبد الله بن جدعان من
لخداش بن زهير وما زال يهجوه من غير ان يكون كان رآه فلما رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله
الذي يقع في النفوس من تفضيله ومحبته ومن اجلاله والرقة عليه امسك الا ترى ان البيت
وغسان ابني مالك بن عمرو بن تميم ليس يعرفهم بالعجز والقلة الا دغفل بن حنظلة والا النخار
العذري والا الكيس النمري والا صحار العبدي والا مثل شرية وابي السطاح واشباههم
او من شانه طلبهم والاقتباس من موارثيهم وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب
فالرجل منهم عمري تميمي حنظلي يعطي حق العموم في الجملة ولا يقتضي ما عليه وعلى بعضه في الخاصة
والحرمان اسوء حالا في العامة من هذه القبائل الخاملة وهم اعد واجلد وبلية اخرى
ان يكون القبيل متقادم الميلاد قليل الذرء قليل الساده وشبيها ان يبحر في ولد
اخوتهم الشرف الكامل والعدد التام فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكل من رآهم
او يجمع بهم اضعاف الذي هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف اخوتهم ومن شؤم الاخوة ان شرفهم
ضعة اخوتهم ومن يمن الاولاد ان شرفهم شرف من قبلهم من ابائهم ومن بعدهم من اولادهم
كعبد الله بن دارم وجرير بن دارم فلولا ان العقيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان من حجا
وحكم لكان خرابه ولقد ضعضعت قريش لما جاءت به من الخصال الشريفة التامة من اركان
كنانة وكنانة سنام الارض وجبلها وعينها التي تبصر بها وانفها الذي به تعطس فما ظنك
بمن ابتلي بمثل بني عبد الله بن دارم وبني نهشل بن دارم وبني مجاشع بن دارم ثم رأى
بني فقيم بن جرير بن دارم وكذلك كل اخوين اذا برع احدهما وسبق وعلى الرجال وسبق
في الجود والافضال او في الفروسية او في البيان فان كان الاخر وسطا من الرجال حسبه اخوه
في الطبقة السفلى ليس الا لبراعة اخيه لعادية قرابته التي كانت مفخرة لها التي يلتحق به اسفل
السافلين وكذلك غنم بن اسد بن ربيعة ولو كان سودد ربيعة مرة في غنم ومرة في
ضبيعة اضجم لكان جزالهم البسهم ويودّ كثير من هذه القبائل التي سميته على الشعراء والعوام
ان يكون فيهم شطر ما يعني وباهلة من الشرف ولولا ان الناس وازنوا بين خصال القبائل
خيرها وشرها لكانوا سعداء **وقال صاحب الكلب** وذكرت عيوب الكلاب فقلت

الكلب

الكلب اذا كان في الدار محق اجور اهل الدار حتى يأتي على اقصاها لان الاجر اذا اخذ
منها في كل يوم وزن قيراط والقيراط مثل احد لم يلبث ذلك ان يأتي على اخرها وقلت وفي
الكلب اشد الاذى على الجار والضيف والدخيل يمنعه النوم ليلا والقايلة نهارا او ان
يسمع لحديثه ثم الذي على سامع النباح من المؤنة من الصوت الشديد ولو لم يكن في الكلب
مما يؤذي لشدة صوته الا ادامة مجاوبة الكلاب لكان في ذلك ما ينغص العيش ويمنع من
الكلام والحديث وقال ارطاة بن سهية في بعض فخاره • واني لقوام الى الضيف موهنا
اذا اغدف الستر البخيل المواكل • دعا فاجابته كلاب كثيرة • على ثقة مني بما انا فاعل
وما دون ضيفي من تلاد تحوزه • الى النفس الا ان تصان الحلائل • وقال ابن هرمة ٥
ومستنبح نبهت كلبي لصوته • وقلت له قم بالبقاع فجاوب • فجاء خفي الصوت قد مس طوقه
بخرته مصقول العوارض قاضب • فرحبت واستبشرت حتى بسطته • وتلك التي فيها كل نايب
وقال الاخر • فجمعا عليه وهو يكعم كلبه • دع الكلب ينبح انما الكلب نابح
وقال مزرد بن ضرار • تشارك غلاما اتقي الذم بالقرى • اذا ضاف ضيف من فزارة راغب
وان رب سار اسمع الكلب صوته • الى دون نبح الكلب والكلب دايب • وقال بشار ٥
سقى الله القباب بتل عبد • وبالشرقي اثار القباب • واياما لنا قصرت وطالت
على وغان نابحة الكلاب • وقال رجل من بني عبد الله بن غطفان ٥
اذا انت لم تستبق ود صحابة • على دخن اكثرت بث المعاتب • واني لاستبقي امرأ السوء عدة
لعدوة عريض من الناس جانب • اخاف كلاب الابعدين ونبحها • اذا لم تجاوبها كلاب الاقارب
وقال احيحة بن الجلاح ٥ ما احسن الجيد من مليكة واللبات اذ زانها ترائبها •
يا ليتني عندها اذا هجع الناس ونام الكلاب صاحبها • وقلت في الكلب قذره في نفسه
واقذاره اهله بكثرة سلاحه وبوله على انه لا يرضى بالسلاح على السطوح حتى يحفر
براثنه وينقب باظفاره وفي ذلك التخريب ولو لم يكن الا انه يكون سبب الوكف وفي
الوكف من منع النوم ومن افساد المتاع ما لا يخفى مكانه مع ما فيه من عض الصبيان وترويع
الولدان وشق الثياب والتعرض للزوار ومع ما في خلقه ايضا من الطبع المسند على الصبيان الى الحرمه

ووجهه وتهييجه بالعبث به ويكون ذلك سببا لعقرهم والوثوب عليهم وقلت وبئس
الشيء هو في الدار وفيه الحرم والازواج والسراري وحظيات المعشقات وذلك ان ذكره ابدا
ظاهر يجم وهو اما منعظ واما قايم وليس معه ما يواريه وربما انتشط وانعظ بحضرتهن ولعلهن
ان يكن مغيبات او محتاجات الى ما يحتاج اليه النساء عند غيبة فحلهن او عجزه عن ان
يشغبهن وقد رمى ضابئ بن الحارث البرجمي ام اناس من العرب ان الكلب الذي كان يسمى
قرحان كان يأتي امهم حتى استعدوا عليه وحبسه في ذلك عثمان بن عفان ولولا ان المعنى
الذي رماهم به كان مما يكون ويجوز ويخاف مثله لما بلغ به عثمان ما بلغ حتى مات في حبسه
وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث • تجشم دوني وفد قرحان شقة • تظل بها الوجناء وهي حسير
فزودتهم كلبا فراحوا كانما • حباهم بتاج المرزبان امير • فامكم لا تتركوها وكلبكم
فان عقوق الوالدات كبير • اذا عثنت من اخر الليل دخنة • يبيت له فوق الفراش هرير
وزعم السقطري انه ابصر رجلا يكوم كلبة من كلاب الرعاء ومن تلك الزرب العظام في ثغرها
والثغر منها ومن سبع كالحر للمراه والظبية من الاتان والحجر والحيا من الناقة والشاة فزعم
انها لم تعقد عليه ولا يدري امكنته ام اغتصبها نفسها فاما الناس فمن ملح احاديثهم ان
رجلا اشرف على رجل وقد ناك كلبة فعقدت عليه فبقي اسيرا مستجيرا بيده ورجله وهو ما دار
فالتجأ به الرجل اضرب جنبها فضرب جنبها فاطلقته فرفع راسه اليه فقال اخزاه الله
اي نياك كلبات هو وخبرني من لا ارد خبره انه اشرف من سطح له قصير لحايط فاذا هو
بسواد في ظل القمر في اصل حايط واذا انين كلبة فراى راس انسان يدخل في القمر ثم يرجع الى
موضعه من ظل القمر فتامل انسان في ذلك فاذا هو حارس ينيك كلبة قال فوجيته واعلمته اني
قد رايته فصبحني من الغد بقرع الباب علي فقلت ما حاجتك وما جاء بك فلقد ظننت انك ستركب
البحر او تمضي على وجهك الى البرية فقال جعلت فداك اسالك ان تستر علي ستر الله
عليك وانا اتوب على يديك قال فقلت ويلك فما اشتهيت من كلبة قال جعلت فداك
كل رجل حارس ليست له زوجة ولا عيال فهو ينيك اناث الكلاب اذا لم يكن عظام الاجسام
قال فقلت فما تخاف ان تعقد قال لو رام ذلك منها غير الحارس التي هي له وقد بانت معه

فادخلها

فادخلها في كسايه في ليالي البرد والمطر لما تركته وعلى انه ان اراد ان يوعبه كله لم تستو
له قال وسالت ان اسايله هل تعقد على ايور الناس كما تعقد على ايور الكلاب قال
حلقتها بعد ثلثين سنة فاكثه فقال لا ادري لعلها لا تعقد عليه لانه لا يدخله فيها الى
اصله ولعل ذلك ايضا انما هو شيء يحدث بين الكلبة والكلب فاذا اختلفا لم يقع الالتحام
قال قلت اطيب هو قال قد نكت عامة اناث الحيوانات فوجدتهن كلهن اطيب من النساء
قال قلت وكيف ذلك فقال ماذاك الا لشدة الحرارة قال فطال الحديث حتى انس فقلت له
فاذا دار الماء في حلقك ووثب الفزاع فربما التزمت الكلبة فقال اما ان الكلاب اطيب شيء
افواها واعذبه ريقا ولكنها لا تمكن ان انيكها من قدام ولو قد هببت ان انيكها من خلف
وثنيت راسها الي واهويت لتقبيلها لم امن ان تظن اني اريد بها غير ذلك فتكدم في
وجهي قال فقلت فاني اسالك بالذي يستر عليك هل نزعت عن هذا العمل مذ اعطيتني
صفقة يدك بالتوبة قال ربما حننت الى ذلك فاحتبس بعهدك قال قلت وانك لتحن اليها
قال والله اني لاحن اليها ولقد تزوجت بعدك امراتين ولي منهما رجال ونساء وما
تفقد شيئا لم يكد يصبر عنه قال فقلت له هل تعرف القوم في الحارس من نيك الكلبات
قال نعم حدثني محمويه الاعور وحدثني بحارس وحدثني الشاه وحدثني حاسبا الحمامي
فان فارسا كان حارسا وكان قيم حمام وكان حلقيا فزعم انه ناك الكلاب خمسين سنة
وشاخ وهزل وقبح ونتن حتى كان لا ينيكه احد قال فلم يزل يحتال لكلب عنده حتى
ناكه فكان معه يجيز حتى قتله اللصوص ثم اشرف على فارس هذا المحتسب الاحدب
وهو ينيك كلبة فرماه بحجر فدمغه قال فالكلاب كما ترى تتهم بالنساء وينيكها
الرجال وتنيك الرجال وليس شيء احق بالنفي والابعاد والاطراد وبالقتل منها وتخف
من السباع العادية الوحشية في راحة الا في العرض فان لها عراما على بعض الماشية وحنانهم
على شدادي بلده وكذلك البهايم وما عسى ان يبلغ من وطي بعير ونطح كبش او جمش
سنور او رمح حمار ولعل ذلك يكون في الدهر المرة والمرتين ولعل ذلك ايضا لا ينال
الا عبدا او خادما او سايسا وذلك محتمل والكلاب مع هذه الافات شركاء الناس

في دورهم وابا ليهم **قال صاحب الكلب** ان كنتم الى الاذى بالسلاح تذهبون
والى قشر طين السطوح بالبراثن تميلون والى نتن السلاح وقذر المأكول والمشروب
تقصدون فالسنور اكثر في ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هن من
الطوافات عليكم فاذا كان ذلك من السنانير مغتفرا لانتفاعهم بها في اكل الفار فمنافع
الكلاب اكثر وهي بالاغتفار احق وفي اطلاق ذلك في السنور دليل على انه في الكلاب
اجوز واما ما ذكرتم من السفاد فلعمري ما ينبغي للغيور ان يقيم الفرس ولا البرذون
ولا البغل ولا الحمار والتيس في المواضع التي يراها النساء والكلب في ذلك احسن حالا وقد
كره ناس ادخال فحلان لهم الحمام والديكة والدجاج والبط خاصة لان له عند السفاد
قبائح تظهر وكذلك التيس من الظباء يجري في وجوه كثيرة وعلى ان للحمام خاصة
من الاستثارة والكسح بالذنب والتقبيل الذي ليس للناس مثله ثم التفتل والتغزل والتنفش
والابتهاج بما يكون منه عند الفراغ وركوب الانثى للذكر وانها لتعرض ذكرها بكون اهيج
للنساء مما ذكرتم فلم افردتم الكلب بالذكر دون هذه الاشياء التي اذا عاينت امراة من
واحدها حقرت بعلها او سيدها ولم يزل ظل ذلك العمل يعارضها في النوم وينبهها
ساعة الغفلة ويحدث لها التمني لما لا تقدر عليه والاحتقار لما تقدر عليه وتركتم ذكر
ما هو اجل واعظم الى ما هو اخس واصغر فان كنتم انما تذهبون من التشنيع عليه الى ما يعتري
من الحيا عند العبث والتعرض والتمكك والتهييج والتحريش فلو ان الذي
باي حبا تكم الى الكلب من الالحاح باضعاف العبث والحيا اقبح الخلق واقلهم سماحة
اشتروه بالاحنف بن قيس وقيس بن عاصم بل حاجب بن زرارة وحصن بن حذيفة
لحجوا الى اقبح ما يحتج اليه الكلب ومن ترك منكم الاحتفوق بدابته فهو احق بالملامة
وبعد فما وجدنا كلبا وثب على صبي يعرفه من تلقاء نفسه وانه ليتردد عليه ويعه
في المهد وهو لحم على وضم فلا يشمه ولا يدنو منه وهو اكثر خلق الله شما واسترواحا
وما في الارض كلب يلتقي كلبا الا شم كل واحد منهما است صاحبه ولا في الارض
مجوسي يموت فيخرج على موته ويحمل الى الناووس الا بعد ان يدني منه كلب يشمه فانه

لا يخفى

لا يخفى عليه في شمه عند شمه احي هو ام ميت للطافة حسه ولانه لا ياكل الاحياء فاما
اليهود فانهم يتعرفون ذلك من الميت بان يدهنوا استه ولذلك قال الشاعر وهو
يرمي ناسا بدين اليهودية • اذا مات منهم ميت مسحوا استه • بدهن وحفوا حوله بقدام •
وقالوا فاذا ذكرتم جنايات الكلب فواحدة من جنايات الديكة اعظم من جميع جنايات
الكلاب لان عبد الله بن عثمان بن عفان من بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مات من نقر
ديك كان في دار عثمان نقر عينه فكان سبب موته فقتل الديك لعترة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعظم من كبيرها تستعظمونه من جنايات الكلاب وقد نقر ديك عين ابي
هشكة بن عباد او عين ابن اخته ونقر عين ابن الريان بن ابي السمح وهو في المهد فاعور
ثم ضربته الحمرة فمات ووثب ديك فضرب بصيصته في عين تبيع لثمامة بن اشرس
قال ثمامة فاتاني الصريخ فوالله ما وصلت اليها حتى ظهر وجهها كله واسود الانف
والوجنتان وغارت العينان وكان شان هذا الديك فيما زعم ثمامة عجبا من العجب ذكر ان
رجلا ذكر ان ديكا عند بقال لهم يقاتل به الكلاب قال فاتيت البقال الذي الديك عنده
فسالته عن الديك فزعم انه قد وجه به الى قتال الكلاب وقد تراهنوا في ذلك فلم ابرح
حتى اشتريته وكنت اصونه وجعلته في مكنة فاخرجوه يوما لبعض مصلحته واقبلت بنيتي
هذه لتنظر اليه فكان يهاجن الى منه قال وديك آخر اقبل الى راس زيد بن علي وهو
ملقى في صحن دار يوسف بن عمر حتى وطئ في ذوابته ثم اقبل ينقر دماغه وعينيه فقال
رجل من قريش لمن حضر ذلك من الخدم • اطردوا الديك عن ذوابة زيد • طالما كان
لا تطاه الدجاج • والكلب ان كان كما تقولون فان بداله تنبح والاخرى تانس ابرا ما يدفع
بحراسته ويجلب من المنافع بجمع اكثر واعم وبه العامة المغمورة والغامر لا المغمور
والديك يفقا العيون وينقر الادمغة ويقتل الانفس ويشج ولا يانس فتشره صرف
وجزء ممزوج الا ان تزعمون انه يحرس من الشيطان فيكون هذا من القول الذي
يحتاج الى البرهان ومن عارض منافع الكلب وحراسته لاموال الناس من اللصوص
ومنع السباع من الماشية وموضع نفعه من المزارع وذلك عيان ونفعه عام وخطبه عظيم

بما يدعى من هواتف الديكة للشياطين لم يكابل ولم يوازن ولم يعرف المقابلة ولا
وقف قط على معنى المقابلة ودل ذلك على ان مبلغ رايه لا يجوز راى النساء ويكون
العواء للكلب والذيب والعضل وقال الحطيئة ٭ الم اك جاركم فتركتموني ٭
لكلبي في دياركم عواء ٭ وقال الشاعر ٭ واني امرؤ لا تقشعر ذوائبي ٭ من الذيب يعوي والغراب المحجل
وقال آخر ٭ ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ٭ ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه ٭ لينبح كلب او ليفزع نوم ٭ فجاوبه مستسمع الصوت للقرى
له مع اتيان المهبين مطعم ٭ يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا ٭ يكلمه من حبه وهو اعجم
وقال ذو الرمة ٭ به الذيب محزونا كان عواءه ٭ عواء فصيل آخر الليل محثل ٭
وقال آخر ٭ ومنهل طامس اعلامه ٭ يعوي به الذيب وتزقو هامه ٭
وقال عقيل بن علفة يهجو زبان بن منظور ٥ لا بارك الله في قوم يسودهم
ذيب عوى وهو شد وعلى كبر ٭ لم يبق من عارنا الا شرارهم ٭ فرق الخصي فوق زبان بن منظور
وقال غيلان بن سلمة ٥ ومعرس حتى العشاء به الحبس فالابواء فالعجل
قد بته وهنا وارقني ٭ ذيب الفلاة كانه جزل ٭ فتركته يعوي بقفرته
ولكلاب قفرة شكل ٭ بتنوفة جرداء يجزعها ٭ لحب يلوح كانه سحل
وقال مغلس بن لقيط ٭ عوى منهم ذيب فطرب عاويا ٭ على محلبات سنتار يحبها
اذا هن لم يحمين من ذي قرابة ٭ دعا هلكه احسابها ولحومها ٭ وقال الاحيمر السعدي
عوى الذيب فاستانست للذيب اذ عوى ٭ وصوت انسان فكدت اطير ٭ وقال ٥
وعاو عوى والليل مستحلس الندى ٭ وقد زحفت للغور تالية النجم ٭ وذلك ان الرجل
اذا كان باغيا او زائرا او ممن يلتمس القرى ولم ير بالليل نارا عوى ونبح لتجيبه الكلاب
فيهتدي بذلك الى مواضع الناس قال الشاعر ٥ ومستنبح اهل الثرى يلتمس القرى
الينا ودوناه من الارض نازح ٭ وقال عمرو بن الاهتم ٭ ومستنبح بعد الهدو دعوته
وقد حان من ساري الشتاء طروق ٭ وهذا في عواء العضل والذيب والكلب

وقال صاحب الكلب وما قالوا في انس الكلب والفه وحبه لاهله ولمن احسن به

فقر

قال ابن الطثرية ٭ يا ام عمرو انجزي الموعودا ٭ وارعي بذاك امانة وعهودا
ولقد طرقت كلاب اهلك بالضحى ٭ حتى تركت عقورهن رقودا ٭ يضربن بالاذناب من فرح بنا
متوسدات اذرعا وخدودا ٭ وقال الآخر ٭ لو كنت احمل خمرا يوم زرتكم
لم ينكر الكلب اني صاحب الدار ٭ لكن اتيت وريح المسك يفغمني ٭ والعنبر الورد اذكيه على النار
فانكر الكلب ريحي حين ابصرني ٭ وكان يعرف ريح الزق والقار ٭ وقال القيسي في الالف
وهو يمدح مالك بن حمار الشمخي ٭ سامدح مالكا في كل ركب ٭ لقيتهم واترك كل رذل
فما انا والبكارة من مخاض ٭ عظام جلة سدس وبزل ٭ وقد عرفت كلابهم ثيابي
كاني منهم ونسيت اهلي ٭ نمت بك من بني شمخ زناد ٭ لها ما شئت من فرع واصل
وقال الشاعر في انس الكلاب والفها يذكر رجلا ٥ عنيف بتسواق العشار ورعيها
ولكن بترقام الثريد رفيق ٭ سيندي ظلا الكلب بضيع ثوبه ٭ له في ديار الغانيات طريق
وقال الآخر ٭ بات الحويرث والكلاب تشمه ٭ وسرت بابيض كالهلال على الطوى
وقال ذو الرمة ٭ رايتني كلاب الحي حتى عرفنني ٭ ومد نسوج العنكبوت على رحلي
وقال حسان بن ثابت ٭ اولاد جفنة حول قبر ابيهم ٭ قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه نقية حجزاتهم ٭ شم الانوف من الطراز الاول ٭ يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسالون عن السواد المقبل ٭ وفي هذا المعنى قال الشاعر ٥
وبوات بيتك في معلم ٭ رحيب المباءة والمسرح ٭ كفيت العفاة طلاب القرى
ونبح الكلاب لمستنبح ٭ ترى دعس آثار تلك المطي ٭ اخاديد كاللقم الافيح
ولو كنت في نفق رائغ ٭ لكنت على الشرك الاوضح ٭ وفي مثل ذلك وليس في ذكر
الف الكلاب ولكنه مما ينبغي ان يكون مجموعا الى هذه الاشعار وبك الى ذلك حاجة
قال امية بن ابي الصلت ٭ لا الغيابات منتواك ولكن ٭ في ذرى مشرف القصور ذراكا
وقال المرار الحماني في المعنى الاول ٥ الف الناس فما ينبحهم ٭
من اسيف يبتغي الخير وحر ٭ وقال عمران بن عصام ٭ لعبد العزيز على قومه
وغيرهم منن غامره ٭ فبابك الين ابوابهم ٭ ودارك ماهولة عامره ٥

وكلبك انس بالمعتفين • من الام بابنتها الزايره • وكفك حين ترى السايلين
اندى من الليله الماطره • فمنك العطاء ومنا الثناء • بكل محبرة سايره
وقال هلال بن خثعم ٥ انى لعف عن زيارة جارتى • وانى لمشنوء الى اغتيابها
اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها • زوورا ولم تأنس الى كلابها • وما انا بالدارى احاديث سرها
ولا عالم من اى حوك ثيابها • وان قراب البطن يكفيك ملؤه • ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
وقال حاتم الطائى وهو حاتم بن عبد الله ويكنى ابا سفانه وقد كان اسره ثور بن شحمه
العنبرى مجير الطير ٥ اذا ما بخيل الناس هرت كلابه • وشق على الضيف الغريب عقورها
فانى جبان الكلب بيتى موطاء • جواد اذا ما النفس شح ضميرها • وان كلابى قد اقرت وعودت
قليل على من يعترينا هريرها • وقال صاحب الكلب ان كثيرا من هجاء الكلب ليس
يراد به الكلب وانما يراد به هجاء رجل فيجعل الكلب صلة فى الكلام ليبلغ ما يريد من شتمه
وهذا ايضا مما يرتفق الناس به من اسباب الكلاب وذلك قول الشاعر ٥
من دون سيبك لون ليل مظلم • وحفيف نافجة وكلب موسد • وابوك محتمل عليك ضغينة
وسيف قومك لايم لا يحمد • والضيف عندك مثل اسود سالخ • لا بل احبهما اليك الاسود
فهذا قول الشاعر وقال الاخر • وما يك فىّ من عيب فانى • جبان الكلب مهزول الفصيل
فلو لم يرد مدح الكلب بالجبن وانما اراد نفسه حين قال وحفيف نافجة وكلب موسد
فان كان الكلب انما اسده اهله فانما اللوم على من اسده وانما هذا العرض كقوله ٥
قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم • قالوا لامهم بولى على النار • ومعلوم ان هذا لا يكون
ولكن حقرامرهم وصغرهم وقال ابن هرمه ٥ واذا تنور طارق مستنبح
نبحت فدلته على كلابى • وقال ابن سهيه • جلبنا الخيل من شعبى تشكى
حوافرها الدوابر والشورا • فلما ان طلعن بعين جعدى • واهل الجوف ان قتلوا غرورا
ولم يك كلبهم لينبح حتى • يهارش كلبهم كلبا عقورا • ومعلوم ان هذا انما هو
مثل وقال اعرابى • اخو شقة يشاقه المجد قصده • الى اهله او ذمة لا تخفر
حبيب الى كلب الكريم مناخه • كريه الى الكوماء والكلب ابصر • وقال ابن هرمه •

درهم

وترحة من كلاب الحى يتبعها • شحم يزف به الراعى وترعيب • فهذا قول هؤلاء وقال الاخر
ويكعم كلب الحى من خشية القرى • ونارك كالعذراء من دونها ستر • وقال الاخر
ضمنا عليه وهو يكعم كلبه • دع الكلب ينبح انما الكلب نابح • وقال اعشى بنى تغلب
اذا اصلت معوية بن عمرو • على الاهواء خنقة الكلاب • فالكلب مرة مكعوم ومرة
مخنوق ومرة موسد ومحوش ومرة يجعله جبانا ومرة وثابا كما قال ابن اعيا فى الحطيه
الا قبح الله الحطيه انه • على كل ضيف ضافه هو سالح • دفعنا اليه وهو كخنق كلبه
الا كل كلب لا اباك نابح • بكيت على زاد خبيث قريته • الا كل عبسى على الزاد نابح
وقال الفرزدق • ولا تنزع الاضياف الا الى فتى • اذا ما ابى ان ينبح الكلب اوقدا
وقال الاخر • دع الكلب ينبح انما الكلب نابح • وقال الاخر •
الا كل كلب لا اباك نابح • ثم قال الفرزدق • اذا ما اراد ان ينبح الكلب اوقدا
ويتمهار الكلب بابى النباح فهذا يدل على انهم يشتغلون بذكر الكلب ويرتفقون به
لا على ان هذا الامر الذى قد ذكروه قد كان على الحقيقه وقال اخر وهو جرير ٥
لو كنت فى نجران او بعمانه • اذا لاتانى من ربيعة راكب • يثير الكلاب اخر الليل وطوه
كف الغواة خطوه متقارب • فبات بمبنا الربيع وصوبه • وينظر من لقاعه وهو كاذب
فذكر تقارب خطوه واخفاء حركته وانه مع ذلك قد اثار الكلاب من اخر الليل وذلك
وقت نومها واحرها وهذا يدل على تيقظها ودقة حسها وفيما ذكروا من حال الكلب
لسب الغارس البرد والذى يلقى وكيف الشان فى ذلك وقال اعشى باهله ٥
واجحر الكلب مبيض الصقيع به • وانجاه الحى من شفانه الجحر • وقال الحطيه •
اذا اجحر الكلب الصقيع اتينه • بانباج لا حور ولا قفرات • وقال ابن هرمه •
وسل الجار والمعتقب والاضياف وهنا اذا تحبوا الدنيا • كيف يلفوننى اذا نبح الكلب
وراء الكسور نبحا خفيتا • ومشى الحالب المبس الى الناب • فلم يقر اصغر الحى ريثا
لم تكن هارجية من تراث • حادث بل ورثت ذاك عليا • وقال الاعشى ٥
وتبرد برد رداء العروس • فى الصيف رقرقت فيه العبير • وتسخن ليلة لا يستطيع

بناحا بها الكلب الاهر يرا • وقال الهذلي • وليلة يعطلي بالفرث جازرها
نخص بالنوى المثرين داعيها • لا ينبح الكلب فيها غير واحده • من الشتاء ولا تسرى اباعيها
وقال الفرزدق • اذا احمر افاق السماء وهتكت • كسور بيوت الحي نكباء جرجف
وجاء قريع الشول بعد اقالها • يرف وجاءت خلفه وهي زحف • وهتكت الاطناب كل ذفرة
لها تامك من عاتق النيء اعرف • وباشر راعيها الصلا بلبانه • وكفيه حر النار ما يتحرف
وقاتل كلب الحي عن نار اهله • ليربض فيها والصلا متكنف • واصبح مبيض الصقيع كانه
على سروات البيت قطن مندف

باب احتجاج صاحب الكلب بالاشعار المعروفه والامثال السايره والاخبار الصحيحه والاحاديث المانوره وما وجد العارب فيها وما استخرجت التجارب منها من اصناف المنافع والمرافق فوق مواضع اخلاقها المحموده وافعالها المراده ومبتداء بقول العرب ان دماء الملوك شفاء من الكلب وداية ثم نذكر الابواب التي قدمنا في صدر الكتاب قال بعض المدنيين ٥

ارى الخلان بعد ابي عمير • بحجر في لقايهم جفاء • من البيض الوجوه بني سنان
لو انك تستضي بهم اضاوا • لهم شمس النهار اذا استقلت • ونور ما يغيبه العماء
بناه مكارم وشفاء داء • دماوهم من الكلب الشفاء • وقال الفرزدق ٥
من الدارمين الذين دماوهم • شفاء من الداء المجنة والخبل • وقال عبد الله بن قيس الرقيات
عاد لي الشكر فاشتفيت كما • تشفي دماء الملوك من كلبه • وقال ابن عباس الكندي
لبني اسد قتلتم حجرا ربهم • عبيد العصا جيتم بقتل ربكم • تراقون تامورا شفاء من الكلب
وقال الفرزدق ٥ ولو تشرب الكلبى المراض دماينا • شفتها وذو الخبل الذي هو ادنف
وذلك انهم يزعمون ان دماء الاشراف والملوك تشفي من عضة الكلب وتشفي من الجنون
كما قال الفرزدق ٥ ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا • وقال عصام المري وبنو جاهل
وداويته مما به من مجنة • دم ابن النهال والنطاسي واقف • وقد رتد دهاتمه جده
وليس لشي كاده الله صارف • وقال اصحابنا يزعمون ان قولهم دماء الملوك شفاء
من الكلب على معنى ان دم الكريم هو الثار المنيم وان داء الكلب على معنى قول

الشاء

الشاء ٥ كلب من جس ما قدمه • واقا بني قواد المحنلم • وعلى مثل قولهم
كلب بضرب جماجم ورقاب • واذا كان الغيظ والغضب فادرك ثاره فذلك هو الشفاء من
الكلب ليس ان هناك دم في الحقيقة يشرب وقول عصام المري يرد عليهم حيث يقول ٥
وداويته مما به من مجنة • دم ابن الكهال والنطاسي واقف • ولو لم يقل واقف كان ذلك
التاويل جايزا وفي الكلب يقول الاعشى ٥ اناني وعم ابنما دقهنيم فلم يبق الا الا جن وكلبا
الا ترى انه قد قال وفرق بينهما ولو كان كما قال لبيد ٥ سعى خزيمة في قوم ليهلكهم •
على الحمالة بل بالمرء من كلب • كان ذلك على تاويل ما ذهبوا اليه جايزا قال صاحب الكلب
زعمتم انه يبلغ من فضل قوة طباع الديك في الالقاح انه متى سفد دجاجة قد احتشت
بيضا صغارا من نتاج الريح والتراب قلبها كلها حيوانا ولو لم يكن سفدها الا مرة واحدة
وجعلتموه بذلك في غاية الفحوله فطباع الكلب اعجب القاحا وانفذ لان الكلب اذا عض انسانا
فاول ذلك انه يحبله بناجا مثله وينقله الى طباعه فصار ينبح ثم يحبله ويلقحه بجراء صغار
يبولها علقا في صورة الكلاب على بعض العشرين والطبعين والجنين والذي يتولد
من ارحام الدجاج وهو من بيض الريح والتراب على حال اقرب مشاكلة الى طباع الديك
فالكلب اقرب مشاكلة واعجب لانه احبل ذكرا من خلاف جنسه ولانه مع الاحبال والالقاح
احاله نباحا مثله فتلك الادرحص وتلك الكلاب الصغار اولاد ونتاج وان كانت لا تبقى
فان اللقاح قد يقع وانما منع البغل من البغلة بهذه العلة قال ابو اليقظان وغيره
كان الاسود بن اوس بن الحمره لقي النجاشي ومعه امراته وهي بنت الحارث احد بني عامر بن
عبيد بن ثعلبة فقال النجاشي لاعطينك شيا تستشفى به من داء الكلب فاقبل حتى اذا
كان ببعض الطريق اتاه الموت فاوصى امراته ان تتزوج ابنه قدامة بن الاسود وان تعلمه دواء
الكلب ولا يخرج ذلك منهم الى احد فتزوجته نكاح مقت وعلمته دواء الكلب فهو الى اليوم
فيهم فولد الاسود قدامة فحمل حامد ابنه الحارث فكان محل يداوي من الكلب فولد محل
عقبة وعمر فداوى ابن المحل حبيب بن مرداس وهو ابن قنوة اثنا عشر من الكلب
وانا رشل اجاد الكلب علقا ومثل الادراص فقال ابن حسوه حين براء ٥

ولولا دواء ابن المحل وعلمه ● هررت اذا ما الناس هرت كلابها ● واخرج عبد الله اولاد زارع
مولعة اكتافها وجنابها ● واولاد زارع اولاد الكلب واما قوله ولولا دواء ابن محل
فانما ذهب الى ان الذي يعضه الكلب ينبح نباح الكلب ويهر هريره وقال محمد بن حفص وهو
ابو عبد الله محمد بن عايشة عض رجلا من تغلب كلب فاصابه داء الكلب فنبح علقا
في صورة الكلب فقالت ابنة المستنير في ذلك ٥ ابالك ادركها ولاد زارع
وتلك لعمري بهجة المتعجب ● وحدثني ابو الصهباء عن رجال من بني سعد فيهم عبد الرحمن بن
شبيب قالوا عض بجيرا الكلب فكان يعطش فيطلب الماء باشد الطلب حتى اذا اتوه به
هاج عند معاينته لا لا اريد وهكذا يصيب صاحب تلك العضة وذلك يعطش عندها
اشد العطش ويطلب الماء اشد الطلب فاذا اتوه به هرب منه اشد الهرب فقال
دلم عبد لبني سعد ● لقد جئت يا بجير اداء فلقة ● اباءك للشيء الذي انت طالبه ●
وهي ابيات ولم احفظ منها غير هذا البيت وذكر مسلمة بن محارب وعلي بن محمد عن رجاله
ان زيادا كتب دواء الكلب وعلقه على باب المسجد الاعظم ليعرفه جميع الناس وانا حفظك الله
رايت كلبا مرة في الحي ونحن في الكتاب فعرض لصبي يسمى مهدي من اولاد القصابين
وهو قايم يحول لوحه فعض وجهه فنقع نقبة دون موضع اللحم من عينه اليسرى فجذف اللحم
الذي دون العين الى شطر خده فرأيناه منقلبا على شدقه وجانب وجهه وتركه ففلته
صحيحه وخرج منه من الدم ما ظننت انه لا يعيش بعده وبقي الغلام مبهوتا لا ينبس
واسكته الفزع وبقي طاير القلب ثم خيط ذلك الموضع ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد الى
الكتاب ليس في وجهه من الشين الا موضع الخيط الذي خيط فلم ينبح الى ان بلغ ولا هر
ولا دعي بداء ولا صاح ولا بال علقا ولا اصابه ما يقولون قليل ولا كثير ولم اجد احدا
من اولئك المشايخ يشك انهم لم يروا كلبا قط اكلب ولا افسد طبعا منه فهذا الذي قد
كتبته لك وفي الكلب انشدنا ابن الاعرابي ٥ حياكم الله فاني منقلب ●
وانما الشاعر مجنون كلب ● اكثر ما ياتي فيه الكذب ٥ وانشدنا ٥
فان كنتم كلبى فعندي شفاؤكم ● وفي الجن ان كان اعتراك جنون ● وانشد ●

وما ادري

وما ادري اذا لاقيت عمرا ● اكلبى آل عمرو ام صحاح ● قال فاما المكلب فالذي يصيب
كلابه داء في رؤوسها يسمى الجحام فيكوى اعينها وسنذكر مسئلة الكلب وانما نذكرها لكثرة
من يعترض في هذه الاية ممن ليس له علم باللغة ولو كان اعلم الناس بالكلام فلم ينبغ
في الدين حتى يكون عالما باللغة وقد اعترض معترضون في قوله تعالى واتل عليهم نبأ
الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا
لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ولم يذكر غير ذلك بالكلب الذي
ان حملت عليه نبح وولى ذاهبا وان تركته شد عليك ونبح مع ان قوله يلهث لم
يقع قوله من موضعه وانما يلهث الكلب من عطش شديد او من حر شديد فاما النباح
والصياح فهو شيء اخر قلنا انه قال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فقد يستقيم ان يكون
المراد لا يسمعه كذابا وانه يقال لهم كذبوا الا وقد كان ذلك منهم مرارا فان لم يكن ذلك فليس بعيد
ان يشبه الذي اوتي الايات والاعاجيب والبرهانات والكرامات في حرصه عليها
وطلبه لها بالكلب في حرصه وطلبه فان الكلب يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حال
من الحالات وشبه رفضه وقذفه لها من يديه ورده لها بعد الذي من عليها وفرط الرغبة
فيها بالكلب اذا رجع ينبح بعد اطرادك له وواجب ان يكون رفض قبول الاشياء
الخطيرة النفيسة ان يكون في الوزن لطلبها والحرص عليها والكلب اذا اتعب
نفسه في شدة النباح مقبلا اليك ومدبرا عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند
التعب والعطش وعلى انا ما نرى بابصارنا الى كلابنا وهي رابضة وادعة الا وهي
تلهث من غير ان يكون هناك الا حاره اجوافها التي طبعت عليه من شانها الا ان لهث
الكلب يختلف في الشدة واللين قال صاحب الكلب ليس الديك من الكلاب في شيء
الكلاب ذوات الاسماء المعروفة والالقاب المشهورة ولكرامها وجوارحها وكواسبها
واحرارها وعتاقها انساب قائمة ودواوين مخلدة واعراق محفوظة ومواليد محصاة
ككلب جدعان وهو كسهب بن البراق بن يحيى بن وثاب بن مطلوب بن محارش وقد

ذكرت العرب اسماء بها فانشا بها قال مزرد بن ضرار ٭ كنعت صباحي طويل شقاوه ٭
له رقميات وصقوا ذابل ٭ بعين له ما تشتري واكلب ٭ تغلغل في اعناقهن السلاسل ٭
سخام وبعلا اللعص وكسب ٭ وجرلا وكرهان والمسائل ٭ بنات سلوقيين كانا حيوته ٭
فماتا فاودى شخصه فهو خامل ٭ واتيقن اذ ماتا بجوع وحنيبه ٭ وقال له الشيطان انك عايل ٭
فطوف في اصحابه يستثيبهم ٭ فاب وقد اكرت عليه الحبايل ٭ الى صبيه مثل المعالي وحرمل ٭
رقود ومن شر النساء الحوامل ٭ فقال لها هل من طعام فانني ٭ اذم اليك الناس امك ثاكل ٭
فقالت نعم هذا الطوى وماؤه ٭ ومحترق من حايل الجلد قاحل ٭ فلما تناهت نفسه من طعامه ٭
وامسى طليحا ما يعانيه باطل ٭ تغشى يريد النوم فضل ردايه ٭ فاعيى على العين الرقاد البلابل ٭
فتفكر في هذا الشعر وتوقف عند فصوله حتى تعرف غناء الكلب عنهم وكسبه عليهم
وموقعها منهم وقال لبيد في ذكرها وذكر اسمايها ٥ لتذود هن وايقنت ان لم تذد
ان قد احم مع الحتوف حمامها ٭ فتقصدت منها كساب وضرجت ٭ بدم وغودر في المكر سحامها
وفي عادة الشعرا اذا كان الشعر مرثية او موعظة ان تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش
واذا كان الشعر مديحا فقال كان ناقتي بقرة من صفاتها كذا ان تكون الكلاب هي المقتولة ليس
على ان ذلك حكاية عن قصة بعينها ولكن الشعراء ربما جرحت الكلب وربما قتلته
واما في اكثر ذلك فان تكون هي المصطاده والكلاب هي السالمة الظافرة وصاحبها الغانم
وقال لبيد في هذا القول الثاني غير قوله الاول وذلك على معنى ما فسرته لك وذكر
اسمايها فقال ٥ فاصبح والتقى الضاب وهاجه ٭ اخو قفرة يسلى وكاها سابلا
ومن اسمايها على لهادت براقش ٭ ومن اسمايها قول الاخر ٭ سرت قعلب لها هج فترقت
فذكرت دين بترقعه ضارا ٭ وضار اسم كلب وقال الكميت الاسدي ٥
فبات وباتت عليه السماء ٭ من كل جانبها تهطل ٭ مكبا كما احتبى المالكي
على النصل اذ طبق المفصل ٭ ثم ذكر اسماء الكلاب فقال ٥
وفي ظنه خففه ترى حقفه ٭ خطاف وسرحه والاجدل ٭ واربعه كغراج انشراء
لا عانيات ولا عبتل ٭ وقال ٥ تبنا وبات جليد الليل يضربنا ٭
بين

بين البيوت قرا ينبح دوراس ٭ اذا ملابطنه الباقها حلبا ٭ باتت تغنيه وطا الحارس
دوراس اسم الكلب والوطاء اسنده وغناوها الضراط وقال هاني بن توبة ٥
فصبحته عند شروق غدية ٭ اخو قنص يشلي عطافا واجدلا ٭ وقال ابو محجن ٥
وقد نزلت بدم فدام وقد ٭ اوفى اللحاق وحان مصرعه ٭ وقال الاخر ٥
ولو هيا له الله من التوفيق اسبابا ٭ لسمى نفسه عمرا ٭ وسمى الكلب وثابا ٭
ومثل هذا كثير والكلب اشد ما يكون حرصا اذا كان خطمه بين عجب ذنب الظبي
والارنب والثور وغير ذلك مما هو بين يديه ولذلك قال الشاعر ٥
ربما اغدو ومعي كلبي ٭ طالبا للصيد في صحبي ٭ فسمونا للحزين به ٭ فدفعناه على الطب ٭
فاستدرته فدرلها ٭ يلطم الرفغين بالترب ٭ فاذا باوهي لاهية ٭ في جميم الحاذ والغرب ٭
فغواجاهن كما ٭ قد محلوالان من عطب ٭ غير يعفور اهاب به ٭ جاب دفيه عن القلب ٭
ضم لحييه بمخطمه ٭ ضمك الكرين بالشعب ٭ وانتحى للغاثيات كما ٭ كرت قبحاء من لهب ٭
فتعدى التيس حين حبا ٭ ودناه وه من الذنب ٭ ظل بالوعساء ينفضه ٭ ازمانه على الصلب ٭
تلك لذاتي وكنت فتى ٭ لم اقل من لذة حسبي ٭ فاما قوله غير يعفور اهل به فالاهلال
الذي ذكر هو شي يعتريه في ذلك الوقت يخرج من جوفه شبيه بالعواء الخفي وهو
بين العواء والانين وذلك من حاق الحرص وشدة الطلب وخوف الفوت وبقال اهلت
السماء واستهلت اذا ارتفع صوت وقعها ومنه الاهلال بالحج وقال ابن احمر ٥
يهل بالغد فد ركبانها ٭ كما يهل الراكب المعتمر ٭ ومنه استهلال الصبي قال
الاعرابي ارايت من لا اكل ولا شرب ولا صاح فاستهل اليس مثل ذلك يطل واذا
صنع الكلب وهو ان يمد ضبعيه كله ولا يكون كالحمار الضيق الابطين والكلب يحب
افتراش ذراعيه وبسط رجليه حتى يصيب قصه الارض اكثر من الفرس وغير ذلك
ما ينتشط اذنيه باظفاره حتى يدميها ولذلك قال يحيى بن هاني وقد كان نطاق مالقبها ٥
وانصاع كالكوكب في انكداره ٭ لفت المشير موميا بناره ٭ شدا اذا احصف في احضاره ٭
خرق اذنيه شبا اظفاره ٭ واول هذه الارجوزه ٭ لما غدا الثعلب من وجاره ٭

وانما كتبت لك رجزه في هذا الباب لانه كان عالما راوية وكان قد لعب بالكلاب زمانا
وعرف منها ما لا تعرفه الاعراب وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقصاة في اراجيـ
ـزه مع جودة الطبع وجودة السبك والحذق بالصنعة وان تاملت شعره فضلته الا ان
تعترض عليك العصبية او ترى ان اهل البدو ابدا اشعر وان المولدين لا يقاربونهم في شيء فان
اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا قال الحسن بن هانئ

لما غدا الثعلب من وجاره • يلتمس الكسب على صغاره • عارضته في سنن امتياره
بضرم يمرح في شواره • في خلق الصقر وفي اسواره • مضطمر القصرى من اضطماره
قد لحق التنهيم من اقطاره • من بعد ما قد كان من ضباره • لحظا كلحظ الحور من عشاره
ايام لا يحجب عن نظاره • وهو طلا لم يدن من اشفاره • في منزل يحجب عن زواره
يا اسى فيه ظرفي نهاره • حتى اذا احمد في انتياره • واض منه القلب من ابصاره
كان خلف مقلتي اشفاره • جمر غضى يدمن في استعاره • كان لحييه لدى افتراره
شك مسامير على طواره • يجمع قطريه من انضماره • وان تمطى ثم في اشتباره
عشر اذا قدر في اقتداره • سمع اذا استروح لم يجاره • الا بان يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انكداره • لفت المشير موهنا بناره • شد اذا احصف في احضاره
خرق اذنيه شبا اظفاره • حتى اذا ما انسام في غباره • عافره اخرق في عفاره
فتلتل المفصل من فقاره • وشق عنه جانبي صداره • ما فيه للثعلب من انكاره

وقال في كلب داود بن سليمان الهاشمي وكان الكلب يسمى زنبورا

اذا الشياطين رأت زنبورا • قد قلدا الحلقة والسيورا • دعت لخزان القرى ثبورا
او في ترى في شدقه تاخيرا • ترى اذا عارضته مغرورا • جناحا قد نبت سطورا
مشبكات تنظم الشذورا • احسن في تاديبه صغيرا • حتى توفى السنة الشهورا
من سنه وبلغ الشهورا • وعرف الايحاء والصفيرا • والكف ان تومي او تشيرا
يعطيك اقصى حضره المذخورا • شد اترى في ميمه الاظفورا • منتشطا من اذنه سيورا
ولا يزال والغا تامورا • من ثعلب غادره عقيرا • او ارنب حورها تحويرا

فامتع

فامتع الله به الاميرا • انا ولا زال به مسرورا • وقد قال كما ترى
شد اتراه في ميمه الظفورا • منتشطا من اذنه سيورا • فاما قوله • حتى توفى السنة الشهورا
من سنه وبلغ الشغورا • فان الكلب اذا شغر برجله وبال فذلك الدليل على تمام
بلوغه للالقاح وهو من الحيوان الذي يحتلم واما احتلام الغلام فمعروف بالبوس
منها انفراق الارنبة ومنها تغير ريح الابط ومنها الانبات ومنها غلظ الصوت
وفي الغلمان من لا يحتلم وفي الجواري جوار لا يحضن وذلك في النساء عيب وليس مثله
من الرجال وبعضهم من لا يحتلم الا مرة او مرتين وبعضهم من لا يحتلم البتة
وقد قال الحسن بن هانئ في مثل ذلك ارجوزة اخرى • يرى اذا كان الحداء غبطا
براثنا تحم الاشاقي ملطا • ينشط اذنيه بهن نشطا • وهذه الارجوزة اولها
اعددت كلبا للطراد سلطا • مقلدا قلائدا ومقطا • فهو لحم وحسب رهطا
ترى له سوقين حطا حطا • وملطما سهلا ولحيا سبطا • ذاك ومتنين اذا تمطى
قلت سراكان اجيد قطا • يرى اذا كان الحداء غبطا • براثنا تحم الاشاقي ملطا
ينشط اذنيه بهن نشطا • تخاله ما دمت منه شرطا • ما ان يمس الارض الا فرطا
كانما يعجل شيئا لقطا • اسرع من قول قطاه قطا • يجتاح خزان الصحاري لقطا
يلقين منه حاكما مشتطا • للعظم حطما والاديم عطا • وكثيرا اذا ارادوا سرعة
رفع القوائم قالوا يجمع التراب باطلاف ثمانية • في اربع مسهن الارض تحليل
فافرط المولدون في ذلك في صفة السرعة وقال شاعرهم وهو يحيى بن هانئ في صفة الكلب
ولعته • انعت كلبا اهله في كده • قد سعدت جدودهم بجده • فكل خير عندهم من عنده
يظل مولاه له كعبده • يبيت ادنى صاحب من مهده • وان عرى جلله ببرده
ذا غرة محجلا برنده • تلذ منه العين حسن قده • تاخر لحييه وطول خده
تلقى الظباء عنه من طرده • تشرب كاسا شدها في شده • يا لك من كلب نسيج وحده
وقال في صفاتها وسماتها وشياتها واسمائها والقابها ونعتها اربابها لها
كما ذكرنا مثل هذا فقال • قد اغتدي والطير في مثواتها • لم تعرب الافواه عن لغاتها

باكلب تمرح في قداتها * تعد عين الوحش من اقواتها * قد لوح التقريح واربابها
من شره التهييم واقتياتها * واشفق القانص من خفاتها * وقلت قد احكمها فتاتها
واذن للصيد معلماتها * وارفع لناسه امهاتها * فجاء يزجرها على شباتها
شم العراقيب موثقاتها * غر الوجوه ومحجلاتها * مشرفة الاكتاف موقداتها
قود الخراطيم مخرطاتها * كان اقمارا على لباتها * ترى على افخاذها سماتها
مسميات وملقباتها * مقدبات ومحميا تها * نزل الاواخر عملتاتها
معروشة الابدي شرنبثاتها * تسمع في الاثار من واحاتها * من نهم الصيد ومن خواتها
حتى ترى العذر على شفاتها * كشرق الصبغان من عقاتها * تقذف جالاها بجوزي شاتها
فقد قاد كماترى * تسمع في الاثار من وحاتها * من نهم الحرص ومن خواتها
وهذا هو معناه الاول واما قوله * تعد عين الوحش من اقواتها *
فعلى قول ابي النجم * تعد عانات اللوى من مالها * وزعموا ان قوله
كطلعة الاشمط من جلبابه * هو قول الاخر * كطلعة الاشمط من برد سمل *
وكقول الاخر * كطلعة الاشمط من كسايه * وقال ايضا *
لما تبدا الصبح من حجابه * كطلعة الاشمط من جلبابه * وانعدل الليل على ما به
هجنا بكلب طالما هجنا به * فرطه القانص واغتدى به * يعزه طورا على استصعابه
وانفاع للصوت الذي يعني به * كلمعان البرق في سحابه * كان عينيه لدى ارتيابه
فصا عقيق قد نقا بلا به * حتى اذا اعتوه هاها به * ناداه باه بعد ما نادى به
ينتسف المقود من جذابه * من مرح يعلوا اذا اعلولى به * وسبعة تغرف من شبابه
كان تنبيه لدى انسلابه * متناشجاج لحي انسيابه * كانما الاطفور في قنابه
موسى صناع رد في نصابه * يترك وجه الارض في لهابه * كان نشوا انا توكلنا به
يعفوا على ما جر من ثيابه * الا الذي اثر من هدابه * ترى سوام الوحش يحتوى به
يرجعن اسلاطعره ونابه * وقال في ثعلب وقد افلت منه مرارا *
قد طالما افلت يا ثعالا * وطالما وطالما وطالا * حلبة بكلبي لونك الاحوالا

ما طلت من لاب ام الطالا * وقال ايضا * باربيت بعضاء سبب
بعيد ما بين السمك والطنب * لفتية قد بكروا باكلب * قد ادبوها احسن التادب
من كل ازقي هبان المنكب * يثب في العدو شبق المقرب * ينشط اذنيه بحد المخلب
خماشي وشيقة من ارنب * عند هم وتبسم ملعلب * وحلن مسلوبه من ثعلب
مقلوبه الفروه او لم تقلب * ومرجل للاهد الكعف * تقذف جالاه بجوز القرهب

باب صفة ما يستدل على فراهة الكلاب وسياستها قال من يخبر عن ذلك ان طول
ما بين يدي الكلب ورجليه بعدان يكون نظرة قصرا من علامة اسرعة قال ويعرفونها
بان يكون غليظها صغير الراس طويل العنق وان شبه بعض خلقه بعضا وان يكون اغضف
هوط العصفور يكون بعيد ما بينها ويكون واسع العينين عظيم المقلتين ناتي الحدقه
طويل المخطم لطيفه واسع الشدقين ناتي الجبهه وعرضها وكذلك شعر جنبيه ويكون قصير
اليدين طويل الرجلين لانه اذا كان كذلك كان اسرع في الصعود بمنزلة الارنب قالوا والسابق د
يلحق الارنب في الصعداء الا كل كلب قصير اليدين طويل الرجلين وينبغي ان يكون طويل
الصدر غليظه وان يكون ما يلي الارض من صدره عريضا وان يكون غليظ العضدين
مستقيم اليدين مضموم الاصابع بعضها الى بعض اذا مشى او عدا واحذران يعجب بسهمين
الطبين وغير ذلك ما يفسدها ويكون عريض الظهر عريض ما بين اصل العجز الى الذنب
بعثان اصل الذنب وطويل الفخذين غليظهما شديد لحمهما ويكون رزين اللحم رقيق
الوسط طويل الجلدة التي هي اصل الفخذين والصدر مستقيم الرجلين ولا يكون في ركبتيه
انحناء ويكون عصرتاقين دقيقها كانها قشرة من صلابتها وليس يكره ان يكون طوال
الاذناب اناثها ويكره ذلك لذكورتها ولين شعره مما يدل على القوه وقد يرغب في
ذلك في جميع الجوارح من الطير وذوات الاصابع من لين الريش لذوات الريش ولين
الشعر لذوات الشعر من عتاق الخيل علامة صالحة قال وينبغي ان يكون الكلب شديد
المنازعة للمقود والسلسله وان يكون العظمان اللذان يليان الجنبين من عظام
الجنبين صغيرين في قدر ثلث اصابع وزعم انهم يقولون ان تسود منها افلها صار على الجرد

والحق وان البيض اوره اذا كن سود العيون قال ومن علامة الغرة التي ليس بعدها
شي ان يكون على ساقيه او احدهما او على راس الذنب مخلب وينبغي ان يقطع من ساعته
لانه يمنعه من العدو وذكر ان خير الاشياء التي تطعم الكلاب الخبز الذي ييبس ويكون
الماء الذي يسقاه يصب عليه شي من زبد فانه كاللبن ويشتد عليه عدوه قال
وخير الطعام في اسمان الكلاب راس مطبوخ والاكارع بشعرها من غير ان يطعم من
عظامها شي والسمن اذا اطعم منه قدر ثلث سكرجات مرتين او ثلث مرات فان ذلك
مما يسمنه ويقال يعبد الهرم شابا حتى يكون ذلك في الصيد وفي المنظر والعظام من اشد
من اردى ما ياكله للعدو وفيما يكون غذاء وخير شي يداوى به الكلب من وجع
البطن والديدان ان يطعم قطعة الية وصوف شاة معجون بسمن البقر فانه يلقي
كل دودة وقذر في بطنه وخير ما يعالج به للجرب ان يدهن باسته ثلثة ايام ويحم
فيها ولا يستعمل او يمسح يديه ورجليه بالقطران وذكر عن حذيفة بن الطرماح
الاسدي من اهل همذان انه قال ليس من علاج الكلب خير ان يحمل

وقال اصحابنا الكذى يجري ويكنا وكنا وهو داء ياخذ الجري خاصة يصيبها منه قيء وسعال
حتى يكوى بين عينيه ويقال الكذى اذا لم يظعن وقالوا الكديه من الاسنان الاعراض تقعد في
صلابته ويقال له في الماء خوفاكذى وزعم صاحب المنطق ان الكلاب تمرض فتاكل عشبة
تعرفها بعينها فتاكل منها فتبرا وزعم ان الكلاب اذا كان في اجوافها دود اكلت سنبل
القمح فتبرى وزعم صاحب المنطق ان العقاب تاكل الحيات وان بينها عداوة لان
الحية ايضا تطلب بيضها وفراخها قال والغراب يقاتل البومة فيخطف بيض البومة
نهارا ويشد البومة على بيض الغراب ليلا فتاكله لان البومة ذليلة بالنهار
رديئة البصر واذا كان الليل لم يقم عليها شي من الطير والطير كلها تعرف البومة
بذلك وضعفها بالليل فهي تطير حول البومة وتنقرها وتنتف ريشها ويحرجها
على ذلك منها صار الصياد ينصب للطير بالبومة قال وبين الحداة والغراب قتال
لان الحداة تخطف بيض الغراب لانها اشد مخالبا واسرع طيرانا وبين الاطرغلة

والشقراق

والشقراق قتال لانه يقتل الاطرغلة وبطالبه وبين العنكبوت والعضاية قتال لان العضاية
تاكل العنكبوت وعصفور الشوك يبحث بالحمار وعلة ذلك فيما قاله لان الحمار اذا مر
بالشوك وكانت به دبرة او جرب تحكك به ولذلك متى نهق الحمار سقط بيض عصفور
الشوك وفراخه تخرج من عشها ولهذه العلة يطير العصفور حول الحمار وينقره والذيب
مخالف للثور والحمار والثعلب جميعا لانه ياكل اللحم ولذلك يقع على البقر والحمير والثعالب
والزرق خلاف لهذه العلة لانها جميعا ياكلان اللحم والغراب يخالف الثور ويخالف الحمار
ويطير حولهما وينقر عيونهما وقال الشاعر • عاديتنا لا زلت في تباب •
عداوة الحمار للغراب • ولا اعرف هذا من قول صاحب المنطق لان الثعلب لا يجوز ان
يعادي بين احرار الطير وجوارحها والزرق وغير الزرق اكل اللحم ان كان سبب عداوته
له على اجتماعها على اكل اللحم فليبغض العقاب من الطير والذيب من ذوات الاربع فانهما اكل
اللحم والثعلب الى ان يجدهما بهو اقرب اليه شكلا وذلك اولى في القياس فلو زعم انه يعم الكلبة اللحم
بالعداوة حتى يعطي الزرق من ذلك نصيبه كان اجوز ولعل المترجم ان يكون اساء في الاخبار
عنه قال والحية تقاتل الخنزير وتقاتل ابن عرس اذا كان ماواهما في بيت واحد وكان
الخنزير ياكل الحيات ويزعمون الذي ياكل الحيات القنافذ والاوعال والخنازير والعقبان
قال فالحية تعرف هذا من الخنزير حتى تطالبه قال والغراب مصادق الثعلب والثعلب
مصادق للحية والاسد والنمر متخالفان والاسد والبير متفقان وبين الفيلة اختلاف
شديد وكذلك ذكورتها واناثها وهي تستعمل الاماتات اذا قاتل بعضها بعضا وتعتمد
بها على الحيطان فتهدمها وتزحم النخلة بجنبها فتصرعها واذا صعب من ذكورتها شي
احتالوا له حتى يكومه فحل اخر فاذا كامه خضع ابدا واذا اشتد خلقه وصعب عصبوا
رجليه فيسكن ويقال ان البعير اذا صعب وخاف القوم استعانوا عليه فبركوه وعقلوه
حتى يكومه فحل اخر فاذا فعل ذلك به ذل واما اصحابنا فحكوا وجوه العداوة التي بين
الفيل والسنور وهذا اعجب وذهبوا الى فزع الفيل من السنور وعلم مروه بنوع مما
يوا شد منه واضخم وهذا الباب على خلاف الاول كان ذلك الباب بني على خلاف الاول على

عداوة الاكفاء والشاة من الذيب اشد فرقا منها من الاسد وان كانت تعلم ان الاسد
ياكلها وكذلك الحمام يعتريه من الشاهين ما لا يعتريه من العقاب والبازي وكذلك
الفاره والسنور وقد ياكلها ابن عرس واكثر ذلك يقتلها ولا ياكلها اصناف من السباع
والثعلب يطالبها مطالبة شديدة ولوان دجاجا على رف مرتفع او كن على اغصان شجر
شاهقة ثم مر تحتها كل صنف مما ياكلها فانها تكون مستمسكة بما تحتها معتصمة بالاغصان
التي هي عليها فان مر تحتها ابن اوى وهي الف لم تبق واحدة الا رمت بنفسها اليه
والسبع لا ياكل الحاره والسنور لا يذوق الحموضة ويجزع من الطعام الحار ثم رجع بنا
القول الى مفاخر الكلب ونبدا بكل ما اشبه فيه الكلب الاسد والانسان فما من ضيغ
ذكر الاسد قال اذا ضرب الاسد بمخالبه رايت مواضع اثار مخالبه في اقدار شرط الحجام
وازيد شيئا الا انه من داخل واسع الجوب كان الجلد ينضم على سم مخالبه فياكل ما هناك
قال واما عضته فان دواءها ودواء عضة الكلب واحد قال ومن خصال الكلب ان جميع
جوب الاسد يشبه جوب الكلب قال ومما اشبه فيه الكلب الاسد النهم فان الاسد ياكل
الكلا شديدا ويمضغ مضغا متداركا ويبلع البضع الكبار من حاق الرغبة ومن الحرص وكالذي
يخاف الفوت ولما نازع السنور من شبهه حار اذا القيت له بضعة لحم فاما ان يحملها او ياكلها
حيث لا تراه واما ان ياكلها ويكثر التلفت وان لم يكن بحضرته سنور سابغ والكلب يعض
على العظم ليرضه فان ما نغه شي وكان مما يسيغه ابتلعه وهو واثق بانه يستمريه
ويسيغه والنهم يعرض للعقاب والحية لا تمضغ وانما تبتلع لا ذوات القاسات وهي غير
ذوات الانياب فانها تقضم بالمضغة والضغمتين فان ابتلعت شيئا فيه عظم انت عودا
شاخصا فالتوت عليه فحطمت العظم ولحية قوية جدا وقالوا الاسد وان كان مما لا ينفارق
الغياض والغابات لاتفاق الماء فانه قليل الشرب للماء وليس يلق رجيعه الا مرة واحدة
في اليوم وربما كان في اليومين والثلثة ورجيعه يابس شديد اليبس منغلق شبيه برجيع
الكلب ويشبهه ايضا من جهة اخرى وذلك انهما جميعا اذا بالا شغرا والكلب من اسماء
الاسد لقرابة سيما وبين الكلاب والكلب يشبه الخنزير ويقال ان الخنزير يسمن في اسبوع

وان

وان جاع اياما ثم اشبع شبعه تبين ذلك تبينا ظاهرا الا تراه ينتزع محاسن الحيوان
ويشبه اشراف السباع وكرام البهايم ويقال ليس في الارض فحل من جميع اجناس الحيوان
لذكره حجم ظاهر الا الانسان والكلب وليس في الارض شيان يبلغ من فرط ارادة
طباع كل واحد منهما لطباع صاحبه حتى يلتحم عضو الذكر بعضو الانثى حتى يصير التحاما مهما
كالتحام الخلقة والجبلة الا كالتحام الكلاب والملازقة الا كما يوجد التحام قضيب الكلب
لثفر الكلبة وقد يلصق القراد ويغمس العلق مقاديمه في جوف اللحم حتى يرى صاحب القراد
انه ثولول فالقراد المضروب به المثل في الالتحام الا دون التحام الكلبين ولذلك اذا ضربوا
المثل بالمتنابعين بالشقي وللملتقيين للصراع اذا التف بعضهم ببعض قالوا كانهم الكلاب
المتعاظلة وليس هذا النوع من السفاد الا للكلاب وقد زعم صاحب المنطق وغيره ان
الذباب في ذلك كالكلاب وكان اسمعيل بن غزوان قد تعشق جارية لموسى بن عمران فكان اذا
وقعت وقعة لم تمكث عنده الا بقدر ما يقع عليها وقعه فاذا فرغ لبست خفها وطارت فكان
اسمعيل يشتهي المعاوده وان يطيل الحديث وربما القرص والشم والتقبيل والتقليب
والتجريد ويعلم انه في الكوم الثاني والثالث احذر ان يشتفي فكان ربما ضجر وذكرها
بقلبه وهو في المجلس فيقول اسحقني واياها كلبين ساعة من ليل او نهار حتى يشغلها
الالتحام عن التفكر في غضب مولاها ان احتبست وفي الكلبة انهم يه اخرى وذلك انه يسفدها
كلب ابقع وكلب اسود وكلب ابيض وكلب اصفر فتودي الى كل سفاد شكله
وشبهه وما اكثر ما يكون ذلك واما تاويل الطالع في قول الحطيئة

تسريت هام بعد ما نام طالع ... الكلاب واخبا ناره كل موقد
قال الاصمعي يطلع الكلب ... لبعض ما يعرض للكلاب فلا يمنعه ذلك ان يهيج في زمن هيج الكلاب فاذا راى الكلبة
المستحرمة لم يطمع في معاظلتها والكلاب منتهية تنبح فلا يزال منتظرا لوقت فترة الكلاب
ونومها وذلك من اخر الليل وقال اصيحم بن طلاح ... وفتية من آل ذهل الذرى
من الرقاشيين واعلى الحلى ... ببيض بها البل كرام المنتهى
باتوا يعشون الى ضوء اللوى ... ينفون عن اعينهم طيب الكرى
الاغشاشا بعد مطال السرى ... بعد ابلاء الفتى على الفتى

حتى اذا ما كوكب الصبح بدا | باجوابغضف كما ليقاتها | تلفتْ يغبطن هزاف الصوى
رحيته الاشراق غضف فى نقى | ملوين اذنا با فيلات اللحى | سمعها العزم من طور اللوى
من كل مضور الوى عارى النا | محلج المنتين ممحوص الشوى | شرنبث البرثن خفاق الحشى
نخال منه العقص عن جرحنى | مشتبا صغوا فى جيدا صفا | يلتهب الغايط منه ان عدا
يقادع المرو وشدان لحصى | حتى اذا استحمش يراد الحصى | بمرباءا وفى به على الربا
ارانا من دونها سربا ظبا | تواشرا من اشد على خشا | فوضى يدعثرها افاحيص القطا
لعلعق واستلهن بهم عزطا | مبالغا فى بهم يجتبا | كانما اعينها جمر الغضا
ثمت اطلقن معا كالبرق لا | فى الارض يهوين لا لوح الهوى | كانها فى شوطها لما انبرى
كواكب ترمى الشياطين بها | يدمون بالا بساد فى مرباو با | حتى اذا ما كن منهن لحما
دارت عليهن من الموت رحا | تحدسهن محدبات الشبا | سراهما سطفن مغبوط الدما
بين حريق الروق فى صومه الحصى | وبين مفرى النياط قد شحا | كانه منهل اذا عدا
ومابل العود بن ملوق القفا | تنقبن بالاكباد منها والكلى | وبالعقوب وكراديس الطلى
وقال ايضا
لما تجلى الصبح من حجابه | والعذر الليل الى مابه
حرطه القانص واعتدى به | فى معقود يردع من هدابه | يغراه طورا على استصحابه
وتاره يقصب لاقتضابه | كانما يغتر من اثيابه | عن مرهفات السن من حرابه
به ثم وجه الارض فى ذهابه | يكاد ان ينسل من اهابه | كلمعان البرق فى سحابه
حتى اذا ما كاد او حادابه | وانقاء للصق الذى بدعابه | كانما ادبج فى حصابه
ما بين لجيم الى اقرابه | مشتهر العدره فى ابابه | وقال ايضا
ما البرق فى ذى عارض لماح | ولا انقضاض الكوكب الملماح | ولا ابتنات الدلو بالمتزاح
حين دنا من راحه المرتاح | اجد فى السرعه من سرباح | يكاد عند ثمل المراح
اذا شتا كحابل الاشباح | يطير فى الجو بلا جناح | ينشر عن فضل شبا الرماح
فكم وكم من حمد لساح | وبارب اعفر ذى طماح | غادره معرج الضعاح

باب اخر فى الكلب وشانه قال طفيل

اناسى

اناس اذا ما انكر الكلب اهله حموا جارهم من كل شنعاء مضلع يقول اذا انكروا فى السلاح لم يعرفهم كلابهم ولم يدع ذكر جميع اصناف المعارف الا ان الكلب اشد ثباتا واصدق حسا وفى ذلك يقول الاخر فلا ترفعى صوتا وكونى بعضية اذا ثوب الداعى وانكر لى كلبى يقول اباك والصراخ اذا عاينتى الجيش وقوله وانكرنى كلبى يخبران سلاحه تام على الدرع والبيضة فاذا انكر سلاحه انكره كلبه فنبحه واما قوله اذا خرس الفحل وسط الجحول وصاح الكلاب وعق الولد فاما قوله اذا خرس الفحل فان الفحل اذا عاين الجيش وبوارق السيوف لم يلتفت لفت الحجول واما قوله وصاح الكلاب فان الكلاب فى تلك الحال تنبح اربابها كما تنبح سرعان الخيل السهم لانها لا تعرفهم من عدوهم واما قوله وعق الولد فان المراه اذا اصبحتهم الخيل ونادى الرجال يا صباحاه ذهلت عن ولدها وشغلها الرعب عن كل شى فجعل تركها اشفاقها ولدها وتعطفها عليهم فى تلك الحال عقوقا منها وهو قول الناس فنزلت بهم امور لا ينادى وليدها واذا استعار واهذه الكلمه فحصوها فى المواضع من هذا المكان وقد ذكر ذلك مزرد بن ضرار وغيره فقال تبرات من شتم الاله بتوبة الى الله منى لا ينادى وليدها وقال الاخر اذا عمى الكلب فى ديمة واخرسه الله فى عنجر والذى يخرسه افراط البرد والحاح المطر كما قال الهذلى وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها لا ينبح الكلب فيها غير واحدة من العشى ولا تسرى افاعيها وقال ابن هرمة وسل الجار والمعصب والاضياف وهنا اذا بحثوا اين يا كيف يلقوننى اذا نبح الكلب وراء الكسور نبحا خفيا يقول الكلب اذا اخرسه البرد الذى يكون مع المطر والريح التى تمر بالصحارى الممطره ببرد والكلب وانا لا ذلك فان ذلك من ضعف وليس من ضرع والكلب اذا الحت عليه السحاب بالامطار فى ايام الشتاء لقى جهدا حتى اسجر عنها ينبح لانه قد عرف ما يلقى من مثله وفى المثل لا يضير السحاب نباح الكلاب وقال الشاعر مالى لا اغزو وللدهر كره وقد نبحت نحو السماء كلابها يقول قد كنت ادع الغزو مخافة العطش على الخيل والانفس فما عذرى

اليوم والغدران كثيرة ومنافع المياه موجودة والكلاب لا تنبح السحاب الا من الحاجة
المطر وترادفه وقال الافوه الاودي في نبح الكلب السحاب وذكر ديمة وصوب غيم
له هيدب دان ورعد وله . وبرق تراه ساطعا يتبلج . فباتت كلاب الحي ينبحن مزنه
واضحت بنات الماء فيه تمعج . قال ابو خالد النميري وذكر فرعون ذي الاوتاد عند ابي جعد
النميري فقال ابو جعد الكلب خير منه واحزم قال فقيل له وكيف فضلت الكلب بذلك قال
لان الشاعر يقول . ومالي لا اغزو ... وقال الفرزدق . فانك اذ تهجو اصيبغ سادرا
وتسلك ما فاتوا به المتناول . كفرعون اذ يرمي السماء بسهمه . وقد عليه السهم افوق ناصل
وهذا يرمي السماء من فرط جهله وهذا ينبح السحاب من جودة فطنته فزعم ان هذا الاحزم له
لان الكلب انما عرف مخرج ذلك الشيء المؤذي له حتى ينبحه بالقياس لانه انما ينبحه لعدا ان
توالى عليه الاذى من تلك الجهة وكان من يتعصب للكلب قلت وكذلك الحمار اذا رفعت
عليه السوط ثم تحك مرا ... فبالقياس علم ان السوط متى رفع حط ومتى حط اصابه ومتى
اصابه الم فما فضل الكلب في هذا الموضع على الحمار الذي هو اكثر موصوف بالجهل وقال الفرزدق
وقد نبح الكلب السماء ودونها . مهامه تعشي نظرة المتامل . وقال اخر
مالك لا تنبح يا كلب الدوم . قد كنت نباحا فمالك اليوم . قال كان هذا الرجل ينتظر عيرا له
تقدم فكان اذا جاءت العير نبح الكلب فاحتبست عليه العير فقال كالمتمني وكالمستبطئ
مالك لا تنبح اي ما للاعيار لا تاتي قال وخرج اياس بن معوية فسمع نباح الكلب فقال هذا
كلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد ارسل فانتهوا الى هناك فاتوهم فكان كما قال فقالوا
كيف علمت انه موثق وانه مطلق قال كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد فلما اطلق
سمعته يقرب مرة ويبعد اخرى وينحرف في ذلك قال وسمع اياس بن معوية ذات ليلة نباحا
فقال اسمع صوت كلب غريب قال فقيل له كيف عرفت ذلك قال بخضوع صوته ونباح
الاخر عليه فنظروا فاذا الكلب مربوط غريب والكلاب تنبحه وقال بعض العلماء كلب ابقع
وفرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وثور اسبق ويقال كلب وكلاب وكليب ومعز وماعز
ومعيز وقال لبيد . فتناهبت امساقها . علق فداوه سخما الكلاب

وقال

وقال علقمة بن عبدة . وتبيح عن غب السرى وكانها . مولعة تخشى القنيص شبوب
تعفق بالارطى لها واراده . رجال فبذت نبلهم وكليب . وقال عبادة بن مجيب السعدي
فمن للخيل بعد ابي سراج . اذا ما الجي اسقر الكليبا . وهؤلاء كلهم جاهليون وقال
حموة بن بحير بنيف وانشدوه . كانك بالمنازل بعد شهر . تخوض بعموره بقع الكلاب
وانشدوه . ارسلنا اسد على سود الكلاب فقد . امسى شريدهم في الارض فلالا
قال لا خير في البقع البتة ولا في سود الكلاب اكثرها عقور وخيار الكلاب ما كان لونه
يذهب الى الوان الاسد من الصفرة والحمرة والبقع هجنة وخير السنانير الخلنجية وخير كلاب
الصيد البيض والوان الاسد للهراش والسود للذئاب وهي شرها وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها ولكن اقتلوا منها كل اسود بهيم وكل شيء من الحيوان اذا اسود
شعره او جلده او صوفه كان اقوى لبدنه ولا يكون معرفته بالمحمودة وزعم ان الحمام الهدي
انما هو في الخضر والنمر فاذا اشتد الحمام حتى يدخل في الاحراق وصار مثل الزنجي اشتد له
البطش القليل المعرفة فالاسود لا يجيء من البعد لسوء هدايته والابيض وما ضرب فيه كالناصع
لا يجيء من الغاية لضعف قوته وعلى قدر ما يعتريه من الضعف فالكل هو الاصفر والاحمر والحمام
هو الاخضر والاغبر والسوسي هو الخلنجي والبقالي وسائر الالوان عيب وقد يكون فيها ومنها
فارة كما يكون من الخيل ولكنه لا يجاد بنيه ولا يعد والامر المحمود منه راسه وقدمها
شبه وقرب في النجابة فاذا كان ذلك كهيئة الامهات والاباء المنجبة الا ان ذلك لا يتم
منها الا بعد بطون عدة قال ابو زيد قال زياد اقول للرجل الذي اذا ركب الابل فعقر
ظهورها من انعابه هذا رجل معقر وكذلك السرج والميثرة ولا يقال للكلب الا عقور
ويقال كلاب عقر وهو ظهر والكلب الضاري على الصيد وضروة كثيرة وكلبة ضار وكلاب
ضوار وقد ضريت اشد الضراء وقد قال ذو الرمة . مقزع اطلس الاطمار ليس له
الا الضراء والا صيدها نشب . وقال طفيل الغنوي . يباري مراخيها الزجاج كانها
ضراء احست نبأة من مكلب . ومنه قيل انا ضارك وقد قال عمر اياكم وهذه المجازر
فان لها ضراوة كضراوة الخمر وقال الاصمعي كلب ابقع وكلبة بقعاء وفرس ابلق

وفرس بلقاء وتيس ابرق وعنز رقطاء وكذلك يقال جبل ابرق وكذا ابرق وقال ابن داحة
نزل عندنا اعرابي ومعه ابنان له صغيران وكان احدهما مستهترا بالكلاب والاخر بالحملان
فقال الاعرابي لصاحب الكلاب ما لي اراك مع الكلاب جيبها واري اخاك جيبه الحملان
قال فرد عليه الغلام لولا الكلاب وهرشها من دونها كان الوقيد فرايس الذوبان
والوقيد اسم للغنم الكثيرة السائمة مع ما فيها من الحمير وغير ذلك وقال الشماخ بن ضرار
فاوردهن تقرسا وشدا شوابع لم يكدرها الوقير وقال ـــــ الهاوي
تثبت ما قال الغلام تعدو الذياب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستنفر الحامي
هذا حديث ابي الحسن واما بنو مخزوم فيزعمون ان ابن ابي ربيعة لم يحل غداره على حرام قط
وانما كان يذهب في تشبيبه باخلاق ابن ابي عتيق فان ابن ابي عتيق كان من اهل الطهارة
والعفاف وكان من سمع كلامه توهم انه من اجرا الناس على فاحشة ومما يشبه الذي تقول
بنو مخزوم ما ذكروا عن قريش واي هاجرين يقولون ان عمر بن ابي ربيعة انما سمي بعمر ابي الخطاب
وانه ولد ليلة مات عمر فلما كان بعد ذلك ذكروا فساد هذا وصلاح ذاك قالوا اي باطل وضع
واي حق رفع ومثل هذا الكلام لا يقال لمن عرف بالعفة التامة الثابتة وبعض المزاح
وفي لعب الصبيان بالكلاب واستهتارهم بها كتب شريح الى معلم بني له كان يدع الكتاب
ويلعب بالكلاب فقال ترك الصلوة لاكلب يلهو بها طلب الهراس مع الغواة الرجس
وليأتينك غاديا بصحيفة يلهو بها كصحيفة المتلمس فاذا هممت بضربه بدرة
فاذا ضربت بها ثلاثا فاحبس واعلم بانك ما فعلت فانه مع ما تجرعني اعز الانفس
وبهذا الشعر عند اصحابنا الاعشى بني سليم في ابنه وضرابت ابنه هذا شيخا كبيرا وهو
يقول الشعر وله احاديث كثيرة ظريفة وقال صاحب الكلب ومما يدل على قدر
الكلب كثرة ما يجري على السنة الناس من ذكره بالخير والشر وبالحمد والذم وكذلك في القران
العظيم مرة بالحمد ومرة بالذم ومثل ذلك ذكر في الحديث والاشعار حتى استعمل وكذلك في
الاشعار حتى الاشتقاقات وجرى في طريق ذكر الفال بالطيرة وفي ذكر الرويا والاحلام
مع ذكر الجن والسباع والبهائم فان كنتم انما قضيتم عليه بالشر وبالنقص وباللوم والسقوط

لان ذلك كله قد قيل والذي قد قيل فيه من الخير اكثر ومن الخصال المحمودة اشهر
وليس شيء اجمع لخصال النقص من الخمول لان الخصال المخالفة لذلك تعطي من النباهة
وتقسم من ذلك على قدر المورود من ذلك وكما لا تكون الخصال التي تورث الخمول مودية
للنباهة فكذلك خصال النباهة مجانبة للخمول لان المعدوم افضل من الخامل وسمع
الترجمان هرم بن هبيرة رجلا يقول ما جاء الحارث بن شريح بيوم خير قط فقال الترجمان
ان يكن ما جاء بيوم خير فقد جاء بيوم شر وبعد فان كل رئيس كان خيرا محضا عدم
الهيبة ومن لم يعمل باقامة جزاء الحسنة والسيئة وقتل في موضع القتل واحيا في موضع الاحيا
وعفا في موضع العفو وعاقب في موضع العقاب ومنع ساعة المنع واعطى ساعة الاعطاء
خالف الرب في تدبيره وظن ان رحمته فوق رحمة ربه وقد قالوا بعض القتل احياء للجميع
وبعض العفو اغراء كما ان بعض المنع اعطاء ولا خير فيمن كان خيرا محضا وشر منه من كان
شرا صرفا ولكن اخلط الوعد بالوعيد والبشر بالعبوس والاعطاء بالمنع والحلم
بالايقاع فان الناس لا يهابون ولا يصلحون الا على الثواب والعقاب والاطماع والاخافة
ومن اخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن اطمع ولم ينجز وعرف بذلك فخير الخير
ما كان ممزوجا وشر الشر ما كان صرفا ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده لكان
الله تبارك وتعالى اولى بذلك الحكم وفي اطباق جميع الملوك وجميع الائمة في جميع
الاعصار على استعمال المكروه والمحبوب دليل على ان الصواب فيه دون غيره واذا كان الناس
انما يصلحون على الشدة واللين وعلى العفو والانتقام وعلى البذل والمنع وعلى الخير
والشر عاد ذلك الشر خيرا وذلك المنع عطاء وذلك المكروه محبوبا وانما الشان في
العواقب وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو ادوم ومن الانقطاع ابعد قال الشاعر وهو
يمدح قوما ان يسئلوا الخير يعطوه وان جهدوا فالجهد يخرج منهم طيب اخبار
وان تودّدتهم لانوا وان شهموا كشفت اذمار شر غير اشرار وقال الشعبي في اوس
العبسي الا لك بنواحيه وشر كلاهما جميعا ومعروف الم ومنكر وقال بعض من
اسر يخير يوم جبلة انا الغلام الاعسر الخير في والشر والشر في اكثر

وقال عبد الملك بن مروان لزفر بن الحرث وقد دخل عليه في رجالات قيس السنة الذي نالك عبد
كدنه قال زفر وما خير شيخ لا ينفع حسدا او يدعى رغبة وقال ثمامة المشهور بالشر
خير من ان لا تعرف بخير ولا شر وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتبين
الناس فيه الا ترى ان علي بن ابي طالب قال يهلك في فيئان محب مفرط ومبغض غال
وهذه صفة ابنة الناس والبعد مهم غاية من مراتب الدين وشرف في الدنيا الا ترى كيف
يقول اري العلياء كالعلياء لا حلو ولا مر سليح من بني الجارود لا خير ولا شر
وقال الراجز عيرتني يا ثكلتني امي اسود مثل الجمل الاحمر
ينطح عرض الجبل الاصم ليس بذي القرن ولا الاجم واذا كان الرجل ابرع
الناس براعة واظرفهم واجمعهم لخصال الشرف ثم كانت كل خصلة من خصاله على حالها
مساوية لاختها في التمام فواحدة ان هذا الرجل لا يكاد يوصف الا بالسيادة والرياسة
اذ لم يكن له عمل سيد يكون هو الغالب عليه وقد قالوا فيما يشبه ما قلنا وان لم يكن هو بعينه
قال الشاعر بنون لبنون ابان ذووكرم سواس مكرمة ابناء ايسار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وقد قال مثل ذلك
وصفا جعفر الضبي في الفضل بن سهل ايها الامير اسكتني عن وصفك تساوي افعالك
السودد وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكر جميعها سبيل ولا اولى احق بالذكر
فلست اصفها الا باظهار العجز عن وصفها لانه لما قالوا احلم من الاحنف وما هو احلم من
معاوية ولا احلم من قيس بن عاصم ولم يقولوا احلم من عبد المطلب ولا قالوا هو احلم من هاشم
لان الحلم خصلة من خصاله وتمام كل خصلة فيه كتمام حلمه فلما كانت خصاله متساوية
وخلال شرفه متوازنه وكلما كان غالبا ظاهرا او قاهرا غامرا سمي باحمع الاسماء وهو السيد
فالخصلة هو احدى فيستدل بذلك على انها كانت اغلب خصال الخير عليه واذا بلغ السيد في
السودد الكمال حسده من الاشراف من يظن انه لاحق به وفخرت به عشيرته فمن اجل ذاك من طلب
عيبا وجده فان لم يجد عيبا وجد بعض اذا ما ذكره وجد من يغلط فيه ويحمله عنه
ولذلك هجي حصن بن حذيفة وهجي زرارة بن عدس وهجي عبد الله بن جدعان وهجي

حاجب

حاجب بن زرارة وانما ذكرت لك هؤلاء لانهم من سوددهم وطاعة القبيلة لهم
لم يذهبوا فيما تحت ايديهم من قومهم ومن حلفائهم وجيرانهم مذهب كليب بن ربيعة
ولا مذهب حذيفة بن بدر ولا مذهب عيينة بن حصن ولا مذهب لقيط بن زرارة
وان لقيطا بسبب ضمرة بن ضمرة الا وبجولو بقي لجاوز ظلم كليب وتهكم عيينة فان هؤلاء وان كانوا
سادة فقد كانوا يظلمون وكانوا بين ان يظلموا وبين ان لا يحتملوا ظلم من ظلمهم ولا بد
من الاحتمال كما لا بد من الانتصار وقد قال اسماء ولكم في القصاص حيوة والى هذا رجع قول
الحكيم الاول بعض القتل احيا للجميع وعامة هؤلاء السادة لم يكن شانهم ان يردوا الناس
الى اهوائهم والى الانسياق لهم بعنف السوق وبالخرق في القول بل كانوا الا يوثرون
الترهيب على الترغيب والخشونة على اللين وهم مع ذلك قد هجوا باقبح الهجاء ومتى اجب
السيد الجامع والرئيس الكامل قومه اشد الحب وحاطهم على حسب حبه لهم كان بعض اعدائه
له على حسب قومه له هذا اذا لم يتوثب اليه او يعترض عليه من بني عمه واخوته من اطعمه الحاك
باللحاق به وحسد الاقارب اشد وعداوتهم على حسب حسدهم وقد قال الاولون رضاء
الناس لا ينال وقد قيل لبعض العرب ما السيد فيكم قال الذي اذا اقبل هبناه واذا ادبر اغتبناه
وقد قال الاول بغضاء السوق موصولة بالملوك والسادة وتجري لها شيه مجرى
الملوك وليس في الارض عمل اكد لاهله من سياسة عوام وقد قال ابن المقفع بعض معنى به
السياسة فان سياسة الاقوام فاعلم لها صعداء مطلبها شديد وقال اخر في شبه هذا
ودون الذي في كل قلب بنية لها مصعد حزن ومنحدر سهل وود الفتى من كل نيل بنيله
اذا ما انقضى لو ان نايله جزل وقال عامر بن الطفيل واني وان كنت ابن سيد عامر
وفارسها المشهور في كل موكب فما سودتني عامر عن كلالة ابي الله ان اسمو بام ولا اب
ولكنني احمي حماها واتقي اذاها وارمي من رماها بمنكب وقال زياد بن ظبيان
لابنه عبيد الله بن زياد وزياد يفوض بنفسه الا اوصي بك الامير زياد اخاك لا قال ولم
قال اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت وعاب الاخر هذا المعنى
والعز لا يأتي بغير تطلب وقال بسامة بن الغدير في خلاف ذلك وان شقاء بكم مذكان

وحدث الى فيهم وصدى كليهما يطاع ولو تامره ويو مجتبى فلم الفهد للسياده فيهم
ولكن اتشنى طالبها غير متعب ومن الناس من يقول ان العيش كله فى كثره المال وصحة
البدن مع الخمول ولا يخلو صاحب البدن الصحيح والمال الكثير من ان يكون بالامور عالماً
او يكون بها جاهلا فان كان بها عالما فعلمه بها لا يتركه حتى يكون من القول والعمل على حسب
علمه لان المعرفه لا تكون كعدمها لانها لو كانت موجوده غير عاملة لكانت المعرفه كعدمها
وفى القول والعمل ما اوجب النباهه وادنى حالاتها ان تخرجه من حد الخمول ومتى اخرجه
من حد الخمول فقد كان ماله معرضا لمن يقدر على سلبه كما ان المعرفه لا بد لها من عمل
ولا بد للعمل من ان يكون قولا او فعلا والقول لا يكون الا وهناك مقول له وعمل
لا يكون الا وهناك معمول به او له وفى ذلك ما اخرج من الخمول وعرف به الفاعل
واذا كانت المعرفه هذا عملها فى اكثر على لغيرها فالمال الكثير احق بان يكون عمله الدال له
على مكانه والسعاية باهله والمال احق بالهيبة واولى بان يكر وافدع لصاحبه بل يكون
اشد له حتى او لحرمه افسادا فان كانت معرفته ناقصه فبقدر نقصانها يجهل مواضع
اللذه وان كانت تامه فبقدر تمامها ينبئ الخمول ويجلب الذكر وبعد فليس يتم فضله
الكلام وحقائق رشد العاقبه للذي ليس معهم من المعرفه الا السد والاحلال او ساط
ومتى كان ذلك كذلك لم يعرف المدخل الذي من اجله يكره ذو المال الشهره ومتى عرف
ذلك على حقه وحذقه لم يبعد فهمه لذلك حتى يدل على فهمه وعلى انه لا يفهم هذا الموضع
وعلى انه لا يفهم هذا الموضع حتى يفهم كلما كان فى طبقته من العلم وفى اقل ذلك
ما ميز حاله من حال الخامل وشروط الاماني غير شروط جواز الافعال وامكان الامور
وليس شئ الذ ولا اسر ولا انعم من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن اعتقاد المنن
فى اعناق الرجال والسرور بالرياسه وثمرة السياده لان لهذه الامور فى نفس الروح
حظا الذهن وقسمة النفس فاما المطعم والمشرب والمنكح وكلما كان من نصيب الحواس
فقد علمنا ان كل ما كان اشره واشد نهما وارغب كان اتم لوجدانه الطعم وذلك
قياس على موضع الطعام من الجائع والشراب من العطشان ولكنا اذا مثلنا بين

الفضيله

الفضيله التى مع الشره من الم السغب والالتهاب ومن القلق وشدة الطلب رايت ان
صاحبه مفضول غير فاضل فهذا مع ما نسب به ومع حمله له القبيح مع ان نعمة متى زالت
لم يكن احد اشقى منه بها مع سرور العالم بما وهب الله له من السلامه من افة الشره
ومن فساد الاخلاط وبعد فليس يخلو صاحب الثروه الصامت الكثير الخامل الذكر من ان
يكون يحب المركب الفاره والثوب اللين والجاريه الحسنا والدار الجيده والمطعم الطيب
او يكون ممن لا يرغب فى شئ من هذا فان كان لا يرغب فى هذا النوع كله وانما يعمل فى
ماله لدار الاخره ولا يحب ما لا صورته حسنه ويكون ممن لا يعدو ابدا من ان يكون
كثير الصامت فان هذا حمار وافر طباعا من الحمار واجهل من الحمار ومقدر من ان
يكون فى ماله اسوا حالا من الوكيل وبعد فلا بد لمال الكثير من الحاسد الشديد ومن الخوف
عليه فان اعمال الحاسد له ويعب فى طلبه على حسب الخوف عليه خرجا وعليه فضل كبير واذ لم
لم يخف عليه ولم يكن فى سبيل التوكل فهو من طباع الحمار فى جهله فالذى اوجب له الخمول
يعود به الى سلامة المال قد اعطاه من الجهل ما لا يكون معه الا مثل مقدار لذة الحمار فى
الاكل الخبط وان هو ابتاع فره الدواب وفره الخدم والجوارى واتخذ الدار الجيده والطعام
الطيب والثوب اللين واشباه ذلك فقد دل على موضع ماله ومن كان كذلك ولم تظهر
له صنعة فاشيه او تجاره مربحه مثل الذى يظهر من نفقته والا فانه يوخذ فى اللصوص
عند اول حال يقطع عليه او بجائره تكون او يغف يوخذ لاهل المال العظيم ولو عنى بقوله
الخمول والمال وصحة البدن فذهب الى مقدار من المال يغنى عن الناس ويعيش به عيشا
وسطا كان ذلك القول معقولا ولكن ما لمن كان ماله لا يجاوز هذا المقدار يتمنى الخمول
ولعمرى ان الخمول يكون فى طبقات كثيره وقال ابو نخيله شكرتك ان الشكر حبل من التقى
وما كل من اوليته نعمة يقضى فاحييت من ذكرى وما كان مينا ولكن بعض الذكر انبه من بعض
قال ولسقوط الخامل من عيون الناس قالت الاعرابيه لابنها اذا جلست مع الناس فان احسنت
ان تقول كما يقولون فقل والا فخالف تذكر واما الاصمعى فانه زعم انها قالت فخالف ولو ان
تعلق فى عنقك اير حمار وليس يقول هذا القول الا من ليس يعرف شكر الغنى وتقلبه الاموال الى

خلقت له وقطعها عقلها وخلعها عذرها وتبه اصحى ربابها وكثرة فطانهم في حفظها وسترها
وعجبهم من حركتها ومنعها من جميع ما ينازع وعمل عليه وقد روينا في الملح ان رجلا
قال لصاحب له ابوك الذي جهل قدره وتعدى طوره فشق العصا وفرق الجماعة لا جرم
لقد هزم ثم اسر ثم قتل ثم صلب قال صاحبه دعني من ذكر هزيمته ومن اسره وقتله
وصلبه ابوك انت حدث نفسه بشيء من هذا قط وليس الى الناس بعد الله رفعها وانما
تجري الهمم باهلها الى الغايات على قدر ما يعرض لهم من الاسباب الا ترى ان العباس
همته في نفسه واشد همم تعلبا الى المراتب لا تنازعه نفسه الى طلب الخلافة لان ذلك
يحتاج الى نسب او الى امر قد وطئ له سبب كثير طلب او ابلى الخوارج الخلافة بالدوك
وجوده دون النسب فان صار من الخوارج فقد حدث له نسب ام كان الطلب الكد
ام الجد وقد زعم ناس ان رجالا حظيت بالسيادة وبالنباهة وبالطاعة في العشيرة
وكذلك القبيلة ربما سعدت بالحظ وحظيت بالجد وانما ذلك على قدر الاتفاق وانما هو
كالمعافى والمبتلى وانما ذلك كما قال زهير   رايت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم   وكما تحظى بعض الاشعار وبعض الامثال وبعض الالفاظ دون
غيرها ودون ما يجري مجراها او يكون ارفع منها وقالوا وذلك موجود في الرزق
والحرمان وفي الحرف الذي عليه تصرف من حاذق بصناعته وكثير الجولان في تجارته
مقتصد بلغ وغاية والاندلس مرة وتغرب في البلاد وذرع الافاق ومن حاذق بشاور
ولا يستعمل ثم لا تجد منهما تستبينان من سوء الحال وكثرة الدين ومن صاحب منكوب
محنة ولو هو الليث على براثنه مع تمام العزم ونفاذ البصيرة ومع المعرفة بالملبك والصبر
الدائم على الشدة وكم من بيت شعر قد سار واجود منه مقيم في بطون الدفاتر لا تزيده
الايام الا خمولا كما لا تزيد الذي دونه الا شهرة ورفعة وكم من مثل قد طار به الحظ حتى
عرفته الاماء ورواه الصبيان والنساء وكذلك حظوظ الفرسان وقد عرفت شهرة
عنترة في العامة ونباهة عمرو بن معدي كرب وضرب الناس المثل بعبد الله بن حازم وهم
لا يعرفون بل كانهم لم يسمعوا بعتيبة بن الحارث وبسطام بن قيس قط وكان عامر بن الطفيل

اذكر

اذكر منهما شيئا ويذكرون عبيد الله بن الحر ولا يعرفون سعيد بن ظهير ولا زهير بن
ذويب وعباد بن الحصين ويذكرون عند اللسن والبيان والخطب ابن القرية ولا يعرفون
سحبان وائل والعامة لم يصل ذكرها ولا اليهم الا من قبل الخاصة والخاصة لم تذكرها ولا
دون اولئك فتركت تحصيل الامور والموازنة بين الرجال وحكمت بالسابق الى القلب
على قدر طباع القلب وهيبته ثم استوت علل العامة في ذلك وتشابهوا والعامة والباعة
والاغبياء كانوا اغدار عام واحد وهم في باطنهم اشد تشابها من التوءمين في ظاهرهما
فكذلك هم في مقادير العقول والاعتزام وفي الشرع وان اختلفت الصور والنغم والاسباب
والبلدان وذكر الله تبارك وتعالى ردة قريش ومشاركي العرب على النبي صلى الله عليه وسلم
قولا يذكر الفاظهم وجميع معانيهم ومغازي هممهم التي كانت في وزن ما يكون في جميع
الامم الى انبيائها ثم قال تعالى تشابهت قلوبهم وقال اتواصوا به وقال واستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ثم قال وخضتم كالذي خاضوا ومثل هذا كثير الا ترى
انك لا تجد ابدا في كل بلدة وفي كل عصر الحاكة فيها الا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخف
والحمق والعناوة والظلم وكذلك النخاسين على طبقاتهم من اصناف ما يبيعون
ويبتاعون وكذلك السماكين وكذلك الكلاسين وكذلك اصحاب الخلقان كلهم وكل دهر
وكل بلدة على مثال واحد وعلى وجهة واحدة وعلى ذلك تجد كل حجام في الارض من شهد
الاشتهار بالنبيذ وان اختلفوا في البلدان والاجناس والاسنان ولا ترى مسجونا ابدا
ولا مضروبا عند سلطان الا يقول اني مظلوم ولذلك قال الشاعر لم يخلق الله مخلوقا تليح
ما بال سجنك الاقار مظلوم   وليس في الارض خصمان تنازعا الى حاكم الا وكل واحد منهما
يزعم انه مظلوم وليس في الارض متكلمان تنازعا الا وكل واحد منهما يدعي الانصاف لنفسه
والظلم على صاحبه وليس في الارض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط
في شعره وفي ولده الا ان الناس تجد لك على طبقات من الغلط فمنهم الغرق المغمور
ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطاء ومنهم من خطاؤه مغمور لكثرة صوابه فاحسن
حال من لم يتحقق بالكشف ولذلك احتاج العاقل في العجب بولده وفي استحسان كتبه وشعره

ومن التحفظ والتوقي ومن اعادة النظر والتهمة لنفسه الى اضعاف ما يحتاج اليه في ساير ذلك
والعامة تحكم بان حاتم الطائي اجود العرب ولو قدمته على هرم الجواد لما اعترضت عليهم ولكن
الذي يحدث عن حاتم لا يبلغ مقدار ما روي عن كعب بن مامة لان كعبا بذل النفس حتى اعطى
الكرم وبذل المجهود من نفسه في المال فوقى حاتما من هذه الوجوه وبانه بينا المباينة ولكن
نقول ان الاشعار الصحيحة اذا اجتمعت على غير التواطؤ فهي ايضا كالاخبار التي
تثبت بها على غير تواطؤ وقد جاء من الاشعار الصحيحة التي توجب اليقين بان كعبا كما وصفوا
فلو كان الامر في هذا ليس الى الجدود والى الحظوظ والى الاتفاقات او الى علل باطنة تجري الامور
عليها في العوض عليها وفي معرفتها باعيانها غير لما جرت الامور على هذه المجاري ولو كان الامر
فيها مفوضا الى تقدير الراي لكان ينبغي لغالب بن صعصعة ان يكون هو المشهور بالجود دون هرم
وحاتم فان زعمت ان غالبا كان اسلاميا وكان حاتم جاهليا والناس بمآثر العرب في الجاهلية
اشد كلفا فقد صدقت وهذا ايضا ينبئك ان الامور في هذا الباب تجري على خلاف تقدير
الراي وانها تجري في الباطن على نسق قايم وعلى نظم صحيح وعلى تقدير محكم وقد تقدم
في تغييرها وفي تسويتها من لا تخفى عليه خافية ولا يعوزه شيء ولا يعجزه والا فما بال ايام
الاسلام ورجالها لا تكون اكبر في النفوس واجل في الصدور من رجال الجاهلية مع قرب
العهد وعظم ما ملكوا وكثرة ما جادت نفوسهم به ومع الاسلام الذي شملهم وجعله
الله تبارك وتعالى اولى بهم من ارحامهم ولو ان جميع ماثر الجاهلية وزنت بما كان من
لجاعة السمرع من رجالات قريش في الاسلام لا ربت عليها او كانت مثلها فليس لعدد
الحلب والديك في انفسهما واثمانهما ومناظرهما ومحلهما من صدور العامة سقنا هذا
الكلام وابتدانا هذا القول ولسنا نقف على اثمانهما من الذهب والفضة والى اقدارهما
عند الناس وانما ننظر فيما وضع الله فيهما من الدلالة عليه وعلى اتقان صنعته وعلى
عجيب تدبيره وعلى لطيف حكمته وفيما استخرجهما من غرايب المعارف واودعهما
من غوامض الاحساس وسخر لهما من عظام المنافع والمرافق ودل بهما على ان الذي
البسهما ذلك التدبير واودعهما تلك الحكمة يجب ان يفكر فيها ويعتبر بها ويسبح بحمده

فقد

ففسر ظاهرها بالبرهان وعم باطنها بالحكم وهيج على النظر فيها والاعتبار بها ليعلم
كل ذي عقل انه لم يخلق الخلق عبثا ولم يترك الامور هملا وليعلموا ان الله جل وعز
لم يدع شيئا غفلا غير موسوم ونثرا غير منظوم وسدى غير محفوظ وانه لا يخليه من
عجيب تقديره ولا يعطله من حلي تدبيره ولا من زينة الحكمة وجلالة قدر البرهان ثم عمم
ذلك ما بين الصوابة والفراشة الى الافلاك السبعة وما دونها من الاقاليم السبعة
وقد قال تبارك وتعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد يتجه هذا الكلام على وجوه احدها ان يكون
ههنا ضروب من الخلق لا يعلم بمكانهم الناس ولا بد من ان يعرف ذلك الخلق معنى نفسه
او يعلمه صنوف الله من ملايكته او تعرفه الجن او تعرفه الانبياء او تعرفه الناس بلا جهة الا
ذلك او يكون الله تبارك وتعالى انما عنى انه خلق اسبابا وهيأ عللا وجعلها لكن هذا لما
يظهر لنا ونظاما وكان بعض المعتزلة يقول من اراد ان يعرف معنى قوله ويخلق ما لا تعلمون
فليوقد نارا في وسط غيضة او في صحراء برية ثم ينظر ما يغشى النار من الحشرات والهمج
فانه سيرى صورا ويتعرف خلقا لم يكن يظن ان الله خلق شيئا من ذلك في العالم وعلى ان
الخلق الذي يغشى النار يختلف على قدر اختلاف الغياض والبحار والجبال والصحاري ويعلم ان
ما لم يبلغه علمه ولا يبلغه اكثر من ذلك واعجب وما اجود هذا التاويل فانه لم يدخل عنده في
جملة ما تدل عليه الاية ومن لم يقل ذلك لم يفهم عن ربه ولم يتفقه في دينه كانك لا ترى ان في
ديدان الخل والملح والديدان التي تتولد في السموم اذا عتقت وعرض لها العفن وهي
بعد قوائل عبرة واعجوبة وان التفكر فيها مشحذة للاذهان وشبهة لذوي العقول
وتحليلا لعقد البلادة وسببا لاعتياد الروية وانفساحا في الصدور وغذاء للنفوس
وحلاوة تغذى بها الروح وثمرة تغذو لها العقل وترقيا في العبارات الشريفة وتشويقا
الى معرفة الغايات البعيدة وكانك لا ترى ان في فارة البيش وفي السمندل اية غريبة وصنعة
عجيبة وداعية الى التفكر وسببا الى التعجب وكانك لا ترى ان في الجعل الذي متى دفنته في
الورد سكنت حركته وبطلت في راي العين روحه ومتى اعدته الى الروث انحلت عقدته
وعادت حركته ورجع حسه اعجب العجب واحكم الحكم واي شيء اعجب من الخلد وكيف يانيه رزقه

وكيف يهدى الله له ما يقوته وهو اعمى لا يبصر واصم لا يسمع وبليد لا يتصرف وابله لا يعرف
ومع ذلك انه لا يجوع باب جحره ولا يتكلف سوى ما يجلب اليه رازقه ورازق غيره
واى شى اعجب من طاير ليس له رزق الا ان يخلل اسنان التمساح فيكون ذلك رزقا له
وترويحا عن التمساح واى شى اعجب من طاير يترجمه الناس من ادنى حدود الصين
من شق البحر الى غاية البحر من شق الهند احدهما كبير الجثة يرتفع فى الهواء صعدا
والاخر صغير الجثة يتقلب عليه ويتعبث به فلا يزال مرة يرفرف حوله ويرتق على راسه ويرفع
بطير عند ذنابه ويدخل تحت جناحيه ويخرج من بين رجليه فلا يزال يغمه ويكربه حتى يذرق
فاذا ذرق فتح له فاه فلا يخطى ايضا حلقه حتى كانه يرمى به فى بير او حتى كانه ذرقه مد حاذاة
بيد اشتوار فلا الطاير الصغير يخطى فى التلقى ولا من معرفته انه لا رزق له الا فى ذلك المكان
ومن هذا الوجه ولا الكبير يخطى فى التسديد ويعلم انه لا ينجيه منه الا ان ينفيه بزرقه فاذا هو
رمى ذلك الذرق واستوى فى الرزق رجع شبعانا ريانا يقوت نومه ومن الطاير الكبير
لطيته وامرهما مشهور وشانهما ظاهر لا يمكن دفعه بهته المخبر عنه فجعل تبارك وتعالى
بعض الوحش كسوبا محتالا وبعض الوحش متوكلا غير محتال وبعض الحشرات يدخر لنفسه
سنته وبعض يتكل على الثقة بان له ما فى كل يوم قدر كفايته ورزقا معدا وامرا مقطوعا
وجعل بعض الهمج يدخر وبعض يكتسب وبعض الذكورة يعول ولده وبعض الذكورة لا يعرف
ولده وبعض الاناث تخرج بعض ولدها وبعض الاناث تضيع ولدها وتكفل ولد غيرها
وبعض الاجناس تعادى كالشى يكسر بيضها او ياكل ولدها وجعل يتيم بعض الحيوان من قبل
امهاتها وجعل يتيم بعضها من قبل ابائها وجعل بعضها لا يلتمس الولد وان اتاه الولد وجعل
بعضها مستفرغ الهم فى حب الذرء والتماس الولد وجعل بعضها يزاوج وبعضها لا يزاوج
ليكون للمتوكل من الناس حجة فى توكله وللمكتسب حجة فى تكسبه وليخطر على باله
اسباب البر والعقوق واسباب الحفظ والتربية واسباب الوحشة من الارحام
الماسة ولكان افتراق المعانى واختلاف العلل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم
اعقلها وتوكل وقال لبلال انفق بلالا ولا تخف من ذى العرش اقلالا فافهموا

هذا

هذا التدبير وتعلموا بهذه الحكم واعرفوا مداخلها ومخارجها ومفرقها ومجموعها فان الله تبارك
وتعالى لم يردد فى كتابه ذكر الاعتبار والحث على التفكير والترغيب فى النظر وفى التثبت
والتعرف والتوقف الا وهو يريد ان تكونوا علماء من تلك الجهات حكماء بهذه التعبية
ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى كما انه لولا الاستدلال بالدلالة لما كان لوضع
الدلالة معنى ولا للتمييز بين المضار والمنافع والردى من الجيد الصوب المجعول لذلك لما
جعل الله العيون مدركة ولان الانسان لحاس اذا راى الامور المتميزة عمد اخذ ما به اليه
اشد الحاجة وترك ما استغنى عنه وما يضر اخذه فيأخذ ما يحب ويدع ما يكره ويشكر على
المحبوب ويصبر على المكروه حتى يذكر بالمكروه كيفية العقاب ويذكر بالمحبوب كيفية الثواب
ويعرف بذلك كيفية التضاعيف ويكون ما يعمه زاد عاله وممتحنا بالصبر عليه وما يسره ما سطا
له وممتحنا بالشكر عليه وللعقل فى خلال ذلك مجال وللراى تقلب وتنشا للهمم اسباب
وتتهيا للصواب الى الابواب ولتكون المعارف لحيته والوجدانات الغريزية وتنبه الامور
بها سببا الى ما يتميز عند العقول بحضرة المقاييس وليكون عقل الدنيا سلما او سلما
الى عقل الاخرة ولترقى من معرفة الحواس الى معرفة العقول ومن معرفة الروية من غاية الى
غاية حتى لا يرضى من العلم والعمل الا بما اداه الى الثواب الدائم ونجاه من العقاب الدائم
وسنذكر طرفا مما اودع الله الكلب مما لا تحسنه انت ايها الانسان مع احتقارك له وظلمك
اياه وكيف تكون تلك الحكم اللطيفة وتلك المعارف الغريبة وتلك الاحاسيس الرفيعة
ونحن نعلم ان ادق الناس حسا وارقهم ذهنا واحضرهم فهما واحضرهم خاطرا والحكماء تجربة
وعلما لو رام الذى يحسنه الكلب فى كثير من حالات الكلب لظهر له من عجزه وحذقه ومن
كلاله وفرط دهشه ما يعرف به دونه ان الامور لم تقسم على رايك وعلى قدر مبلغ عقلك
وتقديره ولا على قدر محبته وشهوته وان الذى قسم ذلك لا يحتاج الى مشاورتك ولا الى
مكانفة ومرافقة ولا الى تجربة وروية ونحن ذاكرون من ذلك جملا ان شاء الله تعالى
واعلم ان الكلب لو عاين الظباء قريبة كانت او بعيدة عرف المعتل وغير المعتل وعرف
العنز من التيس وهو اذا ابصر القطيع لم يقصد الا قصد التيس وان علم انه اشد حضرا واطول

شوطا او بعد وثبة وبدع العنز وهو يرى ما فيها من نقصان حضرها وقصر خطوها ولكنه
يعلم ان الظبي اذا عدا شوطا او شوطين حقب ببوله وكل حيوان فانه اذا اشتد فزعه
لعرض له اما سلس البول والتقطير واما الاسر والحقب وكذلك المضروب بالسياط
على الاكتاف وبالعصي على الاستاه فما اكثر ما يعتريهم البول والغائط ولذلك صار بعض
الفرسان الابطال اذا عاين العدو فطر الى ان يذهب عنه هول الجبان واذا حقب
الظبي لم يستطع البول مع شدة الحضر ومع النزو والمرح ووضع القوائم معا
ورفعها معا اسرع من الطرف فيثقل عدوه ويقصر مدا خطاه ويعتريه البهر حتى يلحقه
الكلب فيأخذه والعنز من الظباء اذا اعتراها هول مع شدة الفزع لم يجمعه وحذفت به
كانزاع المخاض الصوارب لسعة السبيل وسهولة المخرج فيصير لذلك ادوم شدا
واصبر على المطاولة فهذا لا يحتاج في ذلك الى معاناة ولا الى تعلم ولا الى روية ولا الى
تكلف وقد كفاه ذلك الذي خلق العقل والعاقل والمعقول والدواء والداء والغذاء
والمداوي وقسم الامور على الحكمة وعلى تمام مصلحة الخليقة ومن معرفة ذلك الكلب ان الكلب
يخرج الى الصيد في يوم فيه الارض ملبسة من الجليد وعشاة من الثلج قد تراكم عليها
طبق على طبق حتى طبقها استفاض فيها ثم رهاضته الريح بردها فيعود كل طبق منها
وكانه صفاة ملساء وصخرة خلقاء حتى لا يثبت عليها قدم ولا خف ولا حافر ولا ظلف الا
بالتثبت الشديد او بالجهد والتغرير فيمضي الكلاب بالكلب وهو انسان عاقل او صياد
مجرب وهو مع ذلك لا يدري اين جحر الارنب من جميع بسيط الارض ولا موضع كناس
الظبي ولا مكو ثعلب ولا غير ذلك من وحوش الارض فيخرق الكلب من بين يديه ومن خلفه
ومن يمينه ومن شماله ويتشمم ويتبصر فلا يزال كذلك حتى يقف على افواه تلك
الجحرة حتى يشير الذي فيها وذلك ان انفاسها وبخار اجوافها وابدانها وما يخرج من
البخار المستكنة في عمق الارض مما يذيب ما لاقاها من فم الجحر من الثلج الجامد حتى يرق وانثلم
ثقبه وذلك خفي غامض ولا يقع عليه قائف ولا راعي ولا قائف ولا فلاح وليس
يقع عليه الا الكلب الصائد الماهر وعلى ان للكلب في تمييز الدرارج والاصعاد خلف

الارنب

الارنب في التشابه من الرفق وحسن الاهتداء والتأني ما لا يخفى مكانه على ابنا زهرة
والكلابين وقد حدثني صديق لي انه حبس كلبا في بيت واغلق دونه الباب في الوقت الذي كان
طباخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ثم احد السكين بسكين فنبح الكلب وقلق ورام فتح
الباب لتوهمه ان الطباخ قد رجع من السوق بالوظيفة وهو يحد السكين لقطع اللحم فلما
فلما كان بالعشي صنعنا به مثل ذلك لنتعرف حاله في معرفة الوقت فلم يتحرك قال وصنعت
ذلك بالكلب لي فلم يقلق الا قلقا يسيرا فلم يلبث ان رجع الطباخ باللحم فصنع بالسكين مثل
صنيعه فقلق حتى رام فتح الباب فقلت والله لئن كان قد عرف الوقت بالعهد فتحرك له فلما
لم يشم رائحة اللحم عرف ثم لما سمع صوت السكين والوقت بعد لم يذهب وقد جيء باللحم
من المطبخ وهو حيث عرف فصل ما بين احداد السكين واحداد الطباخ ان هذا
ايضا العجب وان اللحم ليكون بيني وبينه الذراعان والثلاثة فلا اجد ريحه الا بعد ان ادنيه من
انفي وكل ذلك عجب ولم اجد اهل سكة اسطفانوس ودار جارية وباب قرابة بني منقر
يشكون ان كلبا كان يكون في اعلى السكة وكان لا يجوز مجلس الحارس ايام الاسبوع كله حتى
اذا كان يوم الجمعة اقبل صلاة الغداة من موضعه ذلك الى دار جارية فلا يزال بها ما دام
على معلاق الجزار شيء من اللحم وباب جارية باب بني عبده الجند في جميع ايام الجمع خاصة
فكان ذلك لهذا الكلب عادة ولم يره احد منهم في ذلك الموضع حتى اذا كان غداة الجمعة
اقبل فليس يكون مثل هذا الا عن معرفة مقدار ما بين الوقتين ولعل كثيرا من الناس يتناولون
بعض المواضع في يوم الجمعة اما الصلوة واما لغير ذلك فلا يعد بهم النسيان من العام
وان استذكار بعضهم وهذا الكلب يشم من نفسه ولم يستذكر بغيره ورغم هولاء باجمعهم
انهم تفقدوا هذا من شأن الكلب منذ اشهر لصنعه هذا فلم يجدوه غادر ذلك يوما واحدا
فحدثني ابو الحسن بن حلوق عن ابي عثمان لبعض الثوا • احمد عند جاره وشفيقه •
وينبش عنه كلبه وهو ضاربه • قال ابو عثمان قبل ذلك لان رجلا خرج الى الجبان يتخطى
ركابه فاتبعه كلب كان معه فضرب الكلب وكره ان يتبعه ورماه بحجر فادماه وابى الكلب
الا ان يذهب معه فلما صار الى الموضع الذي يريد فيه الانتظار والكلب قريب منه فربضا

هو كذلك اذ اتاه اعداء له يطلبونه بطائلة لهم عنده وكان معه جار له واخوه فاسلماه
وهرب فجرح جراحات ورمى به في بئر غير بعيدة القعر ثم حثوا عليه التراب حتى غطوا
راسه ثم كمموا فوق راسه منه والكلب في ذلك يهر فلما انصرفوا اتى راس البئر فما زال
يعوي ويبحث التراب بيده ويكشف عن راسه حتى اظهر راسه فتنفس ووصل اليه
الروح وقد كاد يموت ولم يبق فيه الا حشاشة فبينا هو كذلك اذ مر ناس فانكروا مكان
الكلب وراوه كانه يحفر على قبر فنظروا فاذا هم بالرجل في تلك الحال فاستخرجوه
حيا حتى ادوه الى اهله وزعم ان ذلك الموضع يدعا بئر الكلب وهذا العمل يدل على وفاء
طبيعي والف غريزي ومحاماة شديدة وعلى معرفة وصبر وعلى كرم وشكر وعلى غناء
عجيب ومنفعة تفوق المنافع الا ان ذلك كله على غير تكلف ولا تصنع وقال مؤمل بن
خاقان قيل لاعرابي من بني اسد وقد اكل لحم كلب اتاكل لحم الكلب وقد قال الشاعر
اذا اسدي جاع يوما ببلدة • وكان سمينا كلبه فهو اكله • اكل هذا قرم الى اللحم فانشاء
الاسدي يقول • رضينا بحظ الليث طعما وشهوة • فاين ابا الحلفاء ان كنت لا تدري
قال وذلك ان الاسد لا يحرص على شيء من اللحمان حرصه على لحم الكلب واما العامة
فتزعم ان لحوم الناس احب اللحوم اليه ولذلك يطيف الاسد بحيات القرى طلبا
لاغترار الكلب لان وثبة الاسد تعجل الكلب على القيام وهو رابض حتى ربما دعاهم الى ذلك
اخراج الكلاب من قراهم لئلا يكون يقرب قراهم حتى اذا ترك فليس لهم شيء احب اليهم من
ان لا يكثر الاسد عندهم وانما يخرجون عنهم تلك الحال الكلاب لانهم يخافونها على ما هو
عندهم انفس من الكلب لا يكون ذلك الا في القرى التي تقرب الغيضة والاجمة
وزعم لي بعض البدو فيني وقال قولا لا ادري كيف هو زعم انهم لا يشكون انه انما يطلب
الكلب لخفته عليه لا من طريق ان لحمه احب اللحمان اليه وان الاسد ليأتي مناقع المياه
ويتطلع الانهار فياكل السراطين والضفادع والرق والسلاحف وانه اشره من ان
يختار لحما على لحم وقال وانما ذلك يكون منها اذا اراد التطرف من حمير القرى وشبابها
وساير دوابها فاذا لج الكلب في النباح انتبهوا ونذروا بالاسد فحالوا بينه وبين ان

يحصنوا

يحصنوا اموالهم ويمنعوا ان يلجوا به فيرجع خائبا فاذا اراد ذلك بدا بالكلب لان
يامن الاندار ثم يستولي على القرية بما فيها فانما يطلب الاسد الكلاب لهذه العلة
وسمعت حديثا من شيوخ ملاحي طريق الموصل وانا هابط له وسمعت الحديث يدور
بينهم ويعرفه جميعهم زعموا ان الاسد ربما جاء الى قلس السفينة فيتشبث به ليلا
والملاحون يمدون السفينة فلا يشكون ان القلس قد التف على صخرة او تعلق بجرم
شجرة ومن عادتهم ان يبعثوا الاول من المدادين ليخلصه فاذا رجع اليه الملاح
ليمد تمدد الاسد ولزق بالارض وغمض عينيه كيلا يبصر وميضها بالليل فاذا قرب
وثب عليه فخطفه فلا يكون للملاحين هم الا القاء انفسهم الى الماء وعبورهم وربما
الكلب ونباح فريسته الى عرسه وعرسه والى محاذاته واشباله وان كان ذلك على
امثال قالوا فليس الديك من بابة الكلب لانه ان ساوره قتله فزاد ذلك وسلاح
الكلب الذي فيه اقوى من صيصة الديك الذي في رجله وصوته اندى وابعد
مدى وعيناه ايقظ والكلب يكفي نفسه ويحمي حريمه ويعول اهله فيكون لصاحبه
غنمه وليس عليه غرمه وبما ترى الدواب من الناس وبما يجرب ويجرح وينطح ويقتل
اهلها في يوم واحد اكثر مما يموت من جميع الكلاب في عام والكبش ينطح فيعقر ويقتل
من غير ان يهاج ويعبث به والثور ينطح ويقتل من غير ان يهاج ويعبث به والبرذون
يعض ويرمح من غير ان يهاج وانت لا تكاد ترى كلبا يعض احدا الا من تهييج شديد
واكثر ذلك انما هو النباح والوعيد والكلب يعرف وجه ربه من وجه عبده وامته
ووجه الزائر لهم حتى ربما غاب صاحب الدار حولا مجرما واذا ابصره قاد ما اعتراه من
الفرح والبصبصة والعواء الذي يدل على السرور وعلى شدة الحنين بما لا يكون شيء
فوقه وخبرني صديق لي قال كان عندنا جرو كلب وكان لي خادم لطالما تقربه مولعا
بالاحسان اليه كثير المعاينة له فغاب الى البصرة اشهرا فقلت لبعض من عندي اتظنون
ان فلانا يعني الكلب يثبت اليوم صورة فلان يعني الخادم الغائب وقد غاب عنه وهو جرو
وقد صار كلبا يشغر ببوله قالوا ما نشك انه قد نسي صورته وجميع ما كان به قال ببا

انا جالس في الدار اذ سمعت من قبل باب الدار نباحا فلم ار شكل نباحه مثل شكل التوثب
والتوقع ورايت فيه بهجة السرور وحنين الالف ثم لم البث ان رايت الخادم طالعا
علينا وان الكلب ليلتف على ساقيه ويرتفع الى فخذيه وينظر في وجهه ويصيح صياحا
يستبين فيه الفرح وقد بلغ من افراط سروره اني قد ظننت انه قد كان عرض له ثم كان
بعد ذلك يغيب الشهر والشهرين ويمضي الى بغداد ثم يرجع الى العسكر بعد ايام فاعرف
بذلك الفرح من الصيحة وبذلك النوع من النباح ان الخادم قد قدم حتى ربما قلت لبعض
من عندي ينبغي ان يكون فلان قد قدم وهو داخل عليكم مع الكلب وزعم لي انه ربما الح
لهذا الجرو الى ان صار كلبا تاما ببعض الطعام فيأكل منه ما يأكل ثم يمضي بالباقي فيخبأه
وربما القي اليه الشيء وهو شبعان فيحمله حتى يأتي بعض الخرابات فيضعه هنالك حتى اذا
جاع رجع اليه فأكله وزعم لي غلماني وغيرهم من اهل الدرب انه كان ينبح على كل
راكب يدخل الدرب ويهوي الى عراقيب برذونه سايسا كان او صاحب الدابة الا
انه اذا رأى محمد بن عبد الملك داخلا الى الدرب او خارجا منه لم ينبح البتة عليه
ولا على دابته بل كان لا يقف له على الباب ولا على الطريق ولكنه يدخل الدهليز مسرعا
فسألت عن ذلك فبلغني انه كان اذا اقبل صاح به الخادم واهوى اليه بالمقرعة فيدخل
الدهليز وانه ما فعل ذلك به الا ثلث مرات حتى اذا صار يراه دخل الدهليز من تلقاء
نفسه فاذا جاز وثب على عراقيب دواب الشاكرية ورايت هذا الجرو عندهم مشهورا
قال وكنا اذا تغدينا نادانا من الخوان فزجرناه مرة او مرتين فكان لا يبرح بنا لزجرنا ولا
يبعد من الخوان لعلة الطمع فان القينا اليه شيئا اكله ودنا من اجل ذلك بعض
الدنو فكنا نستظهر عليه ونلقي اللقمة فوق مربضه باذرع فاذا اكلها ازداد في الطمع
فقرب ذلك من الخوان ولم يجز موضعه الذي كان فيه ولولا ما كنا نقصد من امتحان ما
عنده لبعض ما يظهر منه حديثا لما كان اطعام الكلب والسنور خطأ من وجوه اولها
ان يكون تدريبا له ودربة حتى ان شلوه ربما مد يده الى ما على المائدة وصح ربما تناول
بقية ما عليها وربما قاء الذي اكل وهم يرونه وربما لم يرض بذلك حتى يعود في قيه وهذا

كله

كله مما لا ينبغي ان يحضره الرئيس ويشهده رب الدار وهو على اي شيء اجوز فاما علماء
الفرس والهند واطباء اليونانيين ودهاة العرب واهل التجربة من نازلة الامصار
وحذاق المتكلمين فانهم يكرهون الاكل بين يدي السباع يخافون نفوسها واعينها للذي
فيها من الشره والحرص والطلب والكلب ولما يتحلل عند ذلك من اجوافها من البخار الردي
وينفصل من عيونها من الامور المفسدة التي اذا خالطت الطباع الانسان نقضت
وقد روي مثل ذلك عن الثوري عن سماك بن حرب عن ابن عباس قال على المنبر في البصرة
ان الكلاب من الجن فاذا غشيتكم منها شيء فالقوا اليها شيئا واطردوه فان لها نفسا
ولذلك كانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والاشربة على رؤوسهم وهم يأكلون مخافة
النفس والعين وكانوا يأمرون باشباعهم قبل ان يأكلوا وكانوا يقولون في السنور
والكلب اما ان تطرده قبل ان يراك تاكل واما ان تشغله بشيء يأكله ولو بعظم ورايت
بعض الحكماء وقد سقطت من يده لقمة في بيع راسه فاذا عين غلام له تحرق نحو لقمته واذا
الغلام يزدرد ريقه لتحلب فمه من الشره وكان ذلك الحكيم جيد اللقم طيب الطعام يضيق
على غلمانه فيزعمون ان نفوس السباع واعينها من هذا الباب اردى واخبث وبعض
هذا المعنى بين قلوبهم في اصابة العين مقدار من العدد لا يستطيع ان يجعل مثل ذلك
السنور من باب الاتفاق وليس الى رد ذلك سبيل لتواتره وترادفه ولان العيان قد
حققه والتجربة قد جمعت عليه وفي الحديث الماثور في العين التي اصابت سهل بن حنيف
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بالذي امر وذلك مشهور وقالوا ولولا ان فاصلا
ينفصل من عين المستحسن الى بدن المستحسن حتى يكون ذلك الداخل عليه هو الناقض
لما جاز ان يلقى مكروها البتة وكيف يلقى مكروها من انسان في جزء وموضعه والوجه
اصابة العين في جزء وموضعه من غير تماس ولا تصادم ولا فاصل ولا جار عامل
معمول فيه ولا يجوز ان يكون المعتل بعد صحته يعتل في غير معنى بدنه ولا ينتقض الاخلاط
ولا تنزايل الاركان بعرض لانه حينئذ يكون ليس باولى بالانتقاض من جسم اخر وان جاز
للصحيح ان يعتل من غير حادث جاز للعليل ان يبرأ من غير حادث وكذلك القول في الحركة

والسكون اذا جاز ذلك كان الغايب قياسا على الحاضر الذي لم يدخل عليه شي من سحس
له فاذا كان لابد من معنى قد عمل فيه فليس لذلك المعنى وجه الا ان يكون الفضل اليه
شي عمل فيه والا فقد يجوز ان يعتل من ذات نفسه وهو على سلامته وتمام قوته ولم يتغير
ولم يحدث عليه ما يغيره وهو وجسم غايب في السلامة من الاعراض سواء وهذا من جواب
المتكلمين الذين يصدقون بالعقل ويشتون الرواية وليس يكون المتكلم جامعا لاقطار
الكلام متمكنا في الصناعة يصلح للرياسه حتى يكون الذي يحسن عندنا من كلام الفلسفه
والعالم عندنا هو الذي يجمعها والمصيب هو الذي يجمع بين تحقيق التوحيد واعطاء
الطبايع حقايقها من الاعمال ومن زعم ان التوحيد لا يصلح الا بابطال حقايق
الطبايع فقد حمل عجزه على الكلام في التوحيد ولذلك اذا زعم ان الطبايع لا تصح اذا
قرنتها بالتوحيد ومن قال ذلك فقد حمل عجزه على الكلام في الطبايع وانما يانس منك
الملحد اذا لم يدعك التوفير على التوحيد الى بخس حقوق الطبايع لان في رفعك
اعمالها دفع اعيانها فاذا كانت الاعيان هي الدلالة على الله فرفعت الدليل فقد ابطلت
المدلول عليه ولعمري ان في الجمع بينهما لبعض الشده وانا اعوذ بالله ان اكون كلما
عمز قناتي باب من الكلام صعب المدخل نقضت ركنا من اركان مقالتي ومن كان كذلك
لم ينتفع به فان قال قايل وما بلغ من امر هذا الفاضل الذي لا يشعر به القوم لحصوله
ولا الذي انفصل منه ولا المار بينهما الملتقي له ببدنه ليس دونه شي وكيف لم يعمل في
الاقرب دون الابعد والاقرب انسان مثله ولعله ان يكون طبعه اشد اجتذابا للافات
والبعد فكيف يكون ذلك يصدع الصحيح ويهيج القايم وينقض القوى ويمرض الاصحا
ويصرع الصحيح ويهشم العظم ويقتل الثور ويميت الحمار ويجري في الخاد مجراه في النبات
ويجري في النبات مجراه في الحيوان ويجري في الصلابة والملاسة مجراه في الاشياء
السخيفة الوجوه وهو مما ليس له صدم كصدم الحجر او غرب كغرب السيف او حد كحد السنان
وليس من جنس السم فيحمل على نفوذ السم وليس من جنس الغذا فيحمل على نفوذ الغذا
وليس من جنس السحر فيقال من العمار فعلوا ذلك من طريق طاعتهم للعزايم قلنا لذلك

انما كان شي وافق شيا فقيل لهم كيف يعلمون مقدار قلة سم الجارح بل سم الافعى وكيف
ولو وزنت الجاره قبل لسعها وبعده لوجدتها على حال واحده وانت ترى كيف تنفخ عقد
بدن الفيل وكيف تنقض قوى البعير من غير صدم كصدم الحجر او غرب كغرب السيف او حد كحد
الرمح فان قلت وهل ناب الافعى وابرة العقرب الا في سبيل حد السنان قلنا ان البعير لو
كان انما ينفخ لطعن العقرب بابرتها لما كان ذلك يبلغ منها مقدار الحس فقط ولكنه لابد
من ان يكون ذلك لاحد امرين اما ان يكون العقرب تمج فيها شيا من ابرتها ويكون طبع ذلك
وان قل ان ينفخ منه الفيل والزندبيل واما ان يكون طبع الدم اذا لاقاه طبع ذلك الناب وتلك
الابرة وان يجمد فيقتل بالاجماد او يذيب فيقتل بالاذابه فايهما ما كان فان الامر فيه على
خلاف ما صدر به الخليل ولا تنازع بين الاعراب والاعراب ناس وانما وصفوا
بيوتهم وابنيتهم بين السباع والاحناش والهمج فهم ليس يعثرون الا بها وليس يعرفون
سواها وقد اجمعوا على ان الافعى اذا اصرفت فلم تطعم ولم يبق في بدنها دم انها تسكن
بانفها وتطعن به ولا تعض فيبلغ السكن لها ما كان يبلغ فيها قبل ذلك اللدغ وهل
عندنا في ذلك الا تكذيبهم والرجوع الى الفاضل الذي انكرتموه لان احد الاعراب من
تلك النحيه ان كان ليس هناك اكثر من تلك الغمزه وقد قال العجاج او ابنه روبه
كنتم كمن ادخل في جحر يدا • فاخطا الافعى ولاقى الاسودا • ثم قال • بالسم لا بالسم منه اقصدا
وقال الاخر • اصم ما سم من خضراء بيتها • وقد حدثني الاصمعي بفرق ما بين البكر وغيره
عند الاعراب ومنها امثال يجري بها وامور قد عاينتموها لذلك بها هذا المعنى عندكم
وسهل هذا المدخل قولوا لنا ما بال العجين يكون في اقصى الدار ويعلق انسان بطيخه في
ادنى الدار فلا يفلح العجين ابدا فما ذلك الفاضل وكيف يقولون الصدم وكان ذلك كصدم الحجر
او غرب كغرب السيف وكيف لم يزهر ذلك الفساد في كل عجين هو اقرب اليه من ذلك العجين
وعلى ان ذكر الحيه الذي تصفه الشعراء والمنكون بيت لا محاله في سبيل ما حدثني به حذاق من
حذاق الاطبا ان رجلا يجر سالحه من دواهي الحيات فيموت الضارب لانهم يرون
ان شيا اتصل من الحيه يسري في العصا وجرى فيها حتى داخل ضاربها فقتله

والاطبا ايضا والنصارى ادرى عليه في الرويا والعين وهذه الغرايب التي تحكى عن
الحيات واما الدهرية فمنكرة للشياطين والجن والملايكة والرويا والرقى وهم يرون
ان امرهم لا يتم لهم الا بمشاركة اصحاب الجهالات وقد يجد الرجل يشم الحنظل
وبينه وبين صاحبه مسافة صالحة البعد فيجد في حلقه مرارة الحنظل وكذلك السوس
اذا هو عولج وبينه وبين الانسان مسافة متوسطة البعد يجد في حلقه حلاوة
السوس وبانف الحنظل ايضا لا تزال عينه تهمل ما كان ينقفه ولذلك قال ابن حرام ٥
كاني غداة البين لما تحملوا ، لدى سمرات الحي ناقف حنظل ، يخبر عن حاله في بعض
ردود دمعه في اثر الحمول يشبه نفسه بناقف الحنظل وقد ذكره امرؤ القيس في قوله
عوجوا على الطلل المحيل لعلنا ، نبكي الديار كما بكى ابن حرام ، ويزعمون انه اول
من بكى في الدار وقد يجد الرجل يقطع البصل ويوجف الخردل فتدمع عينه
وينظر الانسان فيديم النظر الى العين المحمرة فتعتري عينه حمرة والعرب تقول في
المثل لهو اعدى من المولي كما يقولون لهو اعدى من الجرب وذلك ان من تثاءب
مرارا وهو تجاه عين انسان اعترى ذلك الانسان التثاؤب ورايت ناسا من الاطبا
ومن فلاسفة المتكلمين منهم معمر ومحمد بن الجهم وابرهيم بن السندي يكرهون دنو
الطامث من انا اللبن لتسوطه او تعالج منه شيا فانهم يرون ان لذلك فسادا ما دام ذلك
العرض يعرض لها رايحة لها حدة وبخار غليظ يكون لذلك المسوط مفسدا او لا
يبعدن هذا من قلبك تباعدا يدعوك الى انكاره والى تكذيب اهله فان ابيت الا ذلك
فما تقول في فرس يتحصن تحت صاحبه وهو في وسط موكبه وغبار الموكب يمنع استبانة
بعضهم لبعض وليس في الموكب حجر ولا رمكة فيلتفت راكب الحصان فيرى حجرا او
رمكة على قاب غرض او غرضين وغلوة او غلوتين حدثني كيف شم هذا الفرس
الذكر ريح تلك الفرس الانثى وما باله يدخل دارا من الدور وفي الدار الاخرى حجر فيتحصن
مع دخوله من غير معاينة او سماع صهيل وهذا الباب سينفع في موضعه تاما ان شاء الله
قال ابو سعيد عبد الملك بن قريب كان عندنا رجلان يعينان فمر احدهما بحوض من حجارة

فقال احدهما تالله ما رايت كاليوم فتطاير الحوض فلقتين فاخذه اهله فضببوه بالحديد
فمر عليه وانيك لقلما ضررت اهلك فيك فتطاير اربع فلق قال واما الاخر فانه سمع
بولا من وراء حايط فقال انك لكثير الشخب فقالوا انه ابنك قال وانقطاع ظهراه
فقيل له انه لا باس عليه قال لا يبول والله بعدها ابدا فما بال حتى مات قال الاصمعي
ورايت انا رجلا عيونا فدعي عليه فعور قال اذا رايت الشي يعجبني وجدت حرارة
تخرج من عيني وسمع رجل بقرة تحلب فاعجبه صوت شخبها فقال ايتهن هذه
فخافوا عينه فقالوا الفلانية لاخرى ووروا بها عنه فهلكتا جميعا وقد جعل الناس كما
ترى على العين ما لا يجوز ولا يسوغ في شي من المجازات وقول الذي عور اذا
رايت الشي يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني من اعظم الحجج في الفاصل من اصحاب
العين الى المعين ويقال ان فلانا لعيون اذا كان يتشوف للناس ليصيبهم بعين
ويقال عنت فلانا اعينه اذا اصبته بعين ورجل معين ومعيون اذا اصيب
بالعين وقال العباس بن مرداس ٥٥٥ قد كان قومك يحسبونك سيدا ،
واخال انك سيد معيون ، ويقال للعيون انه لنفوس وما انفسه اي ما اشد
عينه وقال اصابته نفس اي عين فاما قول القايل ان من لوم الكلب وغدره
ان اللص اذا اراد ايله اطعم الكلب الذي يحرسهم قبل ذلك ليلا ونهارا مرارا ودنا منه
ومسح راسه ومسح ظهره حتى يثبت صورته فاذا اتاه ليلا استانس الى الدار بمعرفتها فان هذا التاويل
لا يكون يتجه سوء الراي فان سوء الراي يصور لاهله الباطل في صورة الحق وفيه بعض التظلم
للكلب وبعض المعاندة لمحتج عن الكلب وقد ثبت للكلب استحقاق المدح من حيث اراد ان
يهجوه منه فان كان الكلب الذي يفرط الفه وشكره كف عن اللص عند راي احسانه
وثبات صورته فما اكثر من يفرط عليه الحياء حتى ينسب الى الضعف والكرم وحتى ينسب
الى الغفلة وربما شيع الرجل بعض الغفلة ببعض التغافل ليكون اتم لكرمه فان الفطنة اذا
تمت منعت من امور كثيرة ما لم يكن الحلم كريما والعرق سليما وانك انها المتناول حبت
تكلف الكلب مع ما قد عمل له اللص من اللطف والاحسان ان يتذكر نعمة سالفة وان يحرس

من خديعة المحتال اليه مخافة ان يكون يزيغ باكرامه سوء حسن الراى فيه بعيد الغاية فى تفضله ولو كان للكلب اله يعرف بها عواقب الامور ويخاف العيب ويأخذ بحجه ويعطى بحجه ويعرف الحجة من الشبهة ويتفقد من الريبة وهو سبب فى العلة ويخاف زيغ الهوى كان من كبار المتكلمين ومن رؤساء الممتحنين والعادة القائمة والسبق الذى لا يخطئ ولا يغادر والنظام الذى لا ينقطع ولا يختلط فى ذرى التمكين والاستطاعة وفى ذوى العقول والمعرفة ان ابدانهم متى احست باصناف المكروه والمحبوب وازنوا وقابلوا وميزوا بين اتم الخيرين وانقص الشرين ووصلوا كل مضرة ومنفعة فى الاجل وتتبعوا مواقعها وتعرفوا مساقطها كما يتعرفون مقاديرها واوزانها واختاروا بعد ذلك اتم الخيرين وانقص الشرين فاما بالشر صرفا والخير محضا فانهم لا يتوقفون عندهما ولا يتكلفون الموازنة بينهما وانما ينظرون فى الممزوج وبعض ما يخشى معارضته ولا يوثق بمغزاه ومكشفه فيحملونه على خلاص الذهن كما يحمل الذهب على الكير واما ذوات الطبائع المسخرة والغرائز المجبولة التى انما تعمل من جهة التسخير والبنية كالسم الذى يقتل ولا يعذو وكالدواء الذى يقتل بالكمية ولا يغذو وكالغذاء الذى يغذو ويقتل بالمجاورة لهذه الاشباح وان هيأ الله لاصناف الحيوان المسخرة لدرك ما لا تبلغه العقول اللطيفة بلغته بغير معاناة ولا روية ولا توقف ولا خوف من عاقبة ومتى تقدمت اهل العقول المبسوطة الممكنة بطبائعها المقصورة غير المبسوطة ولم يمكنها ان تعرف تلك الطبيعة ما كان بحواز تلك الامور ببديهة ولا فكرة واذا كانت كذلك فليس يوجب ان تكون كلما صنعت امرا ان يمكنها ان تحسن ما كان فى وزنه ووجب ان تحسن ما كان دونه فى الغموض والالطاف وفى الصنعة التى لا تمكن الا بحسن التأدى وبتعمد الروية ومقابلة الامور بعضها ببعض هذا العقل انما يصاب من جهة العقل ومن تمكينه الاستدلال والكف عنه والقطع له اذا شاء واتمامه اذا شاء وبلوغ غايته والانصراف عنه الى عقبه من الافعال ومن جهة نفوذ العلل وتمكينه اكراه نفسه على مقاييس التكلف

والثانى

والثانى ومن كانت الامور له موجودة فانها تنبه على مكانها والا كان وجودها كعدمها وما الحس الغريزى يشعر صاحبها لا تحتاج فى ذلك الى تلقين واشارة والى تعليم وتأديب وان كان صاحب الالة احمق من الحبارى واجهل من العقرب والعاقل الممكن لا يعمل فى هذا المكان على الاشياء المسخرة ولا ينفصل منها فى هذا الباب وليس عند البهائم والسباع الا ما صنعت لها وبنيت عليه والهمت معرفته وكفيت تكلف اسبابها والعلم بها من تلقاء انفسها فاذا احسن العنكبوت نسج ثوبه وهو اعجب العجب لم يحسن عمل بيوت الزنابير واذا صنع النحل خلاياه مع عجيب القسمة التى فيها لم يحسن ان يعمل مثل بيت العنكبوت والسرفة التى يقال لها اصنع من سرفة لا تحسن ان تبنى بيت الارضة على خفاء هذا العمل وغلظه ورقة ذلك العمل ولطافته وليس كذلك العاقل وصاحب التمكين ومن ملك التصرف وحول الاستطاعة لانه يكون وليس بنجار فيتعلم النجارة ثم يبدو له بعد الحذق فيعمل الملاحة ثم ربما ملها بعد ان حذقها وصار الى التجارة

قال صاحب الكلب وزعمت ان قولهم اسمح من لافظة ان اللافظة الديك لانه يقبض على الحبة بطرف منقاره ثم يحذف بها قدام الدجاجة وما رأينا احدا من العلماء ومن الذين رووا هذا المثل يقول ذلك والناس فى هذا المثل رجلان زعم احدهما ان اللافظة العنز فان العنز ترعى فى روضة وتأكل من معلفها وبرحابها فيدعوها الراعى او حالبها للحلب باسمها فتترك ما هى فيه حتى تنهل حلبا وقال الاخر الرحى لانها لا تمسك فى جوفها شيئا مما صار فى بطنها وكذلك تكون اللافظة هو الديك وليس لنا ان نلحق فى هذه الكلمة بهذا التأنيث فى اسماء الذكورة واللافظة مع هذا التأنيث بالعنز والرحى اشبه وانما سمينا الكلب راويه وحامل العلم راويه وعلامه حين اجمع اهل اللغة على ذلك ولم يختلفوا فيه وكيف والاختلاف بينهم فى ان الديك خارج من هذا التأويل وانما كان اختلافهم بين الرحى والعنز وبعد فقد زعم ثمامة بن اشرس ان ديكهم يطرد الدجاج عن الحب وينتزع الحب من افواه الدجاج قال صاحب الديك قولهم اسمح من لافظة لا يليق بالرحى لان الرحى صخرة صماء والذى يخرج ما فى بطنها المدير لها والعرب انما تمدح

بهذه الاسماء الانسان وما جرى مجراه في الوجوه الكثيرة ليكون ذلك مسخرة للانسان
وداعية الى السباق وبلوغ الغايات واما تركنا ذكر العلف فليس بلفظ العلف الا
ان تحملوا ذلك على المجازات البعيدة وقد يكون مثلا عند بعض الحزوره واكثاره تربضع
من حلفها حتى تاتي على اقصى لبن في ضرعها وتنثر العلف وتقلب المعلف وتنطح من
قام عليها واتاها بغذائها وهي من اجهل البهائم وزوجها شتيم المحيا منتن الريح
يبول في جوف فمه وفي حلق خياشيمه ويقال انما هو تيس في سجيته اذا ارادوا
الغباوة وما هو الا تيس اذا ارادوا نتن الريح والعنز حمقاء وابوها وهو
التيس احمق منها وامر الديك وشأنه وكيف يلفظ ما قد صار في منقاره وكيف
يؤثر به طروقته من ذات نفسه شيء يراه جميع الناس وبهذه المكرمة وهذا
الغزل وهذا الايثار شيء لم يكن في ذكر قط لانثى لا مما يزاوج ولا مما لا يزاوج
الا الديك والديك احق بهذا المثل وان كنتم قد صدقتم عن العرب في تاويل هذا
المثل فهذا غلط من الاعراب وعجبه للدني وعشق للرقيق والمثل انما يلفظ به
الرجل من الاعراب وليس الاعراب يعنوه الا في الجد والسخف وفي الاسماء
فاما في غير ذلك فقد تخطئ وتصيب والديك احق بهذا المثل الذي ذكرنا بالسائر
خصاله الشريفة والذي يدل على ان هذا الفضل من الديك انما هو من جهة
الغزل لا غيره لانه لا يفعل ذلك اذا هرم وعجز عن السفاد فانصرفت رغبته
عنهن وهو في ايام شبابه انهم واحرص على الماكول والبصر بالحب فما باله لم
يؤثرهن عند زهده ويؤثرهن عند رغبته وما باله لم يفعل ذلك وهو فروج
ويفعل ذلك حين الحاق السفاد فتركه لذلك في اوقات العجز عنهن وبذله في
اوقات القوة عليهن دليل على الذي قلنا وهذا بين لا يرده الا جاهل او معاند
قال صاحب الكلب لسنا ننكر خصال الديك وما فيه من الخصال المحمودة
ولولا ذلك لما مثلنا بينه وبين الكلب ومن يمثل العسل والخل في الحلاوة والحموضة
وكيف يفضل شيء على شيء وليس في المفضول شيء من الفضل الذي قلتم من قذفه

بالحب

بالحب قدام الدجاج صحيح وليس هذا الذي انكرنا من صنيع المثل الذي ضربتموه الى محتجكم
وتركتم تقليد من صار الى الناس بقلده وهم الشاهد والمثل وان جاز لكم ان تردوا عليهم
هذا المثل جاز لكم من ذكره مثلا او شاهدا ان يرد عليهم كما رددتم وفي ذلك افساد
من العرب كله فان زعمتم ان الديك كان احق فخصومكم كثير ولسنا نحيط باوايل
كلامهم على اي مقادير كانوا يضعونها ومن اي شيء اشتقوها ولعل كان بسبب
وبت شيء قد انكرناه فاذا عرفنا سببه اقررنا به قال ابو الحسن مر اياس بن معوية
بديك ينقر حبا ولا يقذفه فقال ينبغي ان يكون هرما فان الهرم اذا القي له حب
لم يقذفه والشاب يقذفه ليجتمع الدجاج حوله والهرم قد فنيت رغبته فيهن
فليس همه الا نفسه ورووا عنه انه قال لا لقطه الديك الشاب فانه ياخذ الحبة
فيوثر بها الدجاج والهرم لا يفعل ذلك فانما هو لا قطه ما دام شابا وقال
صاحب الكلب وقد ذكر ابن سيرين عن ابي هريرة ان كلبا مر بامراة وهو
يلهث عند بئر فجعلت تسقيه فغفر الله لها وعنه ايضا قال غفر الله لمومسة مر بها
كلب يلهث فنزعت خفها وسقته وقال صاحب الكلب وقال ابن داحة
ضرب ناس مع السلطان جارا لنا ولببوه وسحبوه وجروه وله كلب قد رباه فما
زال الكلب ينبح عليهم ويواثبهم ويشق ثيابهم ولولا ان المضروب المسحوب كان يكفه
ويزجره لقد كان عقر بعضهم او سلغهم منهم وقال ابرهيم قد متم السنور على الكلب
ورويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الكلاب واستحبابا السنانير وتقريبها
وتربيتها للعلة عند سيلتهم هن من الطوافات عليكم وكل منفعة عند السنور
فانما هو اكل الفار فقط وعلى انكم قلما تجدون سنورا يطلب الفار ويأكل الفار
ويأكل الفار لم يعدمكم ان يأكل حمامكم وفراخكم والعصافير التي تتلهى بها اولادكم
وكل طاير مما يتخذ لحسنه او لحسن صوته ولا بد منه للوثوب على صغار الفراريج
فان هو عف عن اموالكم لم يعف عن اموال جيرانكم ومنافع الكلب لا يحصيها الطوامير
والسنور مع ذلك يأكل الاوزاغ والعقارب والخنافس وبنات وردان ودخالا

الاذان والجرذان وكل خبيثة وكل ذات سم وكل شي تعافه الانفس ثم قلتم في سؤر السنور
وفي سؤر الكلب ما قلتم ثم لم ترضوا بذلك حتى ضممتموه الى بشكم ولا يشك الناس انه
اطيب افواها من الكلاب وكذلك كل انسان رطب الفم كثير الريق سايل اللعاب والخلوف
لا يعرض للذين تسيل افواههم ومن كان لا يعتريه الخلوف فهو من البخر ابعد
وكان لطول انطباق الفم يورث الخلوف فكثرة تحلب الافواه بالريق ينفي الخلوف
وحتى ان من سال من فيه اللعاب نايما فتفوا له بالسلامة منه وان استنكهوه مع
انتباهه وهو على الريق ولذلك يقال ان اطيب الناس افواها الزنج وان كانت
لا تعرف سنونا ولا سواكا على ان الكلب سبع وسباع الطير وذوات الاربع
موصوفة بالبخر والذي يضرب به المثل في ذلك الاسد والصقر وقد وصف ذلك
محمد بن عبدك في هجايه محمد بن حسان بن سعد فقال ، نكهت على نكهة اخدري ،
شتيم شابك الانياب ورد ، وقاد بتار ، وافى من الخربان في ليلة الطوى
واقلف من صقر وان كان ذا طعم ، يهجو بذلك حماد عجرد وقوله ليس في البهائم اطيب
افواها من الظباء وزعم علماء البصريين وذكر ذلك ابو عبيدة النحوي وابو اليقظان
سحيم بن حفص وابو الحسن المدايني وذكر ذلك محمد بن حفص عن مسلمة بن محارب وهو
حديث مشهور في مشيخة اصحابنا البصريين ان طاعونا جارفا اتى على اهل دار فلم يشك
اهل تلك المحلة ان لم يبق فيها احد كبير ولا صغير وقد كان بقي فيها صبي يحبو ولم يرتضع
ولا يقوم على رجليه فعمد من بقي من المطعونين من اهل المحلة الى باب تلك الدار
فسدوه فلما ان كان بعد ذلك باشهر تحول فيها بعض ورثة القوم ففتح الباب فلما
افضى الى عرصة الدار اذا هو بصبي يلعب مع جراء كلبة قد كانت لاهل الدار فراعهم
ذلك فلم يلبث ان اقبلت تلك الكلبة فلما راها الصبي حبا اليها فامكنته من اطبائها
فمصها فظنوا ان الصبي لما بقي في الدار وصار منسيا واشتد جوعه راى اجراءها
يرتضع من اطبائها حبا اليها فعطفت عليه فلما سقته مرة ادامت ذلك له وادام هو
الطلب والذي هدى المولود الى مص ابهامه ساعة يسقط من بطن امه ولم يعرف

كيفية

كيفية الارتضاع ولو لم يكن الهداية اليه شيئا مجعولا في طبعه لما مص الابهام وحلمة الثدي
فلما افرط عليه الجوع واشتدت حالته وكلبت نفسه وتلك الطبيعة دعته بذلك للصعود
في الكلاء والمعرفة الى الطلب والدنو فسبحان من دبر ذلك والهمه وسواه ودل عليه
ومثل هذا الحديث ما حدثني به مايويه صاحب الحمام ولو سمعت قصصه في كتاب اللصوص
علمت انه بعيد من الكذب والتزيد وقد رايته وجالسته ولم اسمع هذا الحديث
منه ولكن حدثني كم شيت من مشايخ البصريين النزول بحضرة مسجد بني رغبان
قال مايويه كان عندي في منزلي زوج حمام مقصوص وزوج طيار وفرخان
من فراخ الزوج الطيار وكان في الغرفة تقيصص اعلاها وقد كنت جعلت قدام الكوار
بابا يكون مسقطا لما يدخل ويخرج من الحمام فتقدمت في ذلك مخافة ان يعرض لي
عرض فلا يكون للطيور منفذ للمخف ولورود الماء فبينا انا كذلك اذ جاءني رسول
السلطان فوضعني في الحبس فنسيت الزوج الطيار والفرخين وما لهما من التقي وما لهما
من الكرم وبحث من رحمة الزوج المقصوص وشغلني الاهتمام به عن كثير مما انا فيه وقلت اما
الزوج فانهما يخرجان ويدخلان ويزقان ولعلهما ان يسلما ولعلهما ان يذهبا
وقد كنت دربتهما حتى نحضا ووردا فاذا شب الفرخان نهضا مع ابويهما سقطا
على المعلاة فاما ان يثبتوا واما ان يذهبا ولكن كيف يكون حال المقصوصين ومن
اسوا حالا منهما قال فخلي لي السبيل بعد شهر فلم يكن لي هم الا النظر الى ما خلفت من
الحمام فاذا الفرخان قد ثبتا واذا الزوجان الطايران على حالهما الا اني رايتهما
زاقين ارى ذلك في موضع العب وفي القراطيس واصول المناقير وفي عيونهما ولا اشك
في موت المقصوصين ثم دخلت الغرفة فاذا الزوج المقصوص على احسن حال فاشتد
تعجبي من ذلك فلم البث ان دنوا الى افواه الزوج الطيار يصنعان كما يصنع
الفرخ في طلب الزق ورايتهما وقد زقاهما فاذا هما لما اشتد جوعهما وكانا يريانهما
يزقان الفرخين ورايا الفرخين حين يستطعمان وكيف يستزقان فلما افرط عليهما
كلب الجوع وحب النفس وتلهب العطش وما في طبعهما من الهداية على ان طلبا

ما طلب الفرخان فعطفا عليهما فزقاهما ثم صار الزق عادة في الطائر والاستطعام
عادة في المعصوص ومن الحمام حمام يزق فراخه ولا يزق شيئا من فراخ غيره وان
دنا منه مع فراخ غيره وشاكل فرخه في القد والحس واللون ومن الحمام حمام لا يزق
فرخه بتة حتى يموت وانما تعظم البلية على الفرخ اذا كان الاب هو الذي لا يزق لان
الولادة وعامة الحضن وثقل على الام فاذا طلب الولد فعاده الزق على الاب كانه
صاحب العيال والكاسب عليهم والام التي تحمل وتلد وترضع واعجب من هذا
الطائر الذي يقال له كاسر العظام فانه يبلغ من بره بالفراخ كلها بعد القيام بشان
نفسه وفراخه انه يتعهد فرخ العقاب الثالث الذي تخرجه من عشها لانها اشره
الطير وارغبه بطنا واقسام قلبا واسوامه خلقا ولا تحمل اطعام ثلثة وهي مع
ذلك سريعة الجوع فتخرج ما فضل من فرخين فاذا اخرجته قبله كاسر العظام
والمعه ولان العقاب من اللائي تبيض ثلث بيضات في اكثر حالاتها وعيب رجل
اعرابيا من بني اسد باكل لحوم الكلاب وذهب الى قوله • يا فقعسي الكلته لمه •
لو خافك الله عليه حرمه • فما اكلت لحمه ولا دمه • فقال له الاعرابي اما
علمت ان الشره والشجاعة والباس والقوة من الحيوان في ثلثة اصناف العقاب
في الهواء والتمساح في الماء والاسد في الغياض وليس في الارض لحم اشهى الى النمر
والى الاسد من لحم الكلب فان شئتم فعدوه عدوا لما يا كلانه من طريق الحنق والغيظ
وطلب الثار وان شئتم فقولوا غير ذلك وبنو اسد اسد الغياض واشبه شي بالاسد
فلذلك تشتهي من اللحمان اشهاها الى الاسد والدليل على انهم اسد وفي طباع
الاسد انك لو احصيت جميع القتلى من سادات العرب وفرسانهم لوجدت شطرها
او قريبا من شطرها بني اسد وقالوا ثم بعد ذلك ان الكلب لا يرضى بالنوم
والربوض على نباض الارض وعلى عفر التراب وهو يربض على ظهر البساط
ولا يرضى بالبساط وهو يجد الوساده ولا يرضى المطارح دون مرافق المطارح
فمن نبله في نفسه يتخير ابدا ارفع موضعا في المجلس وحيث يدعو رب المجلس

صيانة

صيانة له وانقاد عليه الى ان يقعد فيه من لا يجوز ان يكون الاصرار فلا تعصر
الكلب الا ان يرى عليه وقد كان في زمن معاوية بعمان امرها تخاذ المعصوص
وبعد ضربه الترك اياه بالسيف انه الجر على منبره كلبا هذا مع ما طبع عليه من اكرام
الرجل لجميل اللباس حتى لا ينبح عليه ان دنا من باب اهله ومع الوثوب على كل
اسود وعلى كل بادي الهيئة وعلى كل سفلة يشبه حاله حال اهل الريبة ومن كبره
وشدة عجبه وتجبره وفرط حمايته والفه واحتقاره انه متى ما نبح على رجل في
جوف الليل واراده والح عليه ولم يمنعه حارس ولم يمكنه العقوبة فذو اوده عند
الرجل انه لا ينجيه منه الا ان يقعد بين يديه مستخزيا له مستسلما فانه
اذا راه في تلك الحال دنا منه فشغر عليه ولم ينبحه كانه حين طغى به وراه تحت
قدرته اراد ان يسمه بميسم ذل كما كانت العرب تجز نواصي الاسرا من الفرسان
اذا ارادت ان تخلي سبيلها وتمن عليها ولو كف العربي وامسك عن جز ناصيته
لوسمة الاسر من الشعر والبواقي الى اللذات البواقي التي هي ابقى من الميسم بما هو
اضر عليه من جز ناصيته ولعله لا يبلغ اهله حتى تستوي مع ساير شعر راسه ولكن
ذل الجز لا يزال ملوحا في وجهه ولا يزال له اثر في قلبه ذكروا ان مطرف بن
عبد الله كان يكره ان يقال للكلب اخس وما اشبه ذلك وفي دعاية على اصحاب
الكهف الذي كان اربابه لا يمنعونه من دخول مصلاه حيث قال اللهم امنعهم
بركه صبح دليل على حسن رايهم فيه قال ومر المسيح بن مريم صلوات الله عليه
ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال احدهم ما اشد نتن ريحه قال جهلا قلت
ما اشد بياض اسنانه قالوا وقال رجل للكلب مرة اخس ويلك وقال حمام بن
لك الويل لاهل النار والهراش الذي يكون بين الكلاب والشر الذي يحرك
بينهما يوشك يكون بين جميع الاجناس المتفقة كالبرذون والبرذون والحمار
والحمار والبعير والبعير والحمام والحمام وكذلك جميع الاجناس واما الذي يفرط
ويتم ذلك فيه ويمتنع به ناس من الناس ويقع فيه القمار ويتخذ لذلك وينفق

عليه ويغالى به كالكلب والكلب والكبش والديك والديك والسمان والسمان
والجد والجود فاما الجود فانه لا يقاتل الجد حتى يشد رجل احدهما فى طرف خيط ويشد
الجد الاخر بالطرف الاخر ويكون بينهما من المساوره والعض والخمش واراقة الدما وخرق
الجلود ما لا يكون بين شيئين من الانواع التى تهارش بها والذى يحدث للجرذان طبيعة
القتال الرباط نفسه فان انحل الخيط وانقطع العقد اخذ هذا شرقا وهذا غربا ولسم
يلتقيا ابدا واذا تقابلتا جحره الفار والجرذان وخلا لهما الموضع فبينهما شر طويل ولكنه
لا يعدو الوعيد والصخب ولا يلتقى منهما اثنان ابدا وحدثنى ثمامة بن اشرس قال كان فى
الحبس معى جحر فار تبلقاه جحر اخر قال فلما خرج صاحب هذا الجحر وقابله الاخر فنزى لكل
واحد منهما وعيدا وصياحا ووثوبا حتى تظن انهما سيقتتلان حتى يقتل كل واحد
منهما صاحبه فبينا كل واحد منهما فى غاية الوعيد اذ مر هاربا حتى دخل جحره فصار الى
كذلك حتى اتانا الله تبارك وتعالى بالفرج وخلى سبيلى وزعم ان السلوقيه الطويله
المناخر اجود شما والشم العجيب والحس اللطيف فى ذلك للى فى كله الا ان ذلك فى
طلب الذكوره للاناث والاناث للذكوره خاصه واما شم الماكول واسترواح الطعم
فللسباع فى ذلك ما ليس لغيرها وان الفار يشم وان الذئب ليشم وان السنانير
لتشم وكذلك الكلب وله فى ذلك فضيله ولا يبلغ ما يبلغ الذئب وقال اعرابى ٥
صار ابو الضيم من اربابها • صب عليها الله من ذئابها • الملس لا ينحاش من كلابها
يلتهم الطالع فى اهابها • بالحربة الاولى فلا شرابها .

باب ما يشبه بالكلب او بشى منه

اذا جرى الفرس المحجل شبهوا قوايمه اذا ارتفعت فى بطنه فنصف تحجيلها
كانها الكلب صغار بيض تعدوا وقال فى ملك البدريه • كان اجراء كلاب بيض •
دون صفاقيه الى التوبيض • وقال العمانى • كان تحت البطن منه الكلبا •
بيضا صغارا ينتهشن المنقبا • وقال الاخر • كان قطنا وكلابا اربعا •
دون صفاقيه اذا ما ضبعا • ويصفون الطلع اول ما يبدو صغارا باذان الكلاب
البيض وقال الراجز يصف صوت الشخب فى الاناء بهرير هراش الكلاب وقال

اعرابى

اعرابى • كان خلفيها اذا ما درا • جروا هراش هورشا فهرا • وقال الاخر •
كان صوت شخبها المسحنفر • بين الاباهيم وبين الخنصر • هراش اجراء ولما تشخر
وقال ابو دواد • طويل طامح الطرف • الى مفزعة الكلب • وزعم الهيثم بن
عدى انه كان رجلا يسمى كلبا وكان له ابن يلعب فى الطريق فقال له رجل ابن من انت يا صبى
قال ابن ووووو ويحبون ان يكون ذنب الكلب الصايد بابسا ليس عليه من اللحم قليل
ولا كثير ولذلك قال الراجز • تلوى باذناب قليلات اللحى • وقال ايضا •
انى وان ابن علاق ليقربنى • كالغابط الكلب يبغى الطرق فى الذنب • قال الطرق الشحم اليسير
يقال ليس فيه طرق وليس فى الارض فرخ ولا جرو ولا شى من اولاد الحيوان اسمن وارطب
واطيب من جراء الكلب وهى اشبه شى بالحمام فان فراخ الحمام اسمن شى وهى ما دامت صغارا
من غيران تسمن فاذا بلغت لم تقبل وكذلك اولاد الكلاب وقال الاخر ٥
واغضف الاذن طاو البطن مضطمر • من هوه رذم الخيشوم هرار • الاصمعى قال قال اعرابى
اصابتنا سنه شديده ثم اعقبتها سنة فتتابع فيها المطر فسمنت الماشيه وكثرت الالبان
وسمن ولا اللحى حتى كان احدهم بريزه جرو يتمطى ابو الحسن قال قال
ابو العباس امير المومنين لابى دلامه سل قال كلبا قال ويلك وما تصنع بالكلب
قال قلت سل والكلب حاجتى قال لك كلب قال ودابة للصيد قال ودابة قال وغلام
يركب الدابه ويصيد قال وغلام قال وجاريه تصلح الصيد لنا وتعالج طعامنا قال
وجاريه قال يا امير المومنين كلب وغلام وجاريه ودابة هولاء عيال لا بد من دار قال
ودار قال لا بد من غله لهولاء او ضيعة قال قد اقطعتك مايتى جريب عامره
ومايه غامره قال واى شى هى الغامره قال ليس فيها نبات قال انا اقطعك خمسمايه
جريب من فيافى بنى اسد غامره قال فقد جعلنا المايتين عامره كلها قال ثم هل بقى
لك شى قال نعم قال اقبل يدك قال اما هذه فدعها قال ما منعت عيالى شيا
اهون عليهم فقدا من هذه ابو الحسن عن ابن ابى مريم قال كان بعرفنا بالمدينه
رجل قد كثر عليه الدين حتى توارى من غرمايه ولزم منزله فاتاه غريم له عليه

شيء يسير فتلطف حتى وصل اليه فقال ما تجعل لي ان انا دللتك على حيلة تصير بها
الى الظهور والسلامة من غرمائك تقضيني مالي قال لك حكمك فاستوثق منه بالايمان فقال له اذا
كان غدا وحضر خادمك يكنس بابك ويرش فناءك ويبسط لك على ساباطك فكل من مر بك
وسلم عليك فانبح في وجهه ولا تزيدن احدا على النباح كائنا من كان ومن كلمك فانبح عليه
من اهلك ومن خدمك او غريم او غيره واياك ان تزيده على النباح فان الوالي اذا انتهى اليه
ذلك منك بعد لم يشك في انه قد عرض لك عارض من مس فيخلي عنك ولا يعدي عليك
قال ففعل ذلك فمر به بعض جيرانه فنبح عليهم حتى تسامع الناس وغرماؤه بذلك فاتاه بعضهم
فسلم عليه فلم يزل ينبح عليه ثم مرة اخرى فتعلقوا به ورفعوه الى الوالي فلم يزده على النباح
فامر بحبسه فحبس اياما وجعل عليه العيون فملك نفسه وجعل لا ينطق بحرف سوى
النباح فلما راى ذلك القاضي امر باخراجه ووضع عليه العيون في منزله فكان لا يتكلم
في منزله بحرف ولا يزيده على النباح فلما ثبت ذلك عند القاضي امر غرماءه بالكف
عنه وقال هذا رجل به لمم فمكث بذلك ما شاء الله ثم ان غريمه الذي علمه هذه الحيلة
اتاه يتقاضاه العدة فلما كلمه جعل لا يزيده على النباح فقال له ويلك يا فلان
وعلي ايضا وانا علمتك هذه الحيلة فجعل لا يزيده على النباح فلما ايس مما قبله انصرف
عنه ايسا مما طالبه به ابو الحسن عن مسلمة بن محارب الازدي قال لما تشاغل عبد الملك
بن مروان بمحاربة مصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم فقالوا قد
امكنتك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم ببعض فالراي ان تغزوهم في بلادهم فانك
ان فعلت ذلك نلت منهم ولا تدعهم حتى تنقضي الحرب التي بينهم فيجتمعوا عليك فيا
فنهاهم عن ذلك وخطأ رايهم فابوا عليه الا ان يغزوا العرب في بلادهم فلما راى
ذلك دعا بكلبين فحرش بينهما فاقتتلا قتالا شديدا ثم دعا بثعلب فخلاه لهما
فلما راى الكلبان الثعلب تركا ما كانا فيه واقبلا عليه حتى قتلاه فقال ملك
الروم ترون هكذا العرب تقتتل بينها فاذا راونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا فعرفوا
صدقه ورجعوا عن رايهم قال المغيرة بن شعبة لرجل خاصمه اليه صديق له قد كان

الصديق

الصديق توعده بصداقة المغيرة فاعلمه الرجل ذلك وقال ان هذا يتوعدني بصداقته
اياك فزعم انها تنفعه عندك قال اجل والله انها لتنفعه وانها لتنفع عند الكلب
العقور فاذا كان العقور كذلك فما ظنك بغيره وانت لا تجب من الناس من تنفع
عنده المعرفة من اللقاء الواحد وهذا الكرم في الكلاب عام والكلب يحرس ربه ويحمي
حريمه شاهدا وغائبا وذاكرا وغافلا ونائما ويقظانا لا يقصر عن ذلك وان جفوه ولا يخذلهم
وان خذلوه والكلب ايقظ الحيوان عينا في وقت حاجتهم الى النوم وانما نومه نهارا عند
استغنائهم عن حراسته ثم لا ينام الا غرارا والا غشاشا واغلب ما يكون النوم عليه واشد
ما يكون استثقالا له ان يكون كما قال رؤبة ٭ لا تقتني بطلا كنعاس الكلب ٭ يعني
بذلك القراطقة في المواعد وكذلك الكلب فانه انوم ما يكون ان يفتح عينه بقدر ما يكون
يكفيه للحراسة قال وذلك ساعة بساعة وهو في ذلك كله اسمع من فرس واحذر من عقعق
مع بعد صوته وقيل لرجل من العرب ما الجمال قال غؤور العينين واشراف الحاجبين ورحب
الاشداق وهذه نعت الكلب وللكلب بعد الصوت هذا مع قلة السام والصبر على الجفوة واحتمال
الجراحات الشديدة وجوائف الطعن ونوافذ السهام واذا ناله ذلك لم يزل يلطعه لان ذلك
هو دواؤه حتى يبرا ولا يحتاج الى طبيب ولا الى مراهم ولا الى علاج وتقول العرب الضب
اطول شيء ذماء والكلب في ذلك اعجب منه وانما عجبوا من الضب لانه يغبر ليلته مذبوحا
مفري الاوداج ساكن الحركة حتى اذا قرب من النار تحرك كانهم يظنون انه قد كان حيا
وان كان في العين ميتا والافاعي تذبح فتبقى اياما تتحرك فاما الاختلاج الذي يعتريه بعد
جمود ليلته فحلقوم البقر والجزر تختلج وهي على المعاليق اختلاجا شديدا والحية يقطع
ثلثها الاسفل فتعيش على الجراح التي لا يعيش عليها الا الكلب والخنزير والخنفساء والكلب
اشد الحيوان فكا وارهفها انيابا والهبها فما واكثرها يتغابى بالعظم المدمج فيعلم بالطبع
والغريزة انه ان عضه رضه وان ابتلعه استمراه والوفاء للناس مشاركة من هذا الموضع
العصافير والخطاطيف والحمام والسنانير بل يزيد على ذلك في باب الخاص والعام اما باب الخاص
فان من الحمام ما هو طوراني وحشي ومنهم ما هو الف اهلي والخطاطيف من القواطع غير الاوابد ثم اذا

قطع البهم لم يبق منه الا في ابعد المواضع من حيث لا ينال ايديهم فهو مقسوم على بلاده
وبلاد من اضطرته اليه الحاجه والعصافير تكون في القرب حيث تمتنع في انفسها والخلاء
فما لطه ملابسه ليس فيها وحشي وكلها اهلي وليس من القواطع ولا من الاوابد بل يكون الناس
بالناس من كثير ممن يوصف بالانس والالف من الناس ولا من سواهم من السنانير الى شبيه
والاهليه وعلى ان الف الكلب فوق الف الانسان الالوف والالف من الكلب اعرف منه من
الحمام والعصفور لانه سبع وان الحمامه بهيمه والكلب بالسباع اشبه فتركها ولم يناسبها
ولم يعاشرها ورغب عنها وليس ذلك لضعف عنها وكيف وهو يصيد اكثر الوحش ويمنع
جميع السباع من الافساد فذلك احمد له واوجب لشكره ثم كان في كثير من حالاته انسى
بالناس منه بالكلاب دسه وقصره ولا تراه يلاعب كلبا ما دام انسان يلاعبه ثم لم
يرض بهذه القرابه وبهذه المشاكله وبقدر ما عليه طبع الخطاف والحمام والعصفور ومقدار
ما فضلها به من الانس والالف حتى صار الى غايه المنافع سلما والى اكثر المرافق سببا
فليس لحارس الناس ولحارس اموالهم بد من كلب وكلما كان اكثر كان احب اليه ولا بد
لاقاطيع المواشي من كلاب والا فانها نهب للذئاب ولغير الذئاب ثم كلاب الصيد ربما
كان اهل بيت عيالا على كلب فقد صار اليوم عند الكلب من الحكايه وقبول التلقين
لاصناف اللعب وفي فطن الحكايات وفي الجوار الحمد لله لذلك والمعرفه مالبس
عند الذئاب والقرده والفيله والغنم المكيه والببغا والكلب الزون يصبح على راسه
ساعات وربما بقي مقعيا بل ربما علق يديه وانتصب على عجب ذنبه والمسرجه على راسه
ساعات كثيره من الليل فلا يتحرك وقد كان في بني ضبه كلب زون في بيت سرج على راسه
ثم لا ينبض نابض ويدعوه باسمه ويرمي اليه ببضعة لحم والمسرجه على راسه فلا
يميل ولا يتحرك حتى يكون القوم هم الذين ياخذون المصباح عن راسه فلا زايل راسه
وثب على اللحم فاكله ودرب بذلك فثقفه ويعلق في عنقه الزبيل والدوخله ويوضع
فيها رقعه ثم يمضي الى البقال ويجيء بالحوائج ثم صار القراد وصاحب الرباح يسوي
فيما بين الكلب والقرد ضروبا من العمل واشكالا من النظر حتى صاروا يطحنون عليه

فاذا

فاذا فرغ من طحنه مضوا به الى المعمعك فيتمعك كما يصنع حمار المكارى وبغل
الطحان وقرابه اخرى بينه وبين الانسان والكلب وبعد ذا اسبع من جهة ولا
يتعلق به في ذلك الشعر وذلك فضيله له على القرد مع كثرة فطن القرد وشبهه بالانسان
لان كل حيوان في الارض فانه اذا التقى في ارحام الغنم سبع الا الانسان والقرد والفرس
الاعرج والكلب اسبعها كلها حتى انه ليتعدم على البقرة والحجره في طباع ارحام الكلاب
العجيبه فواحده انها تلقح من جميع اجناس الكلاب وتلقح من اجناس اخر غير الكلاب ويلقحها
كما تلقح منها وتلقح من كلاب مختلفة الالوان فتودي شبه كل كلب وتمتلي ارحامها اجراء من
سفاد واحد ومن مرة واحده كما تمتلي من عدة كلاب ومن كلب واحد وليست هذه
الفضيله الا لارحام الكلاب قالوا والزنج صنفان قبيله ولنحويه فوق قبيله ومما صنفان
النمل والكلاب ولنحويه منهم الكلاب وقبيله منهم النمل فخرنا ولاء بالكثره ونالوا بالشده
وهذان الاسمان مما اختاراهما لانفسهما ولم يكرها عليهما قال ونقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال للهب بن ابي لهب اكلك كلب الله فاكله الاسد فواحده انه ثبت بذلك ان
الاسد كلب وثانيه ان الله لا يضاف اليه الا العظيم من الاشياء فاما الخير فكقولهم بيت
الله واهل الله وزوار الله وكتاب الله واسماء الله وارض الله وكليم الله وروح الله
واشباه ذلك واما الشر فكقولهم دعه في لعنة الله وفي نار الله وسعيره وما اشبه ذلك
وقد سمى المسلمون والناس الاسد كلبا وقد زعم اخوك بنات اوى والثعالب والضباع
كلها كلاب اذا ارادوا ان يشبهوها فاما ان تكون كلابا لعله ولعا بنفي والوجوه التي
تخالف الكلاب فيها اكثر وان هذا مما لا يجوز وقول من زعم ان الجواميس بقر وان الخيل
حمير اقرب الى الحق من قولكم وقد زعم اناس ان الجواميس ضان البقر والبقر ضان ايضا
ولذلك سموا بقر الوحش نعاجا كانه لما اتسع اتفاق الاسماء وما بال من زعم ان الاسد والذئب
والضبع وابن اوى كلاب احق بالصواب ممن زعم ان الجواميس والبقر والضان والماعز
كلها شي واحد لمكان تشابهها في الظلف والقرون والكروش وانها تجتر والسنور والفهد
والنمر والببر والاسد الى ان يكون شيا واحدا اشبه واقرب وعلى انا نتبين الى السباع

ان السباع والكلاب وبنات اوى والذئاب تتلاقح وما رأينا سمعا قط ولا عسبارا
ولا كلبا يعرفون وما ذكرهم لذلك الا من طريق الاخبار عن السمع او عن بعض ما يشبه
ذلك فاما هذا التلاقح والتركيب الغريب العجيب فالاعراب افطن والكلام عندهم ارخص
من ان يصنعوا لكل شىء يكون فى السهل والجبل مما اجتمعت اعاجيبه لم يكن بأكثر ولا اطرف
مما يدعون من هذا التسافد والتلاقح والتراكيب والازدواجات فكيف يدعون
ما هو اطرف والذى هو اعجب واغرب وما يستوى فى معرفته جميع الناس وقال آخرون ليس
الكلب من اسماء الاسد كما ليس الاسد من اسماء الكلب الا على ان يدعوا الكلب فيقول
قائلهم ما هو الا اسد وكذلك القول فى الاسد اذا سميتموه كلبا وذلك عند ارادة التصغير
له والتحقير والتوثب والتسرع كما يقال ذلك للانسان على جهة التشبيه بالكلب فان كان النبى
صلى الله عليه وسلم قال ذلك فانما ذلك على بعض ما وصفنا وتقول اهل حمص لا يغلبون لان فيها
ثور الله فى الارض وما كلب الله الا كثور الله والله لا تضاف اليه الكلاب والسنانير والشغال
والضباع والنبى صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا قط فان كان قاله فعلى صلة الكلام او على حكاية الكلام
قال صاحب الكلب قد جاء به الاثر وتلقاه الناس بالقبول فى ان النبى صلى الله عليه
قال اكلك كلب الله وهو يعنى الاسد ومن دفع هذا الحديث فقد انكر علامة من علامات
الرسول والناس قد سموا كلبا وكليبا وكلابا واكلب ومكالب بنى ربيعة بن نزار وكليب بن ربيعة
وكليب بن عقبة وكليب بن يربوع وكلاب بن ربيعة بن عامر وفى المعروف من القبائل كلب وبنوا
الكلبة وبنو كليب وبنوا الكلاب واكلب بن نزار عمارة ضخمة وكلب بن وبرة جذم من
الاجذام وهم بعد جمجمة وكل سادات بالبصرة يكنى ابا كليب ومن هذا عمرو الكلب وابن
عمرو الكلب وابو عامر الكلب النحوى فكيف لا يجوز مع ذلك ان يسمى الاسد بالكلب وكل هؤلاء
ارفع من الاسد وقد قالوا كلب الماء وكلب الرحا والضبة التى فى الرحل يقال لها الكلب
والكلب الخشبة التى تمنع الحائط من السقوط وتخص من القماط والمسناة والكلب الذى فى
البساط والصورة ويقال هذا الكلب وقد اعتراه على الطعام كلب وقد كلب عليهم
فى الحرب ودماء الملوك للكلب شفاء والكلبة والكلبتان والكلاب والكلوب والمكلب

وهذا كله مشتق من ذلك الاصل ومنه علويه كلب المطبخ وحمويه كلب الجن ولما شهد ابو علقمة
المولى عند عبد الله بن سوار او غيره من القضاة وتوقف فى قبول شهادته قال له ابو علقمة
لم وقفت فى اجازة شهادتى قال بلغنى انك تلعب بالكلاب والصقور فقال من خبرك انى العب
فقد ابطل وان بلغك اصطيادى بها غير لاعب ولا هازل فقد صدق مخبرك وقفا المبلغ لك
على فرق ما بين الجد والهزل قال ما وقف ولا وقفت انا ايضا فاجاز شهادته وقد قال
الله عز وجل يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات فانتظم ذلك الحلال الطيب والطعام
الطيب ثم قال وما علمتم من الجوارح مكلبين فاشتمل ذلك كل صائد وجارح وكاسب من بازى
وصقر وعقاب وفهد وشاهين وزرق وعناق الارض ثم اسم الكلب فهذا يدل على انه اعمها نفعا
وابعدها صوتا وانبهها ذكرا ثم قال تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله
عليه فذكر تعليمهم لها اذ اضاف ذلك الى نفسه ثم خبر عن اذنها وانها تمسك على اهلها لا على
نفسها وزعم اصحاب الصيد انه ليس فى الجوارح شىء اجود ان يمسك على صاحبه ولا يمسك على نفسه
من الكلب وقال الله تعالى لنبيه عليه السلام ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا
اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا
فخبر كما ترى عن دعائهم واخلاصهم ثم قال نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا
بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ثم قال فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت
تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ثم قال وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال ثم قال من بعد هذا التمهيد لحالهم والتمكين لهم من قلوب السامعين
والاخبار عن الاعجوبة التى اتاهم بها وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ثم قال لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فخبر انهم من جميع ما يألف الناس ويرتفقون به
ويسكنون اليه شيئا غير الكلب فان مما يألف الناس ويرتفقون به ويسكنون اليه الفرس
والبعير والحمار والبغل والثور والشاة والحمام والدجاج وكل ذلك مما يستصحب فى الاسفار

ويتنقل من بلد الى بلد والناس يتطاردون بغير الكلب ويستمتعون بامور كثيرة فخبر عنهم
بعد ان جعلهم خيارا ابرارا انهم لم يختاروا استصحاب شي سوى الكلب وليس يكون ذلك
الا للموفقين المعصومين الا ان النجاسة في الكلب الا ان يكون مع غيره ثم اعاد ذكر الكلب
ونبه على حاله بان قال اذ يتنازعون امرهم بينهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال
الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ثم قال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا وفي قوله سيقولون ثلثة
رابعهم كلبهم دليل على ان الكلب رفيع الحال نبيه الذكر واشتق ذكره من اصل ذكرهم حتى
كانه واحد منهم او من اكفائهم ومن اشباههم او ممن يقاربهم ولولا ذلك لقال
سيقولون ثلثة معهم كلب وبين قول القايل معهم كلب لهم وبين قوله رابعهم كلبهم فرق واضح
وطريق واضح فان قلتم هذا كلام لم يحكه عن نفسه وانما حكاه عن غيره حيث يقول سيقولون
ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم وقد صدقتم والقصة على ما ذكرتم الا ان
الكلام لو كان منكرا لانكره الله ولو كان معيبا لعابه الله فاذ حكاه لم يعبه وجعله
قرانا وعظمه بذلك والمعنى مما لا ينكر في العقل ولا في اللغة كان الكلام اذا كان على هذه
الصفة مثله اذ كان الله تبارك وتعالى هو المتولي له ومثل بعض المخالفين في القدر فانه سال
بعض اصحابنا فقال هل تعرف في كتاب الله جل وعلا انه يخبر عن الاستطاعة انها قبل
الفعل قال نعم اياك شرا من ذلك قوله قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
واني عليه لقوي امين قال المخالف سالتك عن ان تخبرني عن الله فاخبرتني عن عفريت
لو كان بين يدي لبزقت في وجهه قال صاحبنا اما سليمان النبي ومن حضره فقد تركوا
النكير عليه ولو كان هذا القول كفرا وافتراء على الله ومغالبة له وتقويتها للنسبة
الى نفسه لكان سليمان ومن حضره من الجن والانس احق بالانكار بل لم يكن العفريت
في هذا الموضع الذي يتزع فيه بترك الطاعة ويتقرب فيه بترك سهد النفوذ وليس فيه
باب معه من القوة المجعولة فيه ما يتهيا بمثله قضاء حاجتك للتكذيب ثم لم يرض

بالكذب

بالكذب الذي يقول قولا مستنكرا او يدعي قوة لم تجعل له ثم يستقبل بالافتراء على
الله عز وجل وبالاستبداد عليه وبالاستغناء عنه نبيا قد ملك جميع الجن والانس
والطير وتسبيح الجبال ونطق كل شي ثم لا يزجره فضلا عن ان يضربه او يحبسه ويسجنه
فضلا عن ان يقتله وبعد فان الله تعالى لم يجعل ذلك القول قرانا وينزل الشبهة على
نبيه من العيب الا والقول كان صدقا مقبولا وبعد فان هذا القول قد سمع به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتلاه على الناس وما زال الناس يتلونه في مجالسهم ومحاريبهم افما كان
في جميع هولاء واحد يعرف موقفك او يعرف به عيبك قال صاحب الكلب
لو اعترضت جميع البدو في جميع افاق الارض ان تجد اهل خيمة واحدة ليس عندهم كلب
واحد فما فوق الواحد لما وجدته كذلك كانوا في الجاهلية وعلى هذا هم في الاسلام فمن
رجع بالتخطئة على جميع طبايع الامم بالتانيب والاعتراض على جميع اختيارات الناس
فليتهم رايه فان راي الفرد ولا سيما الحسود لا يفي براي واحد متوقي او يرى الاستشارة
خطا فكيف ان يفي براي جميع اهل البدو من العرب والعجم والدليل على ان البدو
قد يكون في اللغة لهما جميعا قول الله تبارك وتعالى وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي ولو ابتلي صاحب هذا القول ان ينزل البادية لتحول رايه
واستبدل به راي من قد جرب تقريب الكلب واتخاذه فقال ابو عباد النميري لا يكون
البنيان قرية حتى ينبح فيها الكلب ويصقع فيها ديك قال احمد الخارجي بل لا تكون قرية حتى
يصير فيها حايك ومعلم قال ابو عباد يا مجنون اذا صار فيها هذا فقد صارت مدينة
وللكلب اثبات وجه صاحبه ونظره في عينيه وفي وجهه وحبه له ودنوه منه حتى ربما
لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يوثر ولا يوجع وهي الاسنان التي لو انشبها
في الصخر لنشبت وهي الانياب التي لو انحى بها على الصخرة لرضها وقد تراه وما يصنع
بالعظم الدمج وبالفقرة من كعب الجاسي الذي ليس بالنخر البالي ولا بالحديث العهد
بالودك الذي يلين معه على الماضغ وتراه كيف يرضه ويفتته ثم ان مانعه بعض
الممانعة ووافق منه بعض الجوع كيف يبتلعه وهو واثق باستمرائه وهضمه وباذابته

وحكى وله ضروب من النغم والاشكال من الاصوات وله نوح وتطريب ودعاء وعواء
وهرير وبصبصة وشيء بعد يصنعه عند الفرح وله صوت مشبه بالانين اذا كان
يغشى الصيد وله اذا لاعب اشكاله في غدوات الصيف شيء بين العواء والانين وله وطء
ليس للمحض مثله فان يوطأ الحطي وقعا على ارض السطوح لا يكون مثله يرى على ورنه ظهرها
واذا مر على ولو جاحد ظاهر لما ينكث مواضع لحكه في اسفله وقال الشاعر ورأى رجلا
اسمه وثاب وكلبه عمرو فقال • ولو هيا له الله • من التوفيق اسبابا • لسمى نفسه عمرا •
وسمى الكلب وثابا • قال والكلبة كثيرة الاطباء وكذلك الخنزيرة وللعنز اربعة اطباء
وللمهرة ثمانية اطباء من لدن صدرها ووثب ابطيها الى ارفاغها وللفيل حلمتان يتحولان
من حشته وما ما يلي الصدر فاذكر في ذلك شبه بالرجل لان للرجل ثديين صغيرين
ويقال ان على الكلاب واقية مع عبث الصبيان وسفهائها وقال دريد بن الصمة حين
حرب امراته بالسيف ولم يقتلها • اقر العين ان عصبت يداها • وما ان تعصبا على خضاب •
فابقاهن ان لهن جدا • وواقية كواقية الكلاب • وقال بشر بن المعتمر •
الناس داباهي طلاب الشرى • فخلهم من شانه الخنتر • كاذؤب تنهشها الكلب
لها عواء ولها زفرة • قال ويقال قزح الكلب ببوله فهو يقزح قزحا اذا بال
قال وقال ابو الصقر قزح ببوله حين يبول وشغر الكلب يشغر شغرا اذا رفع رجله بال
او لم يبل ويقال شغرت المراة اشغرها شغورا اذا رفعت رجلها للنكاح قال ويقال
عاظل معاظلة في معنى السفاد وقال ابو الزحف • يمشي الكلب دنا للكلبه
يبغي العظال مسحرا بالسبه • قال ويقال كلب عاظل وكلاب عظال عظالى وقال
حسان بن ثابت • ولست بخير من ابيك وخالكا • ولست بخير من معاظلة الكلب
وقال مالك بن نويرة بن عامر الجعدي في يوم فيف الريح قال حدثني اخي قال قالت لقد
نظرت بنو عبد الى عبد الله بن الحرث بن نمير بينهم الا الكلاب المتعاظلة حول اللوا
وقال يومئذ ابو براء عامر بن مالك لا عبد الله بعد اليوم فقتلوا بنو عبد قال وسلوقية
منسوبة الى سلوق بلد باليمن لها سلاح جيد وكلاب فره وقال القطامي •

ومنهم

ومنهم صوار من سلوق كأنها • حصن تجول بجره ارسان • وقال ابو محمد ٥
معه ضوار من سلوق لم • طورا تقاتله وتتبعه • قال وليس في الارض بهيمة ولا سبع
انثى تريد فطام ولدها واخراجه من اللبن الى اللحم او من اللبن الى العشب ان كانت بهيمة
الا وهي تعفو لولادها والتقفير ان ترضعه وتمنعه حتى يجوع ويطلب اللحم ان كان سبعا
والعشب ان كان بهيمة ولا تزال تهزله وتربيه وتماطله وتطاوله وكلما مرت عليه الايام كان
وقت منعها له اطول حتى اذا قوي على اكل اللحم والعشب واغناه ذلك فطمته وقال لبيد في ذلك
افتلك ام وحشية مسبوعة • خذلت وهادية الصوار قوامها • خنساء ضيعت الفرير فلم يرم
عرض الشقائق طوفها وبغامها • لمعفر قهد تنازع شلوه • غبس كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فاصبنها • ان المنايا لا تطيش سهامها • لان البقرة اذا كانت تحضر
ولدها لم تضيعه ومنعت السباع منه بقرونها اشد المنع حتى تنحيه او تعطب قال وكان ابن
لسان الحمرة يكنى ابا كلاب وكان زوج حبى المدينية يقال له ابن ام كلاب وقالت وتذكرها
وما وجدت وجدي بهام واحد • ولا وجدت حبى بابن كلاب • كانه طويل الساعدين سميدعا
كما تبتغي من قوة وشباب • وقال راجز وهو يصف عيون الكلاب اذا عاينت الصيد ٥
خوص ترى الى الصباح اذا غدت • مثل الضراء تراح للكلاب • وقال اخر وذكر الظراء وهو
يصف الشيخ وضعفه • ومهان يقاد له بعيب • ولبل حين يفترش الظراء •
قال وهم عند الحاجة يفدون الكلب والحطبه وانشد • فاعقب خير كل اهوج مهرج
وكل معداة العلالة صلدم • وانشد • مقدبات وملعبا • وانشد قول الهذلي
في شبيه بالاول • شغف الكلاب الضاريات فؤاده • فاذا رأى الصبح المصدق يفزع
يقول لما قد لقيت من الصبح والاشراق من الكلاب صارت حين ترى ساطع الصبح فزعت
انها تظل يومها فتشرق في الشمس فعندها ترسل عليها الكلاب ويقال ان اكثر ما يعرض
الذئب للغنم مع الصبح وانما رقب فترة الكلب ونومه وكلاله لانها بات ليلته
دنيا يحرس وقال اعرابي وكسر ذئب شاة مع الصبح فقال • اودى بوردة ام الورد ذو عسل
من الذئاب اذا ما راح او بكرا • لولا انها وسليلا لها غرثا • ما انفكت العين تذري دمعها دررا

كانما الذيب اذ يعوى على غنمى • فى الصبح طالب وتر كان قد وترا • اعتامها اعتيام سبعا بدا بنه
من الضوارى اللواتى تقصم القصرا • قال ولما قال النبى عليه السلام لزيد الخيل من الخير ما قال وسماه زيد
الخير ما سأله شيا قط ولا ذكر له حاجة الا انه قال يا رسول الله فينا رجلان يقال لاحدهما ذريح
والاخر يكنى ابا حزابة لهما اكلب خمسة تصيد الظباء فما ترى فى صيدهن فانزل الله تبارك
وتعالى يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن
مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه فاول شى يعظم فى عينك شان
الكلب بهذا الوافد الكريم المكرم الذى قيل له ما قيل وسمى بما سمى لم يسأل الا فى شان الكلب
وثانيه وهى اعظمها ان الله جل وعز انزل فيه عند ذلك ايا محكما ثم قال احل لكم فسمى صيدها
طيبا ثم قال وما علمتم من الجوارح مكلبين فجعل قبولها للتعليم والتاديب ثم قال فكلوا
مما امسكن عليكم وهكذا يقول اصحاب الصيد ان كل صائد فانما يمسك على نفسه الا الكلب
فانما يمسك على صاحبه ولو كان الكلاب لزيد الخيل سنة من سنن النبى صلى الله عليه وسلم لكان
فى ذلك الرفعة فكيف والكلاب فوق السنة وقد روى هشام ان ابن عباس سمى كلاب
ذريح هذه وكلاب ابى حزابة فقال المختلس وغلاب والقنيص وسلهب وسرحان
والمتعاطس وزعم الاطباء ان من اجود ادوية الرمح والخانوق ان ينفخ فى حلق من كان
ذلك به من سحيق ما جف من رجيع الكلاب واجود من ذلك ان تغزر ورما طلوه
على جلد المحموم الحديث الحمى واجود رجيع الكلاب ان تشتد بياضه وليس يعتريه البياض الا عن اكل
العظام وذلك يردى للقانص منها والجرو قد يبيض اذا كان قوت صاحبه اللبن ولذلك قال
ابو كلاب ويهول ان لحمه وقد هجا رجل من بنى اسد فقال قد علمت العرب يا معشر بنى اسد
انكم اشد بياض جعور فعطف عليه فضربه بسيفه حتى برد وذلك انه عيره انهم
لا يعرفون البقل ولا يعرفون الا اللبن وقال الكناعى يهجو ناسا منهم ٥
عراجلة بيض الجعور كانهم • بمنعرج الغيطان شهب الضغابك • والعرب تقول اللهم اقل
الطعام بكوا **وقال صاحب الكلب** وما للديكة والكلاب ينزل فيها القران
وتحدث فيها السنن ويشتق من اسمائها للناس ولها اسماء معروفة واعراق منسوبة

وبلدان مشهورة ولها القاب وسمات ومناقب ومقامات وما للديك الا ما تقول
العوام انه اذا كان فى الدار ديك ابيض افرق لم يدخلها شيطان وليس يعوم حيث ذلك
لو كان حقا بشره لان العوام تقضى على من كان فى داره ديك ابيض افرق لا يدخلها شيطان
منهم الذين يقولون من اكل لحم سنور اسود لم يضره السحر واذا دخنت الدار بالدخنة
التى يسمونها دخنة مريم او اللبان لم يكن لعمار السوء عليها سبيل فان مر بها ساحرة
تطير سقطت ومنهم الذين لا يشكون ان من نام من الناس وحده خبطته العمار وجلته
الجن قال ويقال لولد الكلب والذئب والاسد والسنور وما اشبه ذلك جرو ويقال للضعيف
من الحنظل على مثل ذلك جرو وقال النمر بن تولب ٥ بجبره تلقى فى شغافه كانه •
من الحنظل العامى جرو مفلق • ومما زاد فى ذكر الكلب قول الاسعد بن محمد فى شان عائشة
الحديث الذى يروونه فقال • يتوى من البلد الحرام فنبهت • بعد الهدو كلاب اهل الحواب
ويقال حرفت الكلبة حرافا فهى حروف وضلعت تضلع ضلوعا فهى ضالع ومن الامثال فى ذلك
لا اتيك حتى ينام ضالع الكلاب اى حارف قال الاصمعى هذا باطل اذا احاب الكلب
ما يضلع منه ثم لم يطق سفاد الكلبة حتى تهدأ الرجل وحتى تمل الكلاب النباح وتخلد
الى النوم لطول التعب فاذا كان فى ذلك الوقت تلمس الضالع ورام سفاد الكلبة ولم
تعرف ضلعه الكلبة وانشد • فسد بينا من بعد ما نام ضالع الكلاب واخبا ناره كل موقد
وان يغزه لجران العود • وكان فوادى قد صحى ثم هاجه • حمايم ورق بالمدينة هتف
كان الهديل الضالع الرجل وسطها • من البغى شريب يغرد مترف • وقالوا بقرده مترف وابيات
من غير هذا الباب قول الاعرابى • نزلنا بعمار فحلا كلابه • علينا فكدنا بين بيتيه نوكل
فقلت لاصحابى اسر اليهم • اذا اليوم ام يوم القيمة اطول • وقال اخر ••
اعددت للعزماء كلبا ضاريا • عندى وفضل هراوة من ارزن • وقال فى خلاف ذلك
مالك بن حريم الهمدانى • فواحده ان لا ابيت بغرة • اذا ما سوام الحى حولى تضرعا
وثانية ان لا تفزع جارتى • اذا كان جار القوم فيهم مقذعا • قال ويقال لحذ الكلب
جارى هو يلحذ لحذا ولحس لحسا قال ابو زيد وذلك اذا لحس الاناء من باطنه فالكسه

والعزو يستلعه الكلب فاذا كان للكلب فانما هو اسفل كعب وما اشبه ذلك والا
فالعزو اسفل نخله يجو ويغور وينبذ فيه وقال الاعشى
ارمي بها البيداء اذا هجرت • وانت بين القرو والعاصر • في مجدل شيد بنيانه
يزل عنه ظفر الطائر • وفيما يحاجي به الناس بعضهم بعضا ان يقولوا اتعرفون
شيا اذا قام كان اقصر منه اذا قعد يعنون الكلب لان الكلب قعوده اقعاء وهو اذا اقعى
كان ارفع بسمكه واذهب في الهوى طولا منه اذا قام على اربع وقال عمرو بن لجا
عليه هنو اقعب مستقرم • مقع كاقعاء الكليب العصم • ويقال اقعا الكلب اقعاء والافعال
قعد الكلب ولا جلس وفي الحديث انه نهى ان يقعي احدكم في الصلوة اقعاء الكلب
وصاحب المنطق يعرف فناء الكلب وهرمه بالاسنان فاذا كانت سودا دلت على الكبر
واذا كانت بيضا حادة دلت على الفتاء والحداثة وقال اسنان الذكوره اكثر واصناف
الحيوان المشقوقة الافواه كالكلب والاسد والفهد والموصوفة بسعة المضغ
والفكوك ذوات الخراطيم والخطوم كالكلب والخنزير والذئب فاشبه بالكلب الاسد في شحو
الفم واتساعه وعلى ان شحوه فيه على قدر جسمه ارحب واشبه الذئب والخنزير في
طول الخطم وامتداد الخطوم وذلك يعتري كل شديد الفك جيد الاستراط ويجمع الكلب
دون هذه الاصناف ما جمع للترض والخطم كما جمع ما جمع للابتلاع والالتهام يجمع الخطم
والقضم والابتلاع والالتهام والاستمرا والاسد حريص واسع الشحو يبتلع البضعة
التي لو راها انسان لم يظن ان حلقه يتسع لمثل ذلك فيه وقال لولا ان عنقه
عظم واحد فالتقم لا يجول فيه وهو في ذلك قليل الريق فلا يسلس في حلقه ما يمر فيه
ولولا ذلك لا يبتلع لفرط نهمته وشحو لحيه ضعف ذلك المقدار وقد زعم ناس ان الذي
يدل على ان عنق الاسد عظم واحد ضعفه عن تحريف عنقه فلا يلتفت الا معا فسمي
لذلك اصيد وقد قال جران العود في صفة الذئب • شدا ما ضيع منه كل ملتفت
وفي الذراعين والخرطوم تاسيل • وقالوا في اسنان الذئب وفي اسنان بعض الحيات انها
مطوله الفكين يذهب الى انه عظم مخلوق في الفك وانه لا يتغير وانشدوا

مطلق

مطلق في اللحيين عطلا الى • راس واشداق كريهات • والحيات توصف بسعة
الاشداق والافاعي خاصة وقال الشاعر وهو جاهلي • خلقت لهازمه عزين وراسه
كالقرص فلطح من طحين شعير • ويدير عينا للوقاع كانها • سمراء طاحت من نفيض برير
وكان شدقيه اذا استعرضته • شدقا عجوز مضمضت لطهور • وما اشبه فيه الكلب الانسان
والاسدان كل واحد من هذه الاجناس انما له بطن واحد وبعد المبطن المعا الا ان بعضها
اعظم ويناسبها في الذي ذكرنا الدب والذئب فما اكثر ما يناسبان الكلب ولذلك صارا
يتناكحان ويتلاقحان وهذا قول صاحب المنطق قال ومعا الكلب اشبه شيء بمعا
الحية وهذا ايضا مما يزيد في قدره لانه اما ان يشبه الانسان او رؤساء السباع او
دواهي الحشرات ولما كانت هذه المعاني فيه اكثر كان قدره اكثر قال والكلب يحلم
ويحتلم وكذلك الفرس والحمار والثور والصبي يحلم ولا يحتلم والثور في هذا الباب
كالصبي ويعرف ذلك في الكلب اذا نبح ونزع وانشط وزعم ان الاحتلام قد عوين
من الفرس والبرذون والحمار وقالوا البس العطال والنحام الفرجين الا في الكلاب
والذئاب وقال من اراد ان يفرق بين الذئاب اذا تعاظلت رام امرا عسيرا قال
والحيوان الذي يطاول عند السفاد معروف مثل الكلاب والذئاب والعنكبوت والجمل
وان لم يكن هناك التحام واذا اراد العنكبوت السفاد جذبت الانثى بعض خيوط
نسجها من الوسط فاذا فعلت ذلك فعل الذكر مثل ذلك فلا يزالان يتدانيان حتى
يتشابكان فيصير بطن الذكر قباله بطن الانثى فذلك شبيه بعادات الضفادع قال ابن الحسن
عن بعض الاعراب قال اذا هجم الرجل على الذئب والذئبة وهما يتسافدان وقد التحم الفرجان
قتلهما ذلك الهاجم عليهما كيف شاء لانهما قلما يوجدان كذلك لان الذئب وحشي جدا
وشنق جدا صاحب فترة وخلوة وانفراد وقناعة فاذا اراد ذلك من الذئبة وتوخى
مواضع من القفار لا يطاء الانس خوفا على نفسه وضنا على الذي يعتريه لتطاوله من اللزوم وحدثني
احمد بن المثنى قال خرجت في صحاري جوخى لجناية جنيتها وخفت الطلب وانا
شاب اذ عرض لي ذئب فكنت كلما اردته من شق استدار فاذا درت له دار من خلفي

وانا في وسط برية لا احد معينا ولا شيئا استند اليه واصابني الدوار وايقنت بالهلكة
فبينا انا كذلك وقد اصابني ما اصابني وكان هو الذي اراد الذئب وقدره اذا دنيته
قد عرف وكان من الطبع ومن تاخير الاجل ان ذلك كان في زمن اهياجه فلما
عاينها تركني وقصد نحوها وركبها وقد كنت قرات في بعض الكتب انها تلتحم فوقفت
حتى تلاحما فوقفت سهمي وما ينظران الي فلما لم ار عندهما نكيرا حقق ذلك عندي
ما ادعى من تلاحمهما فمشيت اليهما بسيفي حتى قتلتهما قال ومما يعد للكلاب انها كثيرا ما
تبلغ في حال الدفاء والخصب والجدب والخوف في ذلك سواء ولا يكاد غيرهما يتسافد
في ذلك الزمان فالكلب كما ترى يكاد ينازع مواضع الاشباه من الاجناس من جميع
الحيوان قال واناث الكلاب يتعب اجلافها اذا كان لها اجراء وكل شيء له سبع او فرخ او
جرو فاسواه ما يكون خلقا وانزق واكثر الذكور من كل شيء احمد واغلظ الاناث اكثر
قال والكلب ينزو اذا تمت له سنة وربما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية اشهر والكلبة الانثى
تحمل واحدا وستين يوما واطول ما يكون فلا تضع قبل ان يتم لحملها ستون يوما ولا يبقى
الجرو ولا جرو بتة اذا قصر عن ذلك والانثى يصلح ان ينزى عليها بعد ستة اشهر
والكلبة والمهرة والمراة وغير ذلك يكون اول نتاجها اصغر جثة وكذلك البيض اذا
كان بكرا وكذلك ما خرج منه من فرخ او فروج وذكورة الكلاب تهيج قبل الاناث
في السن والاناث تهيج قبلها في السنة وكلما تاخر نزو حدث الى تمام الشباب كان
اقوى لولده والكلاب لا تزيد تسافد عمرها كله بل الى وقته ومتى تلقح الى ان
تبلغ ثمان عشرة سنة وربما ابتدرت الكلبة فبلغت العشرين والكلاب اقباس كبره
والكلب السلوقي يسفد اذا كان ابن ثمانية اشهر والانثى تطلب ذلك قبل الثمانية
وذلك عند شغور الذكر قوله والكلبة تحمل من نزو واحد وقد عرف ذلك الذئب
حمروا الكلاب ليعرفوا ذلك قال والكلبة السلوقية تحمل سدس سنة اعني ستين يوما
وربما زادت على ذلك يوما او يومين والجرو اذا وضع يكون اعمى اثني عشر يوما ثم
يبصر والكلبة تسفد بعد وضعها في الشهر الثاني ولا تسفد قبل ذلك قال ومن الكلاب

من يحمل خمس السنة اعني اثنين وسبعين يوما فاذا وضعت الجرا يكون عميا اربعة
وعشرين يوما ومن اصناف الكلاب ما يحمل ربع السنة اعني تمام ثلاثة اشهر وتضع جراءه
عميا وهي كذلك سبعا وعشرين يوما ثم ترضع جراها على قدر عدد ايامها التي تحمل فيها
وزعم ان اناث الكلاب تحيض في كل سبعة ايام وعلامة ذلك ورم اثفارها ولا تقبل السفاد
في ذلك الوقت بل في السبعة الايام التي بعدها فيكون ذلك لتمام اربعة عشر يوما اكثر ما يكون
وربما كان ذلك لتمام ستة عشر يوما قال واناث الكلاب تلقي بعض وضع الجرا رطوبة
غليظة بلغمية واذا رضعتها الجرا اعتراها هزال وكذلك عامة الاناث ولبنها يظهر في
اطبائها قبل ذلك بخمسة ايام اكثر ذلك وربما ظهر اللبن في اطبائها قبل ذلك بسبعة ايام
وربما كان ذلك في مقدار اربعة ايام ولبنها يجود اذا وضعت من ساعتها قال واما
السلوقية فيظهر لبنها بعد حملها بثلاثين يوما ويكون لبنها اول ما تضع غليظا فاذا ازمن
رق ودق ولبن الكلاب يخالف لبن سائر الحيوان ما خلا بعد لبن الخنازير والارانب
وقد يكون علامة مبلغ سفادها مثل ما يعرض للناس في ارتفاع الثديين وحرقة
ذلك عسرة وهذه علامة تظهر لاناث الكلاب ترفع ارجلها وتبول لتمام ستة اشهر
ومنها ما لا يفعل ذلك الا ان تبلغ ثمانية اشهر ومنها ما يعجل السنة قال وبقول ناس
ان الذكور تفعل ذلك اذا قويت فاما الاناث فتبول مقعية ومنها ما يلد واكثر
ما تضع الكلبة اثني عشر جروا وذلك في الفرط واكثر ذلك خمسة او ستة وربما وضعت
جروا واحدا فاما اناث السلوقية فهي تضع ثمانية اجرا واناثها وذكورتها تسفد ما بقيت
وتعرض للكلاب السلوقية عرض خاص وهو انها كلما بقيت كانت اقوى على السفاد وذكورة
السلوقية تعيش عشر سنين واربع عشرة سنة والخاص منها يبقى عشرين سنة واناث
الكلاب اطول عمرا من الذكورة وكذلك هي في الجملة وليس يلقي الكلب من اسنانه شيئا
ما خلا النابين وانما يلقيهما اذا كان ابن اربعة اشهر قال ومن اجل ان الكلاب لا تلقي غير
هذين السنين يشك بعض الناس انها لا تلقي شيئا البتة قال وللكلاب ثلاثة
اصناف من المرض واسماؤها الكلب بفتح اللام والذبحة والنقرس والكلب جنون فان

عرض لشئ من الحيوان كلب اتقاه ما خلا الانسان وهو دا يقتل الكلاب ويقتل به
والكلاب تقتل كل شي عضته الا الانسان فانه قد يعالج ويسلم قال ودا الكلب يعرض للجمال
فاما الجنون وذهاب العقل فهو يصيب كل شي لكن ذلك ما يصيب الدواب فان منها
ما يصرع كما يصرع المجنون وان تسمى من الدواب الذاهب العقل قال وقد كان
شان اعين الطب عجبا وذلك انه كان يصرع فاتفق ان كان له بغل يصرع وكان
ربما اتفق ان يصرعا جميعا وقد راى ذلك كثير من اصحابنا البصريين والصراع عام
في الحيوان ليس يسلم منه صنف منها حتى لا يعرض له منها شئ والانسان فوق جميع الحيوان
بعيد كذلك هو في العقل والمعرفة والاحتيال لدفع المضرة واجتلاب المنفعة
وما اكثر ما يعتريهم ذلك ومن ذلك ما يذهب ومن ذلك ما لا يذهب وقد كان كنبشوح
وقد عرض لعبد الملك بن قريب الاصمعي فذهب عنه وربما عرض ذلك للرجل الذي
لا نظير له ذلك في بيان ولا في تمييز ولا في ادب ولا في اعتدال من الاخلاط وتصحيح من
المزاج ولا يعرض له من ذلك الا ما لا حيلة فيه كما عرض لعبد الرحمن بن مصفى الاسيدي
فما زال كذلك حتى ماتا ولم يبلغني انهما صرعا والموته جنس من الصرع الا ان
صاحبه اذا افاق عاد الى كمال عقله كالنايم والسكران والمغشى عليه وان عاش صاحب
الموتة في ذلك مائة عام وليس يلتقي شئ من الحيوان في هذا الباب كما يلتقي الورشان
ثم الانسان فاما السكر فليس من الحيوان شئ الا وهو يسكر واختلاف سكره كاختلاف
سكر الناس فان من الناس من تراه يتحدث وهو يشرب فلا تنكر منه شيا حتى يغلبه
نوم السكر فاذا كان ذلك نام ضربة واحدة ومنهم من تراه يتحدث وهو يشرب فلا
تنكر منه شيا حتى يغلبه نوم السكر فاذا كان ذلك نام ضربة واحدة ومنهم من تراه
والنبيذ ياخذ منه الاول فالاول وتراه كيف تثقل حركته ويغلظ حسه ويمحق عقله
حتى يطمس عليه السكر ويختق عليه النعاس ومنهم من ياخذه السكر بالعبث لا بالعدو
ومنهم من لا يرضى دون السيف والا فان يضرب امه ويطلق امراته ومنهم من يعتريه
البكا ومنهم من يعتريه الملق وتسلم على المجالس ويقبل روس الناس

ومنهم

ومنهم من يرقص ويثب ثم يكون ذلك على ضربين احدهما من الوحش وقضل الاكثر
والاخر من تحريك امره وهي غلبة الفساد ومجان الافة وكل هذه الحلي والعيوب
والنعوت واشباه من التولد الذي يختلف على اختلاف طبايع الناس وطبايع
الاشربة وطبايع الانسان والازمان وعلى قدر الاعراق والاخلاق وعلى قدر القلة
والكثرة وقد وجدوه من جميع اشباه الناس الا ان في الناس واحدة لم توجد في
ساير الحيوان قط منهم من لا يسكر البتة كان منهم محمد بن الجهم وابو عبد الله العمي وكان
بين عقل زيد بن حميد اذا شرب عشرة ارطال وبين عقله اذا ابتدا الشرب مقدار
صالح فاما العمي فان بني عبد الملك الزياديين دعوني مرة ليعجبوني منه ولم ينبهوني
على ذلك خاصة لا كون انا الذي انبهه عليه فدخلت على رجل ضخم قدم اللسان غليظ
المعاني يرى الكلام اشد المؤنة وفي معانيه اختلاف وليس منه شي لو ان صاحبه وكلا
يعاونه بل لا يتاركه ويساله وحتى نرى ارادته في شق ولسانه في شق وحتى نظن
ان كلامه كلام مبهور او محموم وان كل واحد من هذا يقطع نظام المعاني ويخلط
بين الاسافل والاعالي فشرب القوم شربا ليس وكانت لهم اجسام مديدة واجواف
منكرة وكنت كاني رجل من النظارة فما زال العمي يشرب رطلا بعد رطل ويرق لسانه
ويتحلل عقده ويصفو لسانه ويذهب عقل واحد واحد ويغلظ ذهنه ويذهب
ذكره حتى ان لو قلت لم ار مثله حسن الغشي كنت صادقا فالتفت الى القوم اعجبهم فقالوا
لولا مكان هذا العجب لما عنيناك مع حداثة عهدنا بك فزعم لي المعمي وكان كثير
المنازعة للقضاة اذا قارب العشرة الارطال ثم نازع الخصوم كان ذلك اليوم هو الذي
يعرف روع الخصم اللحن بحجته ويستميل فيه راي القاضي المتفقه في مجلسه الطويل
العظيم في وجه من نازع اليه هذا وقد قال الشاعر وجدت اقل الناس عقلا اذا انتشى
اقلهم عقلا اذا كان صاحيا يزيد حسى الكاس السفيه سفاهة وتترك احلام الكريم كما هيا
وهذا شعر بعض المولدين والاعارب لا يخطون هذا الخطا وقد راينا اسعد الناس صاحيا
ما احلم الناس سكرانا وراينا احسن الناس خلقا واورثهم حلما حتى اذا صار في راسه

رطلا فما اخف حلمها وفراشتها واكثر نزوها من جرادة رمضا فان المثل بها يضرب وكان سبب
ما له عرف اصحابنا اقتدار سكر البهائم ان محمد بن علي بن سليمان لما شرب على علويه كلب المطبخ
وعلى الدهالى وعلى شراب السجريس وعلى كل من نزع اليه من الاقطار وكراه من
الشراب احب ان يجرب مع الابل من البخاتي والعراب والنواب ثم على الظلف من الجواميس
والبقر ثم على الخيل من العتاق والبراذين فلما فرغ من كل عظيم الجثة واسع الجوف
نزل الى الشاة والظبي ثم سار الى الكلب والسنور والى ابن عرس والجرد حتى اتاه حاوي
فاخبره ان لهم مختال الافواه الحيات حتى يجب في حلق احداها بالاقماع الدنه والمساعط
ويتخذ للاشكال شكله وكان يعلمك نوادر الامور ونظير الرجال فاسم والتكلف الاصلاح
في هذه الاجناس بحلقة فحرى ابو اسحق وقد كان جالسا حينا وكان ابو اسحق
مامون اللسان قليل الزلل والزيغ في باب الصدق والكذب ولم ازعم انه قليل الزيغ
على ان ذلك قد كان يكون منه انما قلت ذلك على مثل قولك فلان قليل الحياء وانت
تريد ليس هناك حياء البتة وذلك انهم ربما وضعوا القليل في موضع ليس وانما
كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه وجودة قياسه على العارض والخاطر والسابق
الذي يوثق بمثله فلو كان بدل التصحيح التماس التصحيح الاصل الذي قاس عليه
خرج امره على الخلاص ولكنه كان يظن ثم يقيس عليه وينسى ان بدء امره كان ظنا فاذا اضطرد
ذلك له واتسق جزم عليه وحكاه على صاحبه حكاية المستبصر على صحة معناه ولكنه
كان لا يقول سمعته ولا رايته وكان كلامه اذا خرج مخرج الشهادة القاطعة لم يشك
السامع انه انما حكى ذلك عن سماع قد امتحنه او عن معاينة قد بهرته فحرى ابو اسحق
فكل شهدت اكثر اهل التجربة التي كانت منهم في اسكار البهائم واصناف السباع ولقد
احال الاسد قلم الاظفار فنادى عليه العجب العجب حتى سقاه وعرف مقداره في الاحتمال
وزعم انه لم يجد في جميع الحيوان شيئا املح سكرا من الظبا ولولا انه من الترفه لكنت لا ازال
يكون عندي الظبي حتى اسكره وارى ما يكون منه قال واناث الكلاب اسلوقية اسرع
تعلما من الذكورة قال وجميع اصناف السباع ذكورتها اجراء وامضى واقوى الا النمور

والذئبة

والذئبة والعامة تزعم ان اللبوة اجرا من الاسد وليس ذلك بشي ومما احد وارق
واقرب من التحقيق والبعد من التقحيم وشدة الصولة بشريها سعد قال كان بالبصرة
شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرثد نزل ببني اخت له في سكة بني مازن وبنو اخته
من قريش فخرج رجالهم الى ضياعهم وذلك في شهر رمضان وخرج النساء يصلين
في مسجدهن فلم يبق في الدار الا الاماء فدخل كلب يعس فراى بيتا فدخله وانصفق
الباب فسمع الحركة بعض الاماء فظنوا ان لصا دخل الدار فذهبت احداهن الى ابي الاغر
وليس في الحي رجل غيره فاخبرته فقال ابو الاغر وما يبتغي منا اللص ثم اخذ عصاه
وجاء حتى وقف على باب البيت فقال ايه يا فلان اما والله انك بي لعارف فهل انت الا
من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى اذا دارت الراح في راسك منتك نفسك
الاماني وقلت اطرق دور بني عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهن فاسرقهن
فوالله ما يفعل هذا الاحرار بئس والله ما منتك نفسك فاخرج والا دخلت اليك فصدمتك
الصدمة وايم الله لتخرجن او لاهتفن هتفة مشومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة
ويصير زيد زيدا ويجي سعد بعدد الحصى ويسيل عليك الرجال من هنا وهنا ولئن
فعلت لتكونن اشام مولود في بني تميم فلما راى انه لا يجيبه اخذه باللين فقال اخرج
بابي انت مستورا عليك اني والله ما اراك تعرفني ولو عرفتني لقنعت بقولي واطمانت
الي انا عروة بن مرثد ابو الاغر النهشلي وانا خال القوم وجلدة ما بين اعينهم وانا لك
كفيل خفير اجيرك بني نهشل اذني وعاتقي لا تضار الليلة فاخرج فانت في ذمتي والا
فعندي قوصرتان اهداهما الي ابن اختي البار الوصول فخذ احداهما فانتبذها
حلالا من الله ورسوله وكان الكلب اذا سمع الكلام اطرق واذا سكت وثب يريد
المخرج فتهانف اي تضاحك ابو الاغر ثم قال يا الام الناس واوضعهم لا اراني لك منذ
الليلة في واد وانت لي في اخرى فلت السوداء والبيضاء تطرق اذا تكلمت وتثب اذا سكت
والله لتخرجن او لالجن عليك البيت فلما طال وقوفه جاءت جارية من الحي فقالت اعرابي
مجنون والله ما ارى في البيت شيئا فدفعت الباب فخرج الكلب هاربا وحاد عنه ابو الاغر

مستلقيا ثم قال تالله ما رايت كالليلة ما اراه الا كلبا اما والله لو علمت بمكانه لقعد
وكبه عليه **قال صاحب الديك** في الديك الشجاعة وفي الديك الصبر عند اللقا
لهم لا يجدون الصبر تحت السياط والعصي الا ان يكون ذلك موصولا بالصبر في اي سعلى
ومع السلاح وفي الديك الجمزان وهو ضرب من الروغان والروغان هيني من التدبير
الحرب وفيه الثقافة والشد به وذلك انه يتقدم بصيصية لعين الديك ويتقدم
للمذبح وهم يتعجبون من الحاذق ويضربون به المثل اذا كان لا يخطى المفصل ولذلك
ما كوا في المثل يجيد الحز ولا يخطى المفصل وهذا القول يدنون به ويدحون به
فالديك في ذلك اعجب وله مع الحذق بالطعنة وسرعة الوثبة والارتفاع في الهواء سلاح
ظريف وفي موضع عجب وليس ذلك الا له وبه سمي قرن الثور صيصية ثم سموا الاطام
التي كانت بالمدينة للاشياع بها من الاعداء صياصي وقال الله تبارك وتعالى وانزل
الذين كفروا من اهل الكتاب من صياصيهم والعرب تسمي الخارج من ذلك سلاحا اذا اجتمعا
فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صيصية سموا قرن الثور الذي به يجرح ويمتنع
وعلى انه مشبه في صورته بصيصية الديك وان كان اعظم ثم لما وجدوا تلك الاطام معاقلهم
وحصونهم وجننهم وكانت في معنى السلاح سموها صياصي ثم شبهوا شوكة الديك التي
بها السداء واللحمة صيصية اذ كانت مشبهة لها في الصورة وان كانت الصور اشباه
ولانها مانعة من فساد الحوك والغزل ولانها في يده كالسلاح متى شاء ان يجاء
بها انسانا وجاءه وقال دريد بن الصمة • نظرت اليه والرماح تنوشه •
كوقع الصياصي في النسيج الممدد • وقد تسمى ابرة العقرب شوكة كما تسمى صيصية الحائك
شوكة وهي من هذا الوجه مشبهة لشوك النخيل ويقال لمن ضربته الحمرة قد ضربته الشوكة
لان الشوكة اذا ضربت انسانا فما اكثر ما يعتري من ذلك ريح الحمرة وقال القطامي في تشبيه
ابرة العقرب شوكة • ترى في جوانبها الليل حتى كانما • تحرجوا بالاطراف شوك العقارب •
ويوصف الجرو ويشبه بالشوكة لان الشوكة غليظة المواخير لطيفة المقادم والشوك
والسلاء سواء وقال علقمة بن عبدة • سلاءة كعصا النهدي غل لها •

منظلم

منظلم من نوى قران معجوم • ومن سمى ابرة العقرب حمة فقد اخطاء انما الحمة سموم ذوات
الشوك كسموم ذوات الابر من العقارب واما البيش وما اشبهه من السموم فليس يقال
له حمة وها هنا امور لها سموم في خراطيمها كالذباب والبعوض واشياء من الحشرات
تعض وربما قتلت وكالسب وسام ابرص والطبوع شديد الاذى والرتيلا وربما قتلت
والصيح دون ذلك كله وعقارب طيارة لم نسمعهم يسمون جميع السموم بالحمة وقد
قلنا مثل ما قالوا واشتهينا الى حيث انتهوا وقد يعرف بعض الناس بانه متى عض قتل
كان منهم صفوان بن جشم وداود القرادي سيقع هذا الباب في موضعه على قدر ما يمكننا
والله الموفق والناس يسمون الرجل اذا بلغ من حرصه ان لا يدع ذكرا غلاما كان او رجلا
او خصيا او فحلا الا نكحه من فرط غلمته ومن قوة منته صيصية ويقولون ما لفلان الا صيصية
وهو عندهم اسم لمن استدلوا طه تشبيها منهم بصيصية الديك في الحدة والصلابة وللديك
انتصابة اذا قام ومباينة صورته في العين لصورة الدجاجة وهذا الفرق الواضح بين جميع
الاناث والذكورة وليس ذلك للحمام والحمامة ولا للحمار والحمارة ولا للبرذون والرمكة
ولا للتيس والنعجة ولا للجمل والناقة وليس ذلك الا لهذه الفحولة لانها كالرجل والمراة
وكالتيس والصفية وكالديك والدجاجة والنخلة الفحال والنخلة المطعمة الانثى انك
لو رايت ناقة مقبلة لم تدر اناقة هي ام جمل حتى تنظر الى موضع الثيل والضرع والى
موضع الحيا وكذلك العنز وكذلك جميع ما وصفنا الا ان تدعو القافة ولبعض في
ذلك معرفة علم ولذلك ضربوا المثل بالتيس والنخلة والفحال واشتقوا من هذا
الفحل وهذا ايضا من خصال الديك ثم للديك لحية ظاهرة وليس يكون اللحى الا للجمل
فانه موصوف بالعثنون والا للتيس والرجل قال الراجز في الجمل •
مختلط العثنون كالتيس الاجم • سام كان راسه فيه ورم • قد ضم المليه هياجا فخطم
ثم للديك بعد خاصية اللحية والفرق وقالت امراة في ولدها وزوجها •
وهبته من سلفع افوك • ومن هبل قد علاه حنيك • اشهب دني راسي كراس الديك
واما قولها اشهب فانها تريد ان شعر جسده قد ابيض من الكبر وانما جعلت

سائر كراس الديك لانه كان يصفر الراس واللحية بالحمرة ثم لم ترض له بشبه الرجال
بهذا الوجه حتى حلق راسه ازرق وذلك شيء من الجمال والوقار والفضل لا يشبهما
للناس مع كمالهم وتمامهم الا بان يتكلف له والاحتيال فيه ثم يبلغ من شدة تحمله
ومن قوته على السفاد وعلى الباب الذي يعجز به الانسان اذا كان ذا حظ فيه
وهو مما لا يذكر التيس به لانه كنحو ما ذكر عن المشراطية وكنحو ما يتهامون يتركون
لمجي العالج عدة قلاص فاذا ضرب الاولى فخالوا عليها ان يحطمها وهو في ذلك
قد رمى بمائه مرارا اقلته الرجال على التي تليه بالقرب حتى ياتي على العشر والاربع
في ذلك المقدار وليس يدعوهم الى تحويله عن الثالثة الى الرابعة الا خوفهم
عليها من العجز عنه وزعم ابو عبد الله الابرص العمي وكان من المعدلين ان التيس
المشراطي قرع في يوم من ايام هيجه نيفا وثمانين قرعة وكناس يحكون من عدد
ما يكون من العصفور في الساعة الواحدة العدد الكثير والناس يدخلون هذا الشكل
في باب التفضيل وفي باب شدة الغلمة وتظاهر القوة والديك يكون له وحده الدجاج
الكثير فيوسعها حظا وسفادا وقد قلنا في نقل البيض الكثير الذي الى بحوانه وعلى
ان الذي يحضنها انما يخرج لها من بين الزمك وموضع القطاة ببيضتين عظيمتين
معروفتين وانا رايت ديكا هنديا باشتم دجاجة هندية فلم يتمكن منها فرايت لطفته
حين عجا وقد لزق على ظهرها على عدرة وكانت الدار مشارة لتجعل بستانا واذا لك
المجر كالزورق البخاء فاخذها لبعض من كان معنا فسمها حتى رأى بياضها وحسوريتها
وكثرتها فلعلها ان تناسب بر تحارج نطفة الانسان وريح طلع النخل فلم نجد
ذلك هذا ثم معرفة الديك بالليل وساعاته وارتفاع بني ادم بمعرفته وبصوته
يعرف اناء الليل وعدد ساعاته ومقادير المواقيت ثم يقسط اصواته تقسيطا
موزونا ولا يغادر منه شيئا ثم قد علمنا ان الليل اذا كان خمس عشرة ساعة يقسط اصواته
الموزونة العدد عليها كما يقسطها والليل تسع ساعات ثم يصنع فيما بين ذلك من القسمة
واعطاء الحظ على قدر ذلك وحسابه فيعلم الحكمة انه فوق الاخطرات وفوق مقادير

حساب

حساب الجزر والمد على منازل القمر وحتى كأن طبعه سلك على مجرى جميع المعرفة العجيبة
والرعاية العجيبة ورب معرفة تكون نبيلة واخرى لا تكون في طريق النبالة وان كانت المعارف
كلها مفضلة مقيمة الا انها في منازل ومراتب وليس في الارض معرفة بدقيق ولا جليل الا وهي
في نفسها شيء نفيس كريمة والمعرفة كلها بصر والجهل كله عمى والعلم كله شرف ونعمة والاستبانة
كلها خير وفضل ثم له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا المعرفة منه وفي كل ذلك بعد صوته
وانه يدل على صوته انه مائجول مأنوس وكذلك قالوا لا يكون البيان فيه ما لم يجتمع فيها
ديك وليس في الارض املح ملحا من فروج وليس ذلك الاسم الا لولد الديك والا فكل
شيء يخرج من البيض فانما هو فروج والفروج ينقدع عنه البيض فيخرج كاسيا وعارفا
بمواضع لقط الحب وسد الخلة وهو اهتدى للذبان من السواري وبدرجة مع الولادة بلا
فصل ومما اعطي من محبة النساء وصحبة الرجال وحسن الرأي في جميع اهل الدار ثم اتباعه
لمن دعاه والفه لمن قربه ثم ملاحة صوته وليس فيه والذي فيه من الذي يصلح له الفروج
ويتعرف فيه وكان جعفر بن سعيد يزعم ان الديك اجمل من الطاووس وانه مع جماله وانتصابه
واعتداله وتقلعه اذا مشى سليم من مقابح الطاووس ومن موقه ومن قبح صوته ومن تشاؤم
اهل الدار به ومن قبح رجليه ونذالة امره وزعم انه لو ملك طاووسا لالبس رجليه خفا وكان
يقول انما يعجب له بالتلاوين وتلك التفاريج والتهاويل التي للالوان ريشه ورب ارتاب
الديك النبطي وفيه شبه بذلك الا ان الديك اجمل من التدرج لمكان الاعتدال والانتصاب
والاشراف واسلم من العيوب من الطاووس وكان يقول ولو كان الطاووس احسن من الديك
النبطي في تلاوين ريشه فقط لكان افضل الديك عليه بفضل القد والخرط وبفضل حسن
الانتصاب وجودة الاشراف اكثر من مقدار حسن الوانه على الوان الديك ولكن السليم من
العيوب اجمل لا محالة من تلك الخصلة الغفيرة على حسن الطاووس وعين الناظر اليه واول
منازل الجمال السلامة من الذم وكان يزعم ان قول الناس فلان احسن من الطاووس
وان قول الشاعر: حذوناه مثل طاووس الذهب. وانهم انما سموا جيش ابن الاشعث
جيش الطواويس لكثرة من كان يذهب فيه من الفتيان المعروفين بالجمال فانما ذلك

لان العامة تتخير الجمال والفرس رابع كرم احسن من كل طاوس في الارض وانما ذهبوا في
حسنه الى حسن ريشه فقط وعلى انهم ذهبوا الى الوان ريشه ولم يذهبوا الى تركيبه وقطعه
كحسن البازي وانتصابه ولم يذهبوا الى الاعضاء والجوارح والى المبادي والنهايات والى
الراس والوجه الذي فيه وكان جعفر يقول لما لم يكن في الطاوس الا حسنه في الوانه
ولم يكن له من المحاسن ما يزاحم ذلك ويحاذيه وينازعه وسهل عنه ذكره وسبق ظهر
وخصال الديك كثيرة وهي متكافية في الجمال والفضل فلم يذكر منها دون شيء وكان
يجعل هاشما وعبد مناف وعبد المطلب مثلا ويورده في مواضع كثيرة ويقول لم يكن لعبد المطلب
في قريش نظير وذلك حين لم يكن فيه خصلة اغلب عليه من اخرى وتكاملت فيه وتساوت
وتوافت اليه خصال الطبع في وزن العرق والخلق في وزن الطبع والمعرفة في وزن
الخلق والعقل في وزن المعرفة فقالوا عند ذلك سيد الابطح وسيد الوادي وسيد قريش
واذا قالوا سيد قريش فقد قالوا سيد العرب واذا قالوا سيد العرب فقد قالوا سيد الناس
ولو كان مثل الاحنف الذي قد برع في حلمه وفرع مقدار خصاله لذكر بالحلم وكذلك ذكر
قيس بن زهير في الدهاء والحرث بن ظالم في الوفاء وعتيبة بن الحرث في النجدة والثقافة ولو
ان الاحنف رأى حاجب بن زرارة او زرارة بن عدس او حصن بن حذيفة لقدمهم على نفسه وهؤلاء
عيون اهل الوبر وهم لا يذكرون بشيء لاستواء خصال الخير فيهم وفي مثل ذلك يقول النابغة
فالفيت الامانة لم تخنها . كذلك كان نوح لا يخون . وليس لهذا الكلام وجه وانما ذلك
كقوله كان داود لا يخون وكذلك كان موسى لا يخون وهم وان لم يكونوا في حال من الحالات
اصحاب خيانة ويجوز ذلك عليهم فان الناس انما يضربون المثل بالشيء النادر من افعال الرجال
ومن سائر امورهم كما قالوا عيسى روح الله وموسى كليم الله وابرهيم خليل الله ولو ذكر ذاكر الصبر
على البلاء فقال كذلك كان ايوب لا يجزع لم يكن الكلمة اعطيت حقها ولو ذكر باب الاحتمال
وتجرع الغيظ فقال وكذلك كان معوية لا يسفه وكذلك كان الاحنف لا يجهل لكان ذلك
كلاما معروفا ولو قال كذلك كان حاتم طي لا يبخل لكان القول قد وقع موقعه وان كان حاتم
لا يعرف بقلة الاحتمال وبالتسرع الى المكافاة ولو قال سائلك ممتنعين وقد كان يسعى

لا يمنع

لا يمنع وكان النخعي لا يقول لا لان قول لا قول غير محمود في جهة البيان وان كان ممن يعطي
ويختار نعم على لا ولكن لما لم يكن ذلك هو المشهور من امرهما لم تضرب الامثال بهما ولم تضرب
فيهما مثل جعفر وكذلك القول في الديك وخصاله لكثرة خصاله وتوازن خلاله لان خصال الديك
لا يلهج بذكره الا البصراء بمقادير الجمال والقبح والتوسط في ذلك والاختلاط والعقد ومنه
ما يكون ممزوجا وخالصا وحسن الطاوس لا تعرف العوام غيره فلذلك لهجت بذكره ومن الدجاج
الحلابي والهندي والدجاج الزنجي ومنها الكسكري ومن الديكة ما يخصى فلا يبلغه في الطيب والسمن
شيء وان اشتد لحمه اذا كان غير خصي فقد يمدح ذلك منه ومن وجه هو اردف بباب المتخير من رخاوة
اللحم واستطابة الاكل له وعلى انه لو اردناه من بعض سباع الطير او عدا عليه انسان وكانه
بر بدا فيه حتى اذا ذبحه الطهاة رتد في موضعه لا يبرحه ثم ذكه على المكان يجمع له الخصال
كلها ولو علق في عنقه حجر الليلة بعد ان ذكه او ادخل بطنه شيئا من حلتيت لجمع له الخصال
فانه عمل فيه من البروق وقشور البطيخ في اللحم وهو بعد عنوز لحم دجاجة وقال الشاعر
بقار والعيره قلق في الذكر . وقال الاخر . النحل يحمي شوله معقولا . ولحم الدجاج فوق جميع
اللحمان في الطيب والاباجرة لحس والملوك تقدمه على لحم الفراخ والشواهين والبط
والدراج وهم للدجاج اكلا منهم للجداء الرضع وللعنوق الحمر من اولاد المعز والدجاج اكثر
اللحوم تصرفا لانها تطيب شواء وحارا وباردا ثم يطيب في الزبرماورد ثم يطيب في الدرابس
ويحدث لها بها نعمة لا تعقب مع غيرها ويطيب طبيخا ويطيب مصوصا فان قطعت مع اللحم
طيب اللحم ومرق ذلك اللحم ويصلح للشاوي والقلانسطر ويصلح في الاقتار رخاوة يمنها بعدم
في السنباجة على البط الا انها تطعم المفتقد وليس ذلك للبط فان الديك دجاج اذا ذكرت
في جملة الحيوان وهذا الباب مما يغلب فيه الاناث الذكورة قال اخرون لا ولكن الديك دجاج
الا انهم ارادوا ابانته بانه ذكر فقالوا ديك كما يسمون الذكر والانثى من الخيل الفرس فلما اذا
ارادوا ان يبينوا الانثى من الذكر قالوا حجر وهي وان كانت حجرا فهي فرس وقال الاخطل
نار غشيه طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري . وهو بعد اصوات ديكه
وقد بين ذلك القرشي حيث يقول . اطرد الديك عن ذوابة زيد . فلا ما كان لا تطاه الدجاج

وذلك انه راى راس زيد بن علي في دار يوسف بن عمر فجاء ديك حتى وطئ شعره ونقر في لحمه
بالكلية تمام. وقد اخطا من زعم ان الديك انما يتجاوب بل انما ذلك منها شيء يتوافى في وقت
ليس كتجاوب نباح الكلاب لان الكلب لا وقت له وانما هو ساكت صامت ما لم يحس شيئا ينزع
منه فاذا احس نبح واذا سمع نباح كلب اخر اجابه ثم اجاب ذلك اخر ثم اجابها الكلب
الاول ونسي انه المجاوب حتى يتجاوب جميع الكلاب. والديك ليس من اجل انه انكر شيئا، اذا انكر
شيئا او سمع صوتا صقع وانما يصقع لشيء في طبعه اذا قابل ذلك الوقت من الليل هيجه
وعدد اصواته الى الوقت الذي يظن انه يجاوب فيه الديك كعدد اصواته وليس في القرية ديك
غيره وكذلك هو في المواقيت والعلة التي لها يصقع في وقت بعينه شايعة فيها فلذلك الوقت
وليس لذلك الكلاب قد ينبح كلاب في الحرس وكلاب في بني سعد نابحة غير نابحة وليس يجوز
ان يكون ديكة المهالبة تصقع وديكة الساعة ساكنة فان اراد مريد بقوله ان الديكة تتجاوب
على مثال قول العرب هذه الجبال تتناظر اذا كان بعضها قبالة بعض واذا كان الجبل من صاحبه
بالمكان الذي لو كان انسان رآه جاز ذلك وعلى ذلك المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم في نار
المشركين لا تراءى ناراهما قال ابن مقبل سل الدار من جنبي حبر فواهب كيف ترى حضن
القليب المضيح وتقول العرب اذا كنت بمكان كذا وكذا حيث ينظر اليك الجبل فخذ عن يسارك
او عن يمينك وقال الراجز وسيح الجبال ابو قبيس وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا بريء
من كل مسلم مع مشرك قيل لم يا رسول الله قال لا تراءى ناراهما وقال الكسائي تقول العرب
داري تنظر الى دار فلان ودورنا تناظر وقال الله جل وعز وتراهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون وانما قال القوم في تجاوب الديكة شعر قالوه وكمعود للطرماح حيث يقول
فيا صبح كمش غبر الليل مصعدا ببم ونبه ذا العفاء الموشح
اذا صاح لم يخذل وجاوب صوته حماش الشوى يصدحن من كل مصدح
وكذلك غلطوا في قول عبدة بن الطبيب
اذ صفق الديك يدعو بعض اسرته الى الصباح وهم قوم معازيل وانما اراد توالي ذلك منها
معا لهم دعائنا بكا وبا على ما فسرنا قال صاحب الكلب لولا انا وجدنا الحمار المعروف
بدا المثل في الجهل يقوم في الصياح من ساعات الليل مقام الديك لقد كان ذكر قولا ومدحا

بجزء دود ولو ان متفقدا تفقد ذلك من الحمار لوجده منظوما يتبع بعضه بعضا
على عدد معلوم ولوجد ذلك مقسوما على الساعات وكان لقايل ان يقول يحتمل نهيق الحمار في
ذلك الوقت ليس على التجاوب وانما ذلك شيء يتوافى معا لاستواء العلة ولم يكن للديك الموصوف
بانه لم فرق الاصطلاح فضيلة ليست للحمار وعلى ان الحمار ابعد صوتا وقد بلغ من شدة
صوته ما ان حلف احمد بن عبد العزيز ان الحمار لا ينام البتة فقيل له ولم قلت ذلك قال لاني وجدت
صياحه كصياح شيء انتبه تلك الساعة ولا هو صياح من يريد ان ينام بعد انقضاء صياحه هذا والحمار هو
الذي ضرب القرآن به المثل في بعد الصوت وضرب به المثل في الجهل فقال كمثل الحمار يحمل اسفارا فلو كان
شيء من الحيوان احمل لما في بطون الاسفار من الحمار لضرب الله به المثل دونه وعلى ان فيه من الخصال
ما ليس في الديك وذلك ان العرب وصفته في الاشعار التي يهدله في عشرة اماكن فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل الصيد في جوف الفرا وكفاك به مثلا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفضيل هدية
ابي سفيان وقالت العرب انكحنا الفرا فسترى والفراء ممدود مفتوح الفاء وهو جمع لذلك كقولهم
الا لا تغتر كآذان الفرا فضوله وطعن كايزاغ المخاض تبورها وتقول العرب العير اوقى
لدمه وقوله من ينك العير ينك نياكا وتمثل به شبيب الحروري ليلة بيته عتاب بن ورقا
وقالوا نجى عيرا سمنه وقالوا عليك الجحش لما فاتك الاعيار وقالوا اصبر من عير الى سيارة
لانه كان دفع باهل الموسم على ذلك العير اربعين عاما وقالوا ان ذهب عير فعير في الرباط
وقالوا في المدح لصاحب الراي جحيش وحده وعيير وحده وقالوا العير يضرط والمكوى في النار
ثم وان قالوا ذلك وقالوا الحمار يحمل اسفارا واضل من حمار اهله واخزى الله الحمار مالا يزكى
ولا يذكى وقد قيل هيل بين العير والنزوان فالذي مدح به اكثر فقد وجدنا الحمار ابعد
صوتا ووجدناه يعرف من اوقات الليل ينهق عددا معلوما الى الصبح وعلى ان لم يجي
الا ساير فضله والحمار احمل الخلق فليس ينبغي للديك ان يتقدم له بالمعرفة والحمار قد ساواه
في سيد علمه ثم تابعه في ان الحمار حس اللدابة والديك ان سقط على حايط جاره لم يحسن
ان يهتدي الى داره وان خرج من باب الدار ضل وضلاله من اسفل كضلاله من
فوق قال صاحب الديك حدثوني عن خالد بن كيسان عن عبد الله بن عبد الله

بن عتبة قال صرخ ديك عند النبي صلى الله عليه وسلم فسبه بعض اصحابه فقال لا تسبه
فانه يدعو الى الصلوة وعن الماجشون عن زيد بن خالد الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن سب الديك وقال انه يوذن للصلوة الحسن بن عمارة عن عمرو بن مرة عن سالم
بن ابي الجعد يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مما خلق الله جل وعز لديكا عرفه تحت
العرش وبراثنه تحت الارض السفلى وجناحاه في الهوى فاذا ذهب ثلثا الليل وبقي
الثلث ضرب بجناحيه ثم قال سبحان الملك القدوس سبوح قدوس ربي لا شريك له فعند ذلك
تضرب الطير باجنحتها وتصيح الديكة ابو علي عن كعب قال ان لله ديكا عنقه تحت العرش
وبراثنه في اسفل الارضين فاذا صاح صاح الديكة يقول سبحان القدوس الرحمن
الملك لا اله غيره قال فالديكة هنا ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الديك
الابيض صديقي وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع دور قالوا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيته معه في البيت ورووا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يسافرون بالديكة وزعم اهل التجربة انهم كثيرا ما يرون ان الرجل اذا ذبح الديك
الابيض الافرق انه لا يزال ينكب في ماله ومن الحاجات ان تقول كيف تعرف الديك
اذا كان صغيرا حين يخرج من البيض قالوا يعلق بمنقاره فان تحرك فهو ديك وان
لم يتحرك فهو دجاجة وقال الشاعر في حسن الدجاج ونسك الديك

خرنباشة من ذات عرق • ما طاف الزجاج من العصير • واوى بالمروج ثم رحنا
نرى العصفور يحرق البعير • كان الديك ديك بني نمير • امير المؤمنين على سرير
كان دجاجهم في الدار رقطا • وفود الروم في قمص الحرير • فبت ارى الكواكب دانيات
ينلن انامل الرجل القصير • ادافعهن بالكفين عني • وامسح جانب القمر المنير

قال صاحب الكلب الاشياء التي تألف الناس ولا تريد سواهم كالعصفور
والخطاف والكلب والسنور والديك مما يتخذه الناس وليس مما يحن اليهم فيقطع
البلاد نزاعا كالقواطع من الطير التي تريدهم كالخطاف ولا هو من الاوابد كالعصفور
الذي حيث ما دار رجع اليهم ولا هو كالكلب الذي لا يعرف سواهم ولا هو كالاهلي

من السنانير التي الفتهم لم تفارقهم وتعس بالليل وتطوف بالقبايل من دار الى دار
ثم لا يكون مرجعها اليهم والديك في خلاف ذلك كله ثم لا يألف منزله ولا يعرف
ربعه ولا يحن الى دجاجة ولا يشتاق نفسه الى طروقته ولا يشتاق الى ولده
ولا يأنف الذين غذوه وربوه ثم لم يدر قط ان له والدا ولو كان يدري لكان على
درايته دليل واذ قد وجدناه ببيضه وفراريجه المخلوقة من نطفته كما نجده لمن لم يلد
ولما ايضا ليس من نسله ولا يرجع الى نسبه فكيف لا نقضي عليه بالنقص اذا كانت
الامور لا تعرف الا بهذا وشبهه وهو لا يعرف اهل داره ولا يثبت وجه صاحبه
ولو لم يخلق الا عنده وفي ظله وتحت جناحه ولم يزل في رزقه وعياله والحمام يرجع اليه
من مسيرة فراسخ ويصاد فيغيب عن وطنه عشر حجج ثم هو على ثبات عهده ومودته
عنده حفاظ والفه ووفايه والنزاع الى وطنه ومتى وجد فرجة ووافق
جناحه وافيا وافاه وصار اليه وان كان جناحه مقصوصا حذف اليه وتكلف
المشي الى مسكنه فاما بلغ واما اعذر والخطاف يقطع اليهم من حيث لا يبلغ مخبر
ولا صاحب سفر على انه لا يتخذ وكرا اذا صار اليهم الا في احصن موضع ولا يحمله
الانس بهم على ترك الحزم في ملابستهم ولا يحمله الخوف منهم على منع نفسه لذة السكون
اليهم ولا يبخس الحزم حظه ولا يبخس الارتفاق بهم حظه والعصافير لا تقيم في دار
الا وهي مسكونة فان هجرها الناس لم تقم فيها العصافير والسنور يعرف ربة
المنزل ويألف فراخ الحمام ويعابث فراخ الدار وان سرق ودري شهرا عاد عند
انفلاته وانحلال رباطه والهرة تعرف ولدها وان صار مثلها وان اطعمت
شيا حملته اليه واثرته به وربما القي اليها الشيء لتأكله ويقبل ولدها فتمسك
عنه وتعرضه له وربما طرح لها الشيء وولدها غايب عنها ولها ضرب من
النغم والاشكال من الصياح لاشكال من المعاني فتصيح ضربا من الصياح يعرف اهل
الدار به صياح الدعاء لا غير ذلك كما تستخبر الظبية الخشف ويقال ابو الحسن عره
ومتى ارادت ما يريد صاحب الغايط اتت زاوية فيها تراب فنبشته حتى اذا

جعلت له مكاناً كهيئة الحفرة فدفنته فيه ثم غطته من ذلك التراب ثم تشممت أعلى ذلك التراب
وما هو منه فإن وجدت شيئاً من الرائحة زادت عليه تراباً حتى لا تزال حتى تعلم أنها
قد أخفت المرئي والمشموم جميعاً فإن هي لم تجد تراباً خمشت الأرض بيدها وظهر
السطوح حتى تبلغ في الحفر مذهباً ومبلغاً وهي من ستر ذلك في جهد وزعم لي
ناس من الأطباء أن السنور يعرف ريح رجيعه فإنما يستره لمكان شم الفار له وأنها
تفر إلى منقطع تلك الرائحة وتتفطن لما يكون فيه وفيه خلق من أخلاق السبع
وما شاكل الأسد في الخلق على قدر ما شاكله في الخلق وبعد داب ذلك كشيء
والديك لا تراه إلا سالحاً ثم لا يتوقى ثوب رب الدار ولا فراشه ولا بساطه
هذا وصونه التراب وأن يدفن نفسه فيه ويدخله في أصول ريشه ثم لا ترى
سلاحاً أنتن منه لا يشبه ذرق الحمام ولا صوم النعام ولا جعر الكلب ثم هو
مع ذلك لا تراه إلا سايلاً رقيقاً ولو كان مدحرجاً كبعار الشاء والإبل ونطها
ويتقلعا متلقعاً بالجعر الكلب والأسد ثم كان على مقدار بيته لكان أهون
في الحيلة وقد قال أبو نواس في ديك لبعض أصحابه   ادنيا بديك السلاح
فتخاً من صنش الأرواح   قال صاحب الكلب   ومن مرافق الكلاب الخانقين
يظاهر بعضهم بعضاً فلا ينزلون في البلدان إلا معاً ولا يسافرون إلا معاً فربما
استولوا على درب بأسره أو على طريق بأسره ولا ينزلون إلا في أطراف البنا قد يكون
خلف دورهم إما صحاري وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك وفي كل دار
كلاب عدة مربوطة ودفوف وطبول ولا يزالون يحلون على أبوابهم معلم
كتاب فإذا خنق أهل الدار فيهم إنساناً ضرب لنا وبالدفوف وحرشوا
الكلاب فسمع المعلم فصاح بالصبيان تنحوا وحاوبهم كل جار بالدفوف وصوح
كما تفعل نساء القرى ونبحوا الكلاب فلو كان المخنوق حماراً لنهق لما شعر
بمكانه أحد كما كان ذلك بالرقة وكيف أخذوا أهل درب بأسره وذلك أن
أحدهم رغب في ثوب كان على حمال وفي دريهمات معه فألقى الوهق في عنقه

فخنق

فغشي عليه ولم يمت وتحرك بطن الخناق فأتى المتوضأ وترك الحمال والساجور في عنقه
وذهب نفس الحمال إليه فلما رجع اشتد نحو باب الدار والساجور في عنقه وتلقته جماعة
فأخبرهم الخبر فصاح الناس فأخذوا من أخذهم وقد كان بالكوفة شبيه بذلك وفي
غيرها من البلدان فقال حماد الراوية وذكر المزنيين بالخنق من القبايل وأصحاب المقالات والنحل
وكيف يصنع الخناق وسمى بعضهم فقال   إذا سرت في عجل فسر في صحابة
وكندة فاحذرها حذار المخنف   وفي شيبة الأعمى زياد غيلة   وقف ولعمال بجنده القذف
وكلهم شر على أن رأسهم   حميدة والميلاء حاضنة الكسف   متى كنت في حي بجيلة فاستمع
فإن لهم قصفاً لدى كل حتف   إذا اعتزموا يوماً على قتل زائر   تداعوا عليه بالنباح وبالعزف
فأما ذكره لبني عجل فإنه لما كان ذو الطفيتين وعبوس من بني عجل وأما ذكره كندة فقد أنشد
سفيان بن عيينة أبا عبيدة إذا ما سرك العيش   فلا تمرر في كندة   ومن كندة أبو قطيفة
أخذ بالكوفة وقتل وصلب وكان بالكوفة يسمى بأكل لحوم الناس عونه المدينية الحمراء
وكان بالبصرة في بني ضبة زرزوبه صاحب قصاب زادوبه وأما الأعمى الذي ذكر فهو المغيرة
بن سعيد صاحب المغيرية وهم صنف من العجلية الحنق بطرابوا المنصورية والمغيرية من موالي
بجيلة وصوامحان خرج على خالد بن عبد الله القسري وعند ذلك قال خالد أطعموني ماء وفي
ذلك يقول يحيى بن نوفل   تقول لما أصابك أطعموني   شراباً ثم بلت على السرير
لأعلاج ثمانية وشيخ   كبير السن ذي بصر ضرير   فأما حميدة فقد كانت له رياسة
في الغالية وهو ممن استجاب لليلى الناعطية وهي من الشيعة والميلاء حاضنة
أبي منصور صاحب المنصورية وهو الكسف قالت الغالية إياه عنى الله جل وعز
بقوله وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم وقد ذكره بذلك
أبو السري معدان الأعمى الشمطي في قصيدته التي وصف فيها الرافضة والغالية ثم قدم
الشمطي على أصناف الشيعة فقال   إن ذا الكسف صد آل كميل
وكميل رذل من الأرذال   تركا بالعراق داء دويا   ضل فيه تلطف المحتال
فيهم الكامل العييب أماناً   وفريق يرضى بزيد الشمال   وفريق يقولو إنا براء

من على وجندب وبلال • وبراء من الذى سلم الامر • على غدره بغير قتال
وفرقوا بين بالسجر حتما • وفرقوا بين بالاسماك • لان الكيسانية لا يجيز الا كالو
فى الامامه وتقول لا بد من امام صامت او ناطق ولا بد من علم بعد الناس اليه
اضافتهم وابو منصور يقول بخلاف ذلك واما قوله فى شبعه الاعمى زياد وعيله فى ثب
واعمال لحدله القذف فقد قال معدال ٥ حبشى وكافر سبتى •
وجرى وناصح قتال • تلك بتميمه وباتيك حمث • ثم دين المغيره المغال •
خنق مرة وسم بجار • ثم رضخ بالجندل المتوال • لان من الخناقين من يكون
هاعما وبذلك يسمونه اذا جمع الخنق والتشديخ وحمل معه فى سفره حجرين مستديرين
مدملكين ملمومين فاذا خلا برجل من اهل الرفقه استدبره فرمى باحدهما قمحدوته وكذلك
ان كان ساجدا فان دمغه الاول سلبه وان هو رفع راسه طبق بالحجر الاخر وجهه
وكذلك ان الفى نائما او غافلا ولقد صحب منهم ناس رجلا من اهل الرى فى خفوه
مهمان وكان لا يفارق معظم الناس فلما راه قد قرب من مفرق الطريقين وراى افتراقهم
وبهم نزول اما فى صحراء على ماء واما فى سطوح الخانات والناس مشاغلون بامورهم
فلم يشعر صاحب الهميان نهارا والناس حوله الا والوهق فى عنقه فخنقه حتى القاه فى
عنقه ووثب اليه فجلس على صدره وما لاقى حلقه والقى عليه ثوبا واذن فاذنه فقام
اليه بعض اهل الرفقه كالمعين وكالمتفجع فقالوا له ما لك فانه ان رابك حمل واسجى
فامسك القوم عنهم وارتحل القوم واغفلوا بصاحبهم فلما خلوا به اخذوا ما احبوا وتركوا
ما احبوا ثم اخلوه على انهم اولى به حتى اذا بلغوا رموا به فى بعض الاوديه وقد ذكر
اعشى همدان الخشبيه وشانهم فى كرسى المختار فقال • شهدت عليكم انكم سبئية
فانى بكم يا شرطه الكفر عارف • واقسم ما كرسيكم بسكينة • وان كان قد لفت عليه اللفائف
وان ليس كالتابوت فينا وان سعت • شبام حواليه ونهد وخارف • وان شاكر طافت به وتمسحت
باعواده او ادبرت لا تساعف • وانى امرؤ احببت ال محمد • وانى تابعت صفيته المصاحف
ودانت به لابن الزبير صحابتنا • فلا غمر فيها او تجهل كالسف • واسف عقبا ها الال محمد

بنهم

فمنهم مظلوم وباقين خائف • وجمع رأى امر قد تشتت • وباحت حروب بينهم وحتايف
وما اكثر ما يخنق نفسه بيده اما لخوف المثله واما لخوف التعيير واما للهوان وطول
الاسر وقد كان حكم بن الطفيل اخو عامر بن الطفيل واصحابه خنقوا انفسهم فى بعض
الايام فعيروا بذلك تعييرا شديدا فقال خراشه بن عمرو العامرى ٥
وقد منهم الموت ثم خذلتهم • فلا والت نفس عليك تحاذر • فابلغ عنى عامرا ان لقيته
اسليت عن اسماء ام انت ذاكر • فان وراء الحى غزلان ايكه • مضمخة اذانها والغفائر
فانكم اذ تخنقون نفوسكم • لكم تحت اطلال العضاه جآبر • وقال عروه بن الورد فى يوم
ساحوق ويذكر خنق الحكم بن الطفيل واصحابه انفسهم فقال ٥
نحن صبحنا عامرا فى ديارها • علاله ارماح وضربا مذكرا • بكل رقيق الشفرتين مهند
ولدن من الخطى قد طر اسمرا • عجبت لهم اذ يخنقون نفوسهم • ومقتلهم عند الوغى كان اعذرا
يشد حليم منه عقد حبله • الا ان الامر الذى كان احدرا • وقال ابو زبيد فى كلب لم يكن
ساور الاسد وبينهما من الغار حين حطمه الاسد وكان اسمه اكدر فقال ٥
افال اكدر مشتاقا لا لعادته • حتى اذا كان بين الحوض والعطن • لاقى لدى فلك الاطواد داهيه
اسرت واكدر تحت الليل فى قرن • حطت به سنة ورهاء تطرده • حتى تناهى الى الحولات فى السنن
الى مقابل خطو ساعديه له • فوق السراة كذفر الفالج العضض • رئبال ظلما ولا جهم ولا ضلع
كالبغل حط به الفلحان فى شطن • لما رآه وماشتى مسومهما • الى عرين كعش الام البقن
يدا بما علقت اظفاره بهج • وظن اكدر عيشا لاما لحسن • حتى اذا ونيا الغربال فى سهت
لحاسه ام اجسته شدن • باد جاجنها حصاء قد افلت • عنهن بيد لها نعرا على شدن
ايقن اكدر اذ نموا اثما نيته • ان قد تخلل اهل البيت بالبين • فخاف عذرتهم لما دنى لهم
فخاض اكدر سعيا من الرسن • باربع كلها فى الجلد داميه • عض علتهن بين اللحم واللبن
الفاه منتبه الانياب جنته • وكان بالليل دلافا الى الجنن • فخاض اكدر وانجاب العباب وقد
احنا اكدر شرا هو وه العنن • وقال صاحب الكلب قال اعرابى والكلاب شانه
وكانت تسمى ورده ام الورد فقال ٥ اودى بوردة ام الورد ذو عسل •

من الذياب اذا ما راح او بكرا لوابنها وسليلات لها غذر ما انفكت العين تذري دمعها دررا
كانما الذئب اذ يعدو على غنمي في الصبح طالب وتر كان فاتأرا اعتامها اعتيامه شثن براثنه
من الضواري اللواتي تقصم القصرا قال وفي هذا الشعر دليل على ان الذئب انما يعدو عليها مع
الصبح عند فتور الكلاب عن النباح لانه بات ليلته كلها دائبا يقظانا يحرس فلما جاء
الصبح جاء وقت نوم الكلاب وما يعتريها من النعاس ثم لم يدع الله على الذئب بان يأكله
الاسد وحتى يجاوره ويقاسمه الا والاسد يأكل الذئاب ويجاور ذلك وانما استطاب
لحم الذئب لفضل شهوته للحم الكلاب **قال صاحب الديك** لم يلق شرها قط احماس
شاء بكلب ولا ضبابة زاورا وقد رأيناهم يجهرون الشواء بالدجاج واعظم من ذلك
ان لعيم الدجاج لما قال في افتتاح خيبر وهو يعني النبي صلى الله عليه وسلم
رميت نطاة من الرسول بفيلق شهباء ذات مناكب وفقار فوهب له دجاج خيبر
عن آخرها رواه ابو عمرو والمدائني عن صالح بن كيسان ولذلك الدجاج قيل للعيم
بن لعيم الدجاج **قال صاحب الكلب** قال ابو الحسن كان اياس بن معوية وهو
صغير دقيق ضعيفا دميما وكان له اخ هو اشد منه واقوى حركة وكان معوية
يقدمه على اياس فقال اياس يوما تقدم اخي يا ابة علي وساضرب لك مثلا هو
مثلي ومثله وهو مثل الفروج حين تنفلق عنه البيضة يخرج كاسيا فبالنفسه يلتقط
ويستخفه الناس فكلما كبر انتقص حتى اذا تم فصار دجاجة لم يصلح الا للذبح
وانا مثل فرخ الحمام تنفلق عنه البيضة عن شيء ساقط لا يقدر على حركة فابواه
يغذوانه حتى يقوى وينبت ريشه ثم يحسن بعد ذلك ويطير ويتخذه الناس
ويكرمونه ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء فيضن بذلك ويكرم قال فقال له ابوه
لقد احسنت المثل فقدمه على اخيه ورأى منه اكثر مما كان يظن به **قال صاحب
الكلب** وقد افتخر اياس في هذا القول بعض مقابح الدجاج وذلك ان للدجاج
من لدن يخرج الواحد من حد الصغر والكيس الى ان تدخل في حد الكبر واحتمال
اللحم والشحم حال تكون احسن حال لانه يصلح فيها للذبح وقد خرج من حد
الكيس

الكيس والاستملاح واياس هو الذي قال لست بخب والخب لا يخدعني وكان يخدع
ابن سيرين وهو يخدع ابي والحسن **باب ما يحتاج الى معرفته** يقال فرج المراة
ويجمع فروج وهو الفعل والفرج كناية والاسم الحر وجمعه احراح قال الفرزدق
اني اقود جملا ممراحا في قبة موقرة احراحا قال وانما جمعوا على احراح لان
الواحد حرح هكذا كان اصله وقد يستعار ذلك وهو قليل قال الشاعر
ترى لها الضبع اعظمهن رأسا جراهمة لها حرح وقبيل فلم يرض بالاستعارة حتى الحق
فيها الحاء وهو الكعثب قال الفرزدق اذا انبطحت فوق الاثافي رفعها
بثديين في نحر كريم وكعثب وقال الاغلب هيايكه عن كعثب لم يضبح
وهو الاجم قال الراجز جارية اعظمها اجمها قد سمنتها بالسويق امها
بابنة الرجل فما نقضها قال وقد يسمى الشكر بفتح الشين والكاف الكاف وانشدوا
وكنت كليلة الشيباء همت بمنع الشكر اتأمها القبيل
فلا قبلت عمرة من عراقها ملصقة الشكر بجاقيها قال وهو اذا اراد الحر فليس
من اسمائه ولكنه سماه بذلك على المزاح قالوا والظبية اسم الفرج من الحافر ويجمع
ظبيات وقد استعاره ابو الاخزر الحماني للخف فقال ساورها عند القروء الوحم
في الارض ذات الظبيات الجحم وقد قال الاول فجاء بغرمول وفلك مدملك
في قبتها كالحصان المشنق وهو من الظلف والخف الحياء والجمع احيية وهو من السبع
ثغر وقد استعاره الاخطل للظلف فقال جزى الله عنا الاعور بن ملامة
وعبدة ثفر الثورة المتضاجم فلم يرض ان استعاره من السبع للبقرة حتى جعل
البقرة ثورة وقد استعاره النابغة الجعدي للحافر كما استعاره الاخطل للظلف فقال
برهدنة بل البراذين ثفرها وقد شربت من آخر الليل ايلا وقد قالوا برذونة
قال الراجز تزوج اليك بابرذونة ان البراذين اذا جريته
مع الجياد ساعة اعيته وقد استعاره اخر فجعله للنعجة فقال
وما عمرو الا نعجة ساجفية تحرك تحت الكبش والثفر وارم الا حسبه ضاين
حنبه

بنى تغلب وقد استعاره ابو محمد للمراة فقال • نحن بنو عمرة فى انتساب •
بنت سويد اكرم الضباب • جلدتنا من ثوذها المنجاب • ويقال لجردان الحمار عزمول
وقد يقال ذلك للانسان وقيب البعير وهو للكبش ومقلم الجمل فقط ومن السباع
العقدة واحلة للكلب والذيب وقال جرير • اذا تروين على الخنزير من سكر •
نادين يا اعظم القسين جردانا • ويقال صرفت الكلبة صرافا وصروفا وصلعت تقلع قلوعا
وقالوا فى الامثال لا افعل حتى ينام ظالع الكلاب اى الصارف ولم يعرف الاصمعى
ضلعت الكلبة فى معنى صرفت واستحرمت واجعلت واستجعلت واستطارت
والذيبة فى ذلك كالكلبة قال ويقال فى السباع وضعت وولدت ورمحت نتلما
يقال للناس والغنم قال ويقال كلبة وكلب وذيبة وذيب وبردون وبرذونة
وانشد • ارايتك ان حالت بك الخيل جولة • وانت على برذونة غير طايل •
ويقال رجل ورجال وامراة ونساء وليس لها جمع من واحدها ويقال بعير وناقة
وجمل ولا يقال جملة ولا بعيرة وقد يقال رجل ورجلة وشيخ وشيخة ويقال كبش
ونعجة ولا يقال كما يقال اسد واسدة ويقال اسد ولبوة ويقال لباة ويقال
ذيب وذيبة وقال الشاعر • كانها ضبعانة فى مغاره • وذيبة تحل ام جرو عيسل
ويقال انسان وانسانة وسبع وسبعة وحمام وحمامة وحمار وحمارة وسيد
وسيدة وهقل وهقلة والق والقة قال روبة • جد وجدت القة من الالق
وسرحان وسرحانة ويزعم انه يقال ضبع وضبعة وثعلب وثعلبة واصحابنا
لا يعولون هذا ويحكون ممن قال ضبعة عرجاء ويقال ثرملة ويقال من الفراخ
فرخ وفرخة ومن النمور نمر ونمرة قال ويقال من الضباع ذيخ وذيخة وضبعان
وضبعانة وجيل وجيلة ويقال عقرب وعقربة والعقربان الذكر وحده قال الشاعر
كان مرعى امكم اذ غدت • عقربة يكومها عقربان • ومن الضفادع ضفدع
وضفدعة ومن القنافذ قنفذ وقنفذة وشيهم وشيهمة ومن القرود قرد وقردة
ويقال القة وفشة ولا يقال الق وفش ويقال لولد القرد رباح وللانثى

القة

القة قال الشاعر • والقة ترغث رباحها • والسهل والنوفل والنضر • ومن النعام
هقل وهقلة وهيق وهيقة وصعل وصعلة وسفنج وسفنجة ونعام ونعامة
والواحد من فراخها الرال والجمع رال ورئلان واراال والانثى رالة
وحفانة والجمع حفان وقد يكون الحفان ايضا الواحد ويقال لها قلاص والواحدة
قلوص ولا يقال قلوصة ويقال ظليم ولا يقال ظليمة ويقال نقنق ولا يقال نقنقة
ويقال من الارانب ارنب وارنبة والذكر خزز والانثى عكرشة ولولدها
خرنق ويقال هذه ارنب وهذه عقاب ولا يقال هذا الارنب وهذا العقاب
قال الشماخ • فما تنفك بين عويرضات • تجر براس عكرشة زموع •
قال ويقال لولد الكلب جرو والانثى جروة وهو درص والجمع ادراص ويقال
لمن عض الكلب الكلب ما لك ادراص الكلاب وجرو الكلب يكون اعمى عشرة ايام
واكثر وقد يوصف شبيه بذلك لكثير من السباع ويقال بصص الجرو وفقح وجصص
اذا فتح عينيه وصاصا اذا لم يفتح عينيه ولذلك قال عبيد الله بن جحش
والسكران بن عمرو للمسلمين بلاد الحبشة حين ارتد النصرانية انا فقحنا
وصاصاتم وقال بعض الرجاز فى بعض الجبان • افقح به من مولد واشيح •
مثل جرى الكلب لم يفقح • ان ير سارا يقم فينبح • بالباب عند حاجة المستفتح •
ويقال لولد الاسد جرو واجراء وجراء وهى لجميع السباع ويقال له خاصة شبل
والجمع اشبال وشبول وقال زهير • ولانت اشجع حين تتجه الابطال من ليث ابى اجر •
حدثنى صديق لى قال يتعجب اخ لنا من خبث الثعلب وكان صاحب قنص وقال لى
ما اعجب امر الثعلب يفصل بين الكلب والكلاب فيحتال للكلاب بما يعلم انه يجوز
عليه ولا يحتال مثل تلك الحيلة للكلب لان الكلب لا يخفى عليه الميت المتغشى عليه
ولا ينفع عنده التماوت ولذلك لا يحمل من مات من المجوس الى الناووس حتى يدنى
منه كلب لانه لا يخفى عليه مغمور الحس حى هو ام ميت وللكلب عند ذلك عمل
يستدل به المجوس قال وذلك انى هجمت على ثعلب فى مضيق ومعى بنى لى فاذا هو

ميت منتفخ فعدت عنه فلم البث ان لحقتني الكلاب فلما احس بها وثب كالبرق بعد ان
تحايد عن الشيء فسألت عن ذلك فاذا ذلك من فعله معروف وهو ان يستلقي
وينفخ خواصره ويرفع قوائمه فلا يشك من راه من الناس انه ميت منذ دهر قد تزكر
بالانتفاخ قال فكنت اتعجب من ذلك اذ مررت في الزقاق في اصل دار العباسية ومنفذه
الى بني مازن واذا جرو كلب مهزول ستي العدا قد طرده صبيان وعدوه ففر منهم ودخل
الزقاق ورمى بنفسه في اصل اصطوانة وتبعوه حتى هجموا عليه فاذا هو قد تمدد فضربوه
بارجلهم فلم يتحرك فانصرفوا عنه فلما جاوزوا تاملت عينه فاذا هو يفتحها ويطبقها
فلما بعدوا عنه وامنهم عدا واخذ في غير طريقهم فاذهب الذي كان في نفسي للثعلب
اذ كان الثعلب ليس عنده الا الروغان والمكر وقد ساواه الكلب في اجود حيله
ومع الكلب بعد ما ليس معه الا ان يفخر بقوته في موضع انتفاع الناس به
فخر الكلب للذبيحة انفع اذ كان في الذكية الموت وليس يقوم مقامه شيء
وجلد الثعلب منه عوض قال صاحب الديك شرار عباد الله من قتل
اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نجد شعراء الناس شبهوا اولئك القاتلين
بشيء سوى الكلاب وقال ابو نخيلة الابار في قتل سلم بن احوز المازني صاحب
شرطة نصر بن سيار الليثي يحيى بن زيد واصحابه الم تر ليثا ما الذي ختمت به
لها الويل في سلطانها المتخاذل كلاب تعاوت لا هدى الله سعيها فجاءت بصيد لا يحل لآكل
نبغي واهلي فاطمي تقنصوا زمان عمي من امة وتخاذل لقد كشفت للناس ليث عن استها
وغاب قبيل الحق دون القبايل قال صاحب الديك وروى هشام عن المغيرة عن
ابراهيم قال لم يكونوا ينهونا عن شيء من اللعب ونحن غلمان غير الكلاب وذكر محمد بن
عجلان المديني عن زيد بن اسلم انه كان لا يرى باسا بالبيض الذي يتقامر به الصبيان
ان يهدى منه اليه شيء او يشتريه فياكله وهاشم بن حسان قال سئل الحسن عن
البيض يلعب به الصبيان يشتريه الرجل فياكله فلم ير به باسا وان اطعموه
ان ياكل منه والجوز الذي يلعب به الصبيان حاتم بن اسمعيل الكوفي قال

حدثنا

حدثنا عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب انه لم يكن يرى باسا باكل البيض
الذي يلعب به الصبيان قال وحدثني ابن جريج قال اخبرني عبد الله بن عبيد
بن عمير قال اخبرني ابو الطفيل انه سمع علي بن ابي طالب يقول اقتلوا الجان
ذا الطفيتين والكلب الاسود البهيم ذا الغرتين قال والغرة حرة تكون بعينيه
قال صاحب الكلب قد اخبرني ابو جرى عن منصور العقاب قال سألت
الحسن عن البيض الذي يتقامرون به فكرهه وما راينا احدا حط بريد الادلاج ينتظر
صقاع ديك وانما يوالي الديك بين صياحه قبل الفجر ثم مع الفجر الى ان ينبسط النهار
وفيما بين الفجر وامتداد النهار لا يحتاج الناس الى الاستدلال بصوت الديك ولها في الاكار
والهائم الا الى الصبح والصبيان وكذلك الحمار على ان لحمار العبد صوتا واحدا ان
ينبه كل نائم لحاجة ان كانت له وما راينا صاحب سحور يستعمله وكذلك صاحب الاذان
وما راينا عجل في وقت اذانه على صياح الديك لان صوره وصوته ومقدار ما يخرج في
السحر الاكبر كصياحه قبل الفجر وصياحه قبل الفجر كصياحه وقد نور الفجر وصياحه وقد
تفرا الفجر كصياحه وقد اضاء النهار ولو كان بين الصيحتين فرق وعلامة كان لعمري
ذلك دليلا ولكنه متى سمع هتافه وصقاعه فانما يترجع الى مواضع الكواكب او
الى مطلع الفجر الكاذب والصادق والديك له عدد اصوات بالنهار لا يغادر منها شيئا
ولتلك اوقات لا يحتاج الناس فيها اليه فدل ذلك على ان امره على ما وصفنا وقدر لنا
الناس وعلماؤنا يستعملون بالنهار الاسطرلابات وبالليل الفنكانات ولهم بالنهار سوى
الاسطرلابات خطوط وظل يعرفون به ما مضى من النهار وما بقي ورأيناهم يتفقدون
المطالع والمجاري ورأينا اصحاب البساتين وكل من كان يغرب الرياض يعرفون ذلك
بريح الازهار ورأينا الروم ونصارى القرى يعرفون ذلك بحركات الخنازير
وبكورها وغدوها واصواتها ومرها ولذلك قالوا في صفة الرجل له وثبة الاسد
وروغان الثعلب واستلاب الذيب وجمع الذرة وبكور الخنزير والراعي يعرف
ذلك في رغاء الابل وفي حنينها وغير ذلك من امورها وللحمام اوقات صياح ودعاء

مع الصبح وقيل ذلك على نسق واحد ولكن انما ذكروا في ذلك الديك والحمار لامتدادا صوتهما
وهديل الحمام ودعاوه لا يجوز بعيدا الا ما كان من الوراشين في العواقب ورؤس النخل
واعالي الاشجار فلعمري ان ذلك لمما يسمع من موضع صالح البعد وللعصافير والخطاطيف
وعامة الطير مما يصوت ويصرصر ومما يهدل مع الفجر الى بعيد ذلك صياح كثير ثم الذي
لا يدع ذلك الصياح في الاسحار ومع الصبح ابدا الضوع والصدا والهام والبومة
وهذا الشكل من الطير وقد كتبنا في غير هذا الموضع الاشعار في ذلك قال وقد
يصيح مع الصبح البوم والصدا والهام والضوع والخطاطيف والعصافير والحمير
وفي ذلك اكثر من الديكة قال الوليد بن يزيد في ذلك سليمى تيمت قلبي
فيّ ان شئت او سيري فلما ان دنا الصبح باصوات العصافير وقال كلثوم
بن عمرو العتابي بالليلة لي كوارث ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير
والعصافير والخطاطيف والحمير والحمام والضفدع واصناف البوم كلها تقوم مقام
الديك وقال ثعلبة بن صعير المازني اعمير ما يدريك ان رب فتية
بيض الوجوه ذوي ندى ومآثر حسنوا الفكاهة لا تذم لحامهم
سبط الاكف لدى الحروب مساعر باكرتهم بسباء جون مترع قبل الصباح وقبل
لغو الطائر قال ويقال لصوت الديكة الدعاء والزقاء والهتاف والصراخ
والصقاء وهو يهتف ويصقع ويزقو ويصرخ وقال جران العود
تمثل بك الدنيا وتغلبك التي كما مال خوار النقا المتقصف ونلقى كأنا مغنم قد حويته
وترغب عن جزل العطاء وتسرف فموعدك الشط الذي بين اهلها واهلك حتى تسمع الديك يهتف
وقال الممزق العبدي وقد تخذت رجلاي في جنب غرزها نسيفا كافحوص القطاة المطرق
اثخن كوبصرح الديك عندنا وباتت بقاع كادي النبت سملق وقال لبيد
لدن ان دعا ديك الصباح بسحرة الى قدر ورد الخامس المتاوب ويقال للطائر الذي يخرج
من وكره بالليل البومة والصدا والهامة والضوع والوطواط والخفاش وغراب الليل
بعيد بعضها الفار وسام ابرص والعظاء وصغار الحشرات وبعضها يصيد البعوض

والفواش

والفواش وما اشبه ذلك والبوم يدخل على كل طائر في بيته ويخرجه منه ويأكل فراخه
وبيضه وهذه الاسماء مشتركة قال حزيمة بن اسلم فلا تزقون لك هامة فوق مرقب
فان زقاء الهام اخيب خائب وقال عبد الله بن حازم او غيره فان تك هامة بهراة
تزقو فقد ازقيت بالمروين هاما وقال توبة بن الحمير ولو ان ليلى
الاخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح لسلمت تسليم البشاشة او زقى
اليها صدى من جانب القبر صائح وقال الراجز ومنهل طامٍ عليه
يعوي به الذئب وتزقو هامه واشد في الصدى تحسبه من جراك والبوم والصدى
لذاك انني كنت اسرت من اجلي وقال سويد بن ابي كاهل في الضوع وقال في قراءة
ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة وفي قوله ونفخ في الزقية يريد الصور وصوت
الدجاجة العوقاة تقول هي تعوق وقال اعرابي اليس ترى عيني جيرة زوجها
ومجيها قامت عليه النوائح تنحبها الاكثر الله خيره رهيجاء قد شابت عليها المسائح
لها انف خنزير وساقا دجاجة وروبها تزحح من العيش مارح وقال العجير
لا نوم الا غرار العيش ساهره حتى اصيب بغيظ اهل مطلوب ان تهجروني فقد بدلت ايكم
زرق الدجاج بحفان البعاثيت وقال ابو الاسود الدولي الم تعلما يا بني دجاجة انني
اغثى اذا ما النضح لم يتقبل وقال صاحب المنطق ويشتري في الدجاج وتذكر
كل من هجاها وهجي من اتخذها واشبهها في وجه من الوجوه قال الراجز
اقبلن من نير ومن سواج بالقوم قد ملوا من الادلاج فهم رجاج وعلى رجاج
يمشون اولاجا الى افواج مشي الفراريج الى الدجاج وقال عبد الله بن الحجاج
فان يعرض ابو العباس عني ويركب بي عروضا عن عروض ويجعل وده يوما لغيري
ويبغضني باني من بغيض فاني والله بالوكل فرخ ويجبر كسر ذي العظم المهيض
فذالكم من اذا ما جئت يوما تلقاني بجامعة ربوض لدى جنب الخوان وذاك فحش
ويستخرجه الشيخ المريض كاني اذ دخلت على اجيج دخلت على معوقة بيوض
اوره عنبض لغت كشاف لغنتها اذا تركت نقبض ومالنا مراه في زوجها

وهي ترقص ابدا لهامته • وهيبة من سلفع افوك • ومن هبل قد عسا حنيك
اشهب ذي راس كراس الديك • يريد بقوله اشهب انه شيخ وان شعر جسده ابيض وان الحِبر
حمراء وقد قال الشاعر وهو الاعشى • وبنو المنذر الاشاهب بالحيرة يمشون غدوة كالسيوف
وانما اراد الاعشى ان يعظم شانهم وينجم امرهم بان يعلمهم شيوخا واما قوله ذي راس كراس الديك
فانما يعني به تحقق الراس واللحية وقال الآخر • حلت حويلة في حي مجاورة
اهل المداين فيها الديك والفيل • يقارعون رؤوس العجم ضاحية • منهم فوارس لا عزل ولا ميل
وقال ابن احمر • في راس خلقاء من عنقاء مشرفة • لا يبتغي دونها سهل ولا جبل
الا المنابك منا عزان لنا • شوقا وذلك ما كلفت جلل • مبيتها حتى غدو من بكر منزلهم
حسبي بنجاة صاح الديك فاحتملوا • وقال • العيد حلول بالركا وجامل
غدا سارحا من حولنا وتنشرا • تبدلت اصطبلا وتلا وحرة • وديكا اذا ما انس الفجر قرقرا
وبستان ذي ثورين لا لين عنزه • اذا ما صفانا طوره وتغشمرا • وقال اوس بن حجر
كان هرا جنيبا عند غرضها • والتف ديك برجليها وخنزير • وقال الحكم بن عبدل
مرنته على بغل تراثك شمعة • كانك ديك مائل الراس اعور • تجربت اثوابا لزينة تنظر
وانت الى وجه بزينك افقر • وقال النمر بن تولب • اعدلي ربي من حصر وعي
ومن نفس اعالجها علاجا • ومن حاجات نفسي فاعصمني • فان لمضمرات النفس حاجا
وانت وليها وبريت منها • اليك فما قضيت فلا خلاجا • وانت وهبتها كرما جلادا
ارجى النسل منها والنتاجا • ويامر لي ربيعة كل يوم • لاشربها واقتني الدجاجا
وما تغني الدجاج الضيف عني • وليس بنافعي الا نضاجا • اهلكها وقد لاقيت فيها
مراس الطعن والحرب الشجاجا • وتذهب بالطلا غدوا صهبي • على الاعداء تختلج اختلاجا
جموم الشد شائلة الذنابا • تخال بياض غرتها سراجا • ونشري في الكريهة كل يوم
اذا الاحراش خالطت العجاجا • وقال عبد الرحمن بن حكم • وللانصار اكل في قراها
لخبث الاطعمة من الدجاج • وقال الآخر لصاحبه • اذ بتنا بديكك السلاح
فنجنا من منتن الارواح • ويقال هو اسلح من حبارى ساعة الخوف وبزد جاجه

ساعة الامن وقال عقيل بن علفة • وهل اشهدن خيلا كان غبارها
باسفل علكد دوافن تنضب • بنيت على رهض كان عيونهم • فقاح الدجاج في الودي المعصب
وقال صاحب الديك حدث الاصمعي قال اخبرني العلاء بن اسلم قال اردت الخروج الى
مكة فاتيت هشام بن عقبة وهو اخو ذي الرمة فقال لي يا ابن اخي انك تريد سفرا يحضر
الشيطان فيه حضورا لا يحضر في غيره فاتق الله وصل الصلوات لوقتها فانك مصليها لا محالة فصلها
وهي تنفعك واعلم ان لكل رفقة كلبا ينبح عليهم فان كان شر كان فيه وان كان عار تركوه
وتقلده دونهم فلا تكن كلب الرفقة وقد رووا شبيها بذلك عن تبيع بن كعب وقال زيد
الخيل • يا نصر نصر بني قعين انما • انتم اماء يتبعن الاستراء • يتبعن فضلا ابن كلب ينفط •
عض الكلاب بعجبه فاستنفرا • قال فلما قدم زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن ... فتى
ان لم تدركه ام كلبة يعني الحمى وقال جرير • اذا انت لاقيت البعيث وجدته
اشح على الزاد الخبث من الكلب **وقال صاحب الكلب** وقد قال عمرو بن معدي كرب
وقد كنت اذا الحي يوما كرهوا صلحي • الف الخيل بالخيل • واكوي النبح بالنبح
قال ومن الاستعارات في اسم الكلب قول الرجل منهم اذا وطن نفسه على شي قد ضرب جروه
وضربت عليه جروي وقال ابو النجم • حتى اذا ما ابيض جرو التتفل • وبدلت والدهر
ذو تبدل وقال • من الحنظل العامي جرو معلق • وقال عتبة الاعور •
ذهب الذين احبهم • وبقيت فيمن لا احبه • اذ لا يزال كريم قوم • فيهم كلب يسبه •
وقال صاحب الديك فخرتم علينا بصيد الكلب ومتى رايتم الديك اذ كان ليس
ممن يصيد ولا يصطاد وقد وجدنا العرب يستنذلون الصيد ويحقرون الصياد
ومن ذلك قول عمرو بن معدي كرب • ابني زياد انتم في قومكم • ذنب ونحن فروع اصل طيب
نصل الخميس الى الخميس وانتم • بالقهر بين مرتق ومكلب • لا تحسبن بنو كحيلة حربنا
سوق الحمير بجانب فالكوكب • حيد عن المهرق سعي ابيهم • طلب الوعول بوفضة وبا كلب
حتى تكهن بعد شيب شامل • ترجاله من كاهن متكذب • واما قول زهير •
وان تقتلوا فتشتفي بدمائهم • وكانوا قديما من مناياهم القتل • فهذا البيت نفسه يسير بدل

على قولهم ان من كان به جنون او كلب ثم حسي من دم ملك او سيد كريم افاق وبرا
وقد ضرب الصاحب الكلب امثالا في شرح طلبه الماء حتى في سلة خارج منه اذا عاينه
وقالوا او قلتم فالماء المطلوب اذا عاينه من عزان نمسه وهو الطالب له ولم يحص
عليه الامن حاجته اليه فكيف جعلوا اذا راه هاج قالوا قد يعتري الناظر الى الماء والذي
يديم التحديق اليه وهو يمشي على قنطرة او جرف او جسر الدوار فانه ربما رمى بنفسه
من تلقاء نفسه الى الماء فان كان لا يحسن السباحة وذلك انما يكون على قدر ما يصادف
ذلك من المزاج ومن الطباع ومما فعل ذلك بنفسه ابو الجهجاه محمد بن مسعود وكاد يموت حتى
استخرج بالكلفة الشديدة ومنهم منصور بن اسمعيل التمار وجماعة قد عرفتها لهم وهذا
كما يعتري الذي يصيب الانس من الجان المختنق في البير اذا ما رعبها وانه ربما استغنى
واستخرج وقد تغير عقله واصبح اركانا يرون ان دواءه ان يلقوا عليه دثار العقلا
وان يزمل تزميلا وان كان في نحو من اواب ثم يحرس ان كان قريبا من راس البير فانه ان لم
يحل بينه وبينها طرح نفسه في تلك البير وانا اراها سعباتي اول ما يقع عينه ولم جمع
اليه كبير من عقله حتى يلقي بنفسه فيها من ذات نفسه في الموضع الذي قد لقي منه ما لقي
وقد كان عنده معلوم ان القوم لو تركوه طرفة عين لهلك هكذا كان عنده ايام صحة
عقله فلما فسد اراه الفساد ان الراي في العود الى ذلك الموضع وكما يعتري المحموم
حين يرجم الناس فان حرة يعتقد له ان الذي يرجم قد كان يريد رحمه فيرى ان الصواب
ان يبداه بالرجم وعلى مثل ذلك يرتب امره ان طرح نفسه في النار اهون واحزم وليس
في الارض انسان يذبح نفسه او يختنق او يتردى في بير او يرمي بنفسه من حالق الا من خوف
المثلة او التعذيب او التعيير حتى يبيع الشامتين اولان به وجعا شديدا فتتحرك عليه
المرة فيحمى بدنه ويسخن جوفه فيطير من ذلك شيء الى دماغه او قلبه فيتوهم مع ذلك
ان الصواب في قتل نفسه وان ذلك هو الراحة وان يحم مع الراحة ولا يختار الخنق الا ودع
الرابح الراحة السليم العقل والطباع والغبط ربما رمى بصاحبه في بعض المهالك وقد
يرمي من بعض المهاوي وقد يعتري الذي يصعد على مثل سنبرا او عمودا وجبلا

او

او خضراء موج فانه يعتريه ان يرمي بنفسه من تلقاء نفسه فيرون عند ذلك ان الصعد الثه
بعض المعاودين المجربين ولا يحتج سباحتي يشد عنه ويحتال لانزاله فهذا المعنى عام فيمن كانت
طبيعته تثور عند مثل هذه العلة وما اكثر من لا يعتريه ذلك وقد قال الناس في عذر
هاولاء وانشالهم منهم ضروبا من الاقاويل وانما تكلمنا على المغلوب المعنى فاما من كانت هذه
العوارض لا تفسد عقله ولا تنقض استطاعته فليس بنا اختلاف في انه ملوم على ان الزامه اللايمه
لا يكون الا بعد خصومة طويلة لا يصلح ذكرها في هذا المكان **قال صاحب الكلب**
الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ومن بغاثها وليس من احرارها ومن ذوات البراثن
الضعيفة والاظفار الكليلة وليس من ذوات المخالب المعقفة والاظفار الجارحة ومن ذوات
المناقير وليس من ذوات المناسر وهو مع ذلك قوي البدن لا يتعاطى الصيد وربما راوغ العصفور
ولا يصيد الجرادة الا ان يلقاها في سد من جراد وقبل ان اصاب جيفة نال منها والا مات هزلا
او يتقمم كما تتقمم بهايم الطير وضعافها وليس ببهيمة لمكان اكله الجيف وليس بسبع لعجزه عن الصيد
وهو مع ذلك اما ان يكون حالك السواد شديد الاحتراق ويكون مثله من الناس الزنج فانهم
شرار الناس واردا الخلق تركيبا ومزاجا كمن بردت بلاده فلم تطبخه الارحام او سخنت
بلاده فاحرقته الارحام وانما صارت عقول اهل بابل واقليمها فوق العقول وجمالهم فوق
الجمال لعلة الاعتدال والغراب اما ان يكون شديد الاحتراق فلا يكون له معرفة ولا جمال واما
ان يكون ابقع فيكون اختلاف تركيبه وتضاد اعضائه دليلا على فساد امره والابقع اكثر من
الاسود واضعف ومن الغربان غراب الليل وهو الذي ترك اخلاق الغربان وتشبه باخلاق
البوم ومنها غراب البين وغراب البين نوعان فاحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللوم والآخر
انما لزمه هذا الاسم لان الغراب اذا بان اهل الدار للنجعة وقع في مواضع بيوتهم يتلمس ويتقمم فتشاءموا
به وتطيروا منه اذ كان لا يعتري منازلهم الا اذا بانوا عنها فسموه غراب البين ثم كرهوا اطلاق
ذلك الاسم له مخافة الزجر والطيرة وعلموا انه نافذ البصر حاد العين حتى قالوا اصفى نظرا من عين غراب
كما قالوا اصفى من عين الديك فسموه الاعور كما كنوا عن طيرة الاعمى ابا البصير وبها اكتنى
الاعشى بعد ان عمي ولذلك سموا الملدوغ والمنهوش سليما وقالوا للمهالك من الفيافي المفازة وهذا

كثير والغداف جنس من الغربان وهي لئام جدا ومن اجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه
الغربة والاغتراب والغريب وليس في الارض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا اعضب
ولا شيء مما يتشاءمون به الا والغراب عندهم انكد منه يرون ان صياحه اكثر اخبارا وان الزجر فيه
اعم وقال عنترة • حرق الجناح كان لحيي راسه • جلمان بالاخبار هش مولع •
وهو عندهم عار وهم يتعايرون باكل لحمه ولو كان ذلك منهم لانه ياكل اللحوم ولانه سبع
لكانت الصقور والجوارح احق بذلك عندهم وقد قال وعلة الجرمي • فما بالعار ما عيرتمونا
شواء الناهضات مع الخبيص • فما لحم الغراب لنا بزاد • ولا سرطان انهار البريص •
قال والغربان جنس من الاجناس التي امر بقتلها في الحل والحرم وسميت بالفسق وهي فواسق
اشتق لها من اسم ابليس وقالوا راى فلان فيما يرى النائم انه سقط على اعظم صومعة بالمدينة
غراب وقال سعيد بن المسيب او غيره يتزوج افسق الفاسقين امراة من اهل المدينة فلم يلبثوا
الا اياما حتى كان ذلك وقالوا في المثل لا ارجع فلان حتى يرجع غراب نوح واهل البصرة يقولون
حتى يرجع نشيط من مرو واهل الكوفة يقولون حتى يرجع مسعود من سجستان ممن مثل في كل
موضع من المكروه وزعم الاصمعي عن خلف الاحمر انه قال رايت فرخ غراب فلم ار صورة قط اقبح
ولا اسمج ولا ابغض ولا انتن منه وزعم ان فراخ الغربان انتن من سائر البهائم على ان الدهر
شريك النتن قد ذكر عظم راس وصغر بدن وطول منقار وقصر جناح وامرط اسود وساقط النفس
منتن الريح وصاحب المنطق يزعم ان رؤية فرخ الغراب ارهب وشيء عسير وليس شيء احسن
ان افقص منها والغربان عندنا بالبصرة قواطع وهي تفرخ عندنا في رؤوس النخل الشامخة والاشجار
العالية والغراب عند العرب مع هذا كله قد خدع الديك ولعب به ورهنه عند الخمار وتخلص هو من
الغرم واغلقه في يد الخمار فصار له الغنم وعلى الديك الغرم ثم تركه تركا ضرب به المثل فان كان
معنى الخبر على ظاهر لفظه فالديك هو المغبون والمخدوع والمسخور منه ثم كان المتلعب به
انذل الطير والامه وان كان هذا القول منهم يجري مجرى الامثال المعروفة فلولا ان محل الديك
من قلوبهم دون محل الغراب مع لوم الغراب ونذالته وموقه وقلة معرفته لما وصفوه
في هذا الموضع فان اردتم معرفة ذلك فانظروا في اشعارهم المعروفة واخبارهم الصحيحة ثم

ابدؤا

ابدؤا بقول امية بن ابي الصلت فقد كان داهية من دواهي ثقيف وثقيف دهاة العرب
ولقد بلغ من اقتداره في نفسه انه كان قد هم بادعاء النبوة وهو يعلم كيف الخصال التي يكون
الرجل بها نبيا او متنبيا اذا اجتمعت له وانها لا تجتمع له حتى ترسخ في ذلك بطلب الروايات
ودرس الكتب وقد كان عند العرب علامة للعلم علامة ومعروفا بالجولان في البلاد رواية
وفي كثير من الروايات مع احاديث العرب ان الديك كان نديما للغراب وانهما شربا الخمر عند خمار
ولم يعطياه شيئا وذهب الغراب لياتي بالثمن حين شرب فرهن الديك وخاس به فبقي محبوسا
وان نوحا صلى الله عليه حين بقي في اللجة اياما بعث الغراب فوقع على جيفة ولم يرجع ثم بعث
الحمامة لتنظر هل ترى في الارض موضعا يكون للسفينة مرفا واستجعلت على نوح الطوق الذي
في عنقها فرشاها بذلك الى جعل ذلك جعلا لها وفي جميع ذلك يقول امية بن الصلت •
بآية قام ينطق كل شيء • وخان امانة الديك الغراب • يقول حين تركه في ايديهم وذهب
والعامة تضرب به المثل وتقول فاهو الا غراب نوح ثم قال • وارسلت الحمامة بعد سبع •
تدل على المهالك لا تهاب • تلمس هل ترى في الارض عينا • وعاينة بها الماء العباب •
فجاءت بعدما ركضت بقطف • عليها الثاط والطين اللباب • فلما فرسوا الايات صاغوا •
لها طوقا كما عقد السخاب • اذا ماتت تورثه بنيها • وان تقتل فليس له استلاب •
كذي الافعى تربيها لديه • وذي الجني ارسله يساب • فلا رب المنية ياء منها •
ولا الجني اصبح يستتاب • الجني ابليس لذنوبه وبالافعى هي الحية التي كلم ابليس ادم من جوفها
ومن لا علم له يروي ايضا ان ابليس قد دخل جوف الحمار مرة وذلك ان نوحا عليه السلام لما
ادخل اهل السفينة تمنع الحمار بعسره ونكده وكان ابليس قد اخذ بذنبه وقال اخرون بل كان
في جوفه فلما قال نوح للحمار ادخل يا ملعون فدخل الحمار دخل ابليس معه اذ كان في جوفه
فلما راه نوح في السفينة قال يا ملعون من ادخلك السفينة قال انت امرتني قال ومتى امرتك
قال حين قلت ادخل يا ملعون ولم يكن ثم ملعون غيري وقال امية ابن ابي الصلت •
بوادي الجن ما بالناس • اما نبيل بافنان سعورا • فلق النخل معصرات تراها
تعقف البابئين والبخصورا • والتماسيح والثياتل والاتيل • شتى والريم والعصفورا

وصوراً من النواشط عينا • ونعاما حواضنا وحميرا • واسودا عواديا وفيولا •
وذبابا والوحش والخنزيرا • ودبوكا تدعو الغراب لصلح • واوزين احرفت وصقورا •
ثم ذكر الحمامة فقال ٥ • سمع الله لابن آدم نوح • ربنا ذو الجلال والافضال •
حين اوفى بذي الحمامة والناس جميعا في فلكه كالعيال • هابا جوفه عليه رسولا •
من خفاف الحمام كالتمثال • فرشاها على الرسالة طوقا • وخضابا علامة غير بال •
فاتته بالصدق لما رشاها • وبقطف لما بدا عثكال • ووصف في هذه القصيدة امر الحمامة
والغراب صفة ثانية وغير ذلك وبدا بذكر السفينة فقال ٥ ترفع في جرى كأن الخطيط •
هريف هجال تستعيد الدواليا • على ظهر جون لم يعد لراكب • سواه وغيم الليل عاد احيا •
فارت بهم ايامها ثم سبعة • وست ليال دائبات غواطيا • تشق بهم تهوي باحسن امرة •
كان عليها هاديا ونواتيا • وكان لها الجودي نهيا وغاية • واصبح عنه موجه متراخيا •
ثم قال ٥ • وما كان اصحاب الحمام خفية • غداة غدت منهم تضم الخوافيا •
رسولا لهم والله يحكم امره • يبين لهم هل يونس الترب باديا • فجاءت بقطف آية مستبينة •
فاصبح منها موضع الطين جاديا • على خطمها واستوهبت ثم طوقها • وقالت الا لا تجعل الطوق حاليا •
ولا ذهبا اني اخاف نبالهم • يخالونه مالي وليس بماليا • وزدني على طوقي من الحلي زينة •
تصيب اذا اتبعت طوقي خضابيا • وزدني لطرف العين منك بنعمة • وورث اذا ما مت طوقي حماميا •
يكون لاولادي جمالا وزينة • وعنوان زيني زينة من ترابيا • ثم عاد ايضا في ذكر الديك فقال •
ولا عز الا الديك مدمن خمرة • نديم غراب لا تمل الحوانيا • ومرهنه عند الغراب حبيبه •
فاوفيتم هونا وحان مآبيا • ادل على الديك اني كما ترى • فاقبل على شاني وهاك ردائيا •
امنك لا تلبث خالد الدهر ساعة • ولا نصفها حتى تؤوب مآبيا • ولا تدركنك الشمس عند طلوعها •
فاغلق فيهم ان تطول ثوائيا • فرد الغراب والرداء يحوزه • الى الديك وعدا كاذبا وامانيا •
فاني نذرت حجة لن اعوقها • فلا تدعوني دعوة من ورائيا • بآية ذنب او بآية محنة •
ادعك فلا تدعو علي ولا ليا • تطيرت منها والدعاء يعوقني • وازمعت حجا ان اطير اماميا •
فلا يأس اني مع الصبح باكرا • واني هلال كالحجيج الغواديا • لحب امرئ فاكهته قبل حجتي •

واثرت

واثرت عمن شانه قبل شانيا • هنالك ظن الديك ان زال زوله • وطال عليه الليل ان لا مغاديا
فلما اضاء الصبح طرب صرخة • الا يا غراب هل سمعت ندائيا • على وده لو كان ثم مجيبه
وكان له ندمان صدق مواتيا • فامسى الغراب يضرب الارض كلها • عتيقا واضحى الديك في القد عانيا
فذلك مما اسهب الخمر لبه • ونادم ندمانا من الطير غاويا • تمت ومن الطير ما يلقم فراخه
مثل العصفور لان العصفور يزق وكذلك اشباه العصفور ومن الطير ما يزق فراخه مثل
الحمام وما اشبه ذلك كبهائم الطير الخالصة لان الدجاج تاكل اللحم وتبلغ في الدم وولدها حين
يخرج من البيض يخرج كاسيا مليحا كيسا بصيرا بما يعيشه ويقوته ولا يحتاج الى تلقيم سباع الطير
والعصافير لا اولاد لها لان اولادها اذا لم تزق وتلقم لم تكن كالفراريج اول ما تخرج من
البيض ولم يرزقها الاباء ولا الامهات كافراخ الحمام فلا بد لها من تلقيم والفروج مشترك
الطبيعة قد اخذ من طبائع الجوارح نصيبا وهو اكله اللحم وحسوه للدم واكله الديدان لو
هو اقدر من الديدان والعصفور ايضا مشترك الطباع لانه يجمع بين اكل الحبوب واللحمان
وبين لقط الحبوب وصيد اجناس كثيرة من الحيوان كالنمل ذا طار وكالجراد وغير ذلك وليس في
الارض رأس اشبه من رأس العصفور براس حية والعصفور يعلو ويطير ويتدلى [illegible] ويجب
ولقد بلغني انه ربما عرض من قريب من فراخ وهي تكون عندنا بالبصرة في الدور فاذا اكثب
الثمار لم تجد منها الا اليسير فتعبر من القواطع الى اقاصي النخل وذلك انها اذا مرت ببعض
القرى وقد سبقه الى ما هو لها اقرب جاوزتها الى ما هو لها ابعد ثم تعزب الايام الكثيرة
وذلك العصافير في المسافة اكثر مما ذكرت من الفراخ اضعافا والعصافير لا تقيم في دور
الامصار اذا شخص اهلها عنها الا ما كان منها مقيما على بيض او فراخ فانه ليس في الارض
طائر احنى على ولده ولا اشد تعطفا من عصفور والذي يدل على ان في طبعها من ذلك ما ليس
في طبع سواها من الطير الذي يجد من استغاثة بعضهن ببعض اذا دخلت حية الى جحر بعضهن
لتاكل فرخا او تبتلع بيضا فان لابوي الفرخ عند ذلك صياحا وقلقا وطيرانا وترفيفا
فوق الجحر ودونه وحواليه فلا يبقى عصفور من حيث يسمع صياحهما او يسمع اصواتهما الا
جاءت اليها الا انصرفت تصيح معهما كالمعان وليس في الارض طير اصدق [illegible]

ليقال انه اكثر في ذلك من العقعق والغراب وحدثني بعض من يصيد العصافير قال ربما كان العصفور ساقطا على
حائط سطح بحذائي فيغمني صياده وحدة صوته فاصيح اليه واومي بيدي واشير كاني ارميه فما يطير حتى ربما
اهويت الى الارض اتناول شيئا كل ذلك لا يتحرك له فاذا استلبت بادنى حصاة او نواة وانا اريد رميها طار من قبل
ان يتمكن منها يدي وليس في الطير اكثر عددا سفادا من العصافير ولذلك يقال انه اقصر الطير اعمارا ويقال
انه ليس شيء مما يالف الناس ويعاشرهم في دورهم اقصر عمرا منها يعنون من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر
والغنم والكلاب والسنانير والخطاطيف والزرازير والحمام والدجاج ولا يقدر العصفور على المشي وليس عنده الا
النقزان ولذلك يسمى النقاز وانما يجمع رجليه ثم يثب وذلك في جميع حركاته وفي جميع ذهابه
ومجيئه مثل الصعو والعصافير والنقاقيز وان هو مشى مشيته التي هي نقزان على سطح وانا تحت
سمكه فانك تسمع لوطئه وقع حجر لشدة وطئه ولعلا به وشبه وهو ضد الفيل لان انسانا لو كان
هابا ومن خلف ظهره فيل لما شعر به لخفة وقع قوائمه مع سعة وحشي وتمكن في الخطا والجسم والنسور
سباع وانما قصرها عدم السلاح فاما البدن والقوة ففوق جميع الجوارح ولكنها في معنى
الدجاج لمكان البراثن ولعدم المخالب ولقد رايت سنورا وثب على فرخ عصفور فاخطاه
فتناول الفرخ بعض الغلمان فوضعه في البيت فكان ابوه يجي حتى يطعمه فلما قوي وكاد يطير جعله في
قفص فرايت اباه يجيء فيتخرق السنانير وهي تهم به حتى يدخل عليه من اعلى فتح الباب وهي تهم
بالوثوب والاختطاف له حتى سقط على القفص فيناغيه ساعة فاذا لم يجد الى الوصول اليه سبيلا
طار فسقط خارجا من البيت ثم لا يبرح حتى يعود فكان ذلك دابه فلما قوي فرخه ارسلوه معه
فطارا جميعا وعرفنا انه الاب دون الام بسواد اللحية قال والدليل على ان صوت الديك كريه
في السماع غير مطرب قول الشاعر • ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا • واملّه ديك الصباح صياحا •
اوفى على شعف الجدار بسدفة • غردا يصفق بالجناح جناحا • قال ويدل على صغر قدر الدجاج
عندهم قول بشار بن برد الاعمى • بجدك يا ابن قزعة نلت مالا • الا ان اللئام لهم جدود •
ومن جهل الزيادة في الهدايا • اهديت دجاجة حين تزيد • قال واذا كثر الدجاج في دار او
اصطبل او قرية لم يكن عدد بيضها وفراريجها على حساب كان بيض القليل منهن وبعض جنسه
تعرف ذلك تجار الدجاج ومن اتخذها للغلة وهي بمنزلة ما ترعى الغنم والنعاج وقيم والمو

الى

الى الدجاج سريع جدا والعادة في صغار فراريجها خلاف ما عليه نشو فرخ الحمام لان الفروج
يخرج من البيضة وهو كيس ظريف مليح مقبول محبب يكتفي بنفسه مكتف بمعرفته يصير موضع معيشته
من لقط الحب ومن صيد الذبان وصغار الطير من الهوام ويخرج حين يخرج كاسيا حتى كانه من اولاد
ذوات الاربع ويخرج سريع الحركة حديد الصوت حسنه يدعى بالنقر فيجيب ولا يقال له قر قر ثلث مرات
حتى يلحقه فاذا استدبر مستدبر ودعاه عطف عليه ويتبع الذي يطعمه ويلاعبه وان تباعد مكانه
الاول فهو الف شيء ثم كلما مرت عليه الايام ماق وحمق ونقص كيسه واقبل قبحه وادبر مليحه فلا يزال كذلك
حتى ينسلخ من جميع ما كان يحب له الى ضد ذلك ويصير في حاله الى حال لم يبلغ بهم الانتفاع بذلك وبيضه
وفراريجه وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه وهو لا يقبل الشحم حتى يكاد يلحق بابيه وكذلك كانت انثى
لا تقبل السمن ولا تحمل اللحم حتى تكاد تلحق بامها في الجثة والفرخ يخرج حارضا حالكا ساقطا النفس
من ان يقال له ما ابق واقبح شيء وهو في ذلك عاري الجلد مختلف الاوصال متفاوت الاعضاء
ضعيف القوى عظيم المنقار فكلما مرت به الايام زادت في لحمه وشحمه وفي معرفته وبدنه حتى اذا بلغ
خرج منه من الامور المحمودة ما عسى ان يكون واصفا تبع ذلك لما انشاه الاجداد الكبيرة ثم اذا
جاز حد الفرخ الى حد النواهض ثم الى حد العشق والمخالف قل لحمه وذهب شحمه ثم على حسب
ذلك ينقص حتى اذا تم واستوى لم يكن في الارض دابة ولا طائر اقل شحما ولا اخبث لحما ولا اجدر الا
يقبل شيئا من السمن منه ولو تحيروا له فوارة المسمنات وما يسمن به ما يسمن وسالت عمن حبسه
الذي صار الدجاج اذا كثرن قل بيضهن وفراريجهن وزعموا انها من طباع النخل فان النخل اذا زاحمت
افراخها وجاورتها بل اذا مس طرف سعفها طرف سعف اخرها وجاورتها طبقة عليها في الهواء
وكذلك اطراف العروق في الارض كان ذلك كربا عليها وغما فالو اقتدانها وتقاطعها
وانفاسها وانفاس ابدانها يحدث لها فسادا قالوا وكان الحمام اذا كثر في الكنة وكثر بيضه
احتاجت الى شمس والى ماء تغتسل فيه في بعض الاحايين والى ان يكون سوقها مكنوسة في
بعض الاوقات ومرشوشة والا لم يكن لها كثير بيض وعلى انه اذا كان لها في الصيف الدفء
في الشتاء والكن في الصيف لم تغادر الشهر كله ان تبيض **قال صاحب الديك** فخرتم للكلب
بكثرة ما اشتق للاشياء من اسم الكلب وقد اشتق لاكثر من ذلك العدد من البيض فقالوا الفلانس

الحديد بيض وقالوا فلان يدفع عن بيضة الاسلام وقالوا قال علي بن ابي طالب في موضع المدح انا
بيضة البلد وفي موضع الذم قولهم تابى قضاعة ان تدرى لكم نسبا وابنا نزار فانتم بيضة البلد
ويسمى راس الصومعة والقبة بيضة ويقال للمجلس اذا كان معمورا عن مطول بيض جامعه
ويقال للوعاء الذي يكون فيه الخبز والخراج الذي يجمع فيه العيش بيضه وقال الاشتر
بن عماره • يكف عزوبها ويغض منها • وراء القوم حسبه ان يلاموا • مظاهر بيضتين
على دلاص • بهرمي وقته احرى كلام • وقال النابغه • فصبحهم ململمة رداحا
كان رؤسهم بيض النعام • وقال الحجيف العقيلي • اذا البيض الحماء عدت صبحة
بحار بابها صاحياحا وحلت • ولما انشدوا ابا عباده البحتري قول ابن عباده وهو ارماح
ولقد غدوت على الفتى في رحله • قبل الصباح بمنزع نشاج • هاد القلال لم يدر حبابه
حمراء مثل نحيبه الاوداج • حبست ثلثة احرس داره • فوراء بين جواز لود حاج
تدع الغوى كانه في نفره • ملك يعصب راسه بالتاج • ويظل يحسب كل شي حوله
نجب العراق نزلن بالاحداج • فحين سمعه ابو عباده يقول حبست ثلثة احرس البيت قال
لو وصفت خمرا بتية ذهبية اصفى من عين الديك وعين الغراب ومن لعاب الجندب
وماء المفاصل واحسن حمرة من الناروس يجمع عوال ومن خوة الصباغ لما شربتها
حتى اعلم انها من عصير الارجل وانها من نبات القرى وانها ما لم يكن في الرواقيد وما لم يكدر
في الزقاق وان العنكبوت قد نسج عليها وانها لم تحركها الا وسط دسكره وفي قريه سوادية
وحولها دجاج وفراريج وان لم يكن رهطا وفيها رقط فانها لم تتم كما اريد واعجب من هذا
اني لا انتفع بشربها حتى يكون بايعها علي غير الاسلام ويكون شيخا لا يفصح بالعربية ويكون
قميصه منقطا بالقار واعجب من هذا ان الذي لا بد منه ان يكون اسمه ان كان مجوسيا
شهريار ومازيار وما اشبه ذلك مثل اذين وارذان وباذان وان كان يهوديا فاسمه ماشا
واشلوما واشباه ذلك وان كان نصرانيا فاسمه يوحنا ويشوع وشمعون واشباه ذلك قال
ويقال حمس الشر واحمس اذا اشتد ويقال قد احمس الديكان احماسا اذا اقتتلا قتالا
شديدا ويقال وقع الطاير يقع وقوعا وكل واقع فمصدره الوقوع ومكانه موقعه

والجمع مواقع قال الراجز • كان متنيه من النقي • مواقع الطير على الصفي • يقال صفا وصفا
والنقي ما نقاه الرشا من الماء وما تنفيه مشافر الابل من الماء والمديد فشبه مكانه على
ظهر الساقي والمستقي بذرق الطاير على الصفا ويقال وقع الشي من يدي وقوعا
وسقط من يدي سقوطا ويقال وقع الربيع بالارض ولا يقال سقط وقال الراعي
وقع الربيع وقد تقارب خطوه • ورأى بعقوته ازل نسولا • قال وكان عندنا فروج
في الدار سنانير تعابث الحمام وفراخه وكان الفروج يهرب منها الى الحمام فجاء ونا بدراج
فترك الحمام وصار مع الدراج ثم اشترينا فروجا كسرا بالذبح فجعلناه في قفص فترك
الدراج ولزم قرب القفص فجئنا بدجاجة فترك الديك وصار مع الدجاجة قال فذكرت
قول الفزاري عند بني فزاره وكانت باذنه خربه • ان الوبار يسرع في جميع الطمش •
لا تقرب الغنم الظان ما حدث المعزى وتنفر من الكلب ولا تانس بالجنف فجعل كما ترى يانس
بتغير ولا تانس منزله وكذلك حدثنا الاصمعي قال قلت للمنتجع بن نبهان وكانت باذنه
خربة اكان تميم مسلما قال ان كان هو الذي سماه ابنه مرة تميما فما كان مسلما والا يكن
هو الذي سماه فلا ادري ولم يقل فالا يكن هو سماه فقد كان مسلما والواءم المشاكل
وقالوا تقول العرب لولا الوءام هلك الانام وقال بعضهم تاويل ذلك لولا ان بعض
الناس اذا راى صاحبه قد صنع خيرا تشبه به لهلك الناس وقال اخرون انما ذهب الى
انس بعض الناس ببعض كانه قال انما يعيش الناس على مقادير الانس الذي بينهم
ولو عمتهم الوحشة عمتهم الهلكة وقال حرم بن مالك في الوءام •
علام اوام البخلاء فيها • فاقعد لا ازور ولا ازار • وقال الاخطل •
نازعته في الدجى الراح الشمول وقد • صاح الدجاج وحانت وقعة الساري • وقال جرير
لما تذكرت بالديرين ارقني • صوت الدجاج وقرع بالنواقيس • قالوا وقد وجدنا الدجاج
والديكة وافعالها مذكورات في مواضع كثيرة قال ذو الرمة • كان اصوات من ايغالهن بنا
اواخر الميس اصوات الفراريج • وقال الهذلي • ومنا بتها بعد ابدا لهما •
ونبشهم اناجها الهابط • بصيح جنادبه ركدا • صياح المسامير في الواسط

فمن على كل مستوفز   سقوط الدجاج على الحائط   وقال مروان بن محمد   ضبع ما ورثه راشد
من كيله الاكرام وصفه   ومن كدس قد علا راسه   كالديك اذ يعلو على رقة   قال ويقال
في المثل للذي يعطي عطيه ثم لا يعود في مثلها كانت بيضة الديك فان كانت اخر معروف له
قيل كانت بيضة العقر قال ويقال دجاجة بيوض من دجاج بيض وبيض قال فاسحان من صنع
العين من نظره من الفعل من لغة سفلى مضر وضمه موضع العين من نظره من الفعل مع لغاء
من لغة اهل الحجاز ويقال عمد الجرح يعمد عمدا اذا عصر قبل ان ينضج فورم ولم تخرج بيضته
وذلك الوعا هو الغلاف الذي يجمع المدة يسمى بيضة واذا خرج ذلك بالعصر من موضع
الجبن فقد افاق صاحبه ويقال حضن الطاير فهو يحضن حضانا ويقال للهدهد الشافد
من الطير والتفاضل ويقال قمط الحمام الحمامة وسفدها ويقال في النخل يقعو اقعوا
وهو ارسال نفسه على الناقة في ضرابه فالفحل من الخف يضرب وهو القعو والضراب
ومن الظلف والحافر ينزو نزوا وكذلك السباع والظليم يقعو وكل الطير يقعو اقعوا
واما الخف والظلف فانه يقعو بعد التسنم وهو ضراب كله ما خلا التسنم واما
الظلف خاصة فهو قافط يقال قفط يقفط قفطا والقفط نزوة واحدة فقط
وليس في الحافر الا النزو قال ويوضع بيض الطاوس تحت الدجاجة واكثر ذلك
لان الذكر يعبث بالانثى اذا حضنت قال ولهذه العلة كثير من اناث الطير الوحش
يهربن ببيضهن من ذكورتها ثم لا تضعه بحيث يشعر به ذكورتهن قال ويوضع تحت
الدجاجة بيضتان من بيض الطاوس لا تقوى على تسخين اكثر من ذلك على انهم يتعهدون
الدجاجة بجميع حوايجها خوفا من ان يقوم عنه فيفسده الهواء قال وحضن ذكورة بعض
الطير يكون في اول سفادها اعظم وكلما كان من الطير اعظم سفادا كانت خصيته اعظم مثل
الديك والقبج والحجل وخصية العصفور اعظم من خصية ما ساويه في الجثة مرتين
قال وكلما كان من الدجاج اصغر جثة يكون اكثر بيضا وبعض الدجاج يكون يبيض
بيضا كثيرا وربما باض بيضتين في يوم واحد واذا عرض له ذلك كان من اسباب
موته وقال ابو نواس في صفة الديك   ما زال يوسعني والنوم يعجبني   من صوت ذي رعثات ساكن الدار

كان حاضنة في راسه تنفتت   من احمر الجيف قد حمت بانمار   وقال الطرماح
فيا صبح كمش غبر الليل سعدا   بيوم ومنه ذا القفاء الموشح   اذا صاح لم يخذل وحاوب صوته
حماش الشوى يصدحن من كل مصدح   قال والفروج اذا خرج من بيضه في حضن الحمام كان اكيس
له وبيض الطاوس اذا لم تحضنه الانثى التي باضته خرج الفرخ اقماء واصغر قال واذا
هرمت الدجاجة فليس لاواخر ما تبيض صفرة وقد عاينوا البيضة الواحدة تحين حين حتى
يخرج ذلك جماعة ممن يتعرف الامور واذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق من البيضة فرخ ولا فرخ لانه
ليس له طعم يغذوه ويربيه واذا كانت فيها محان وكان الباض واحدا ولا يكون ذلك
للمسنات فاذا خلق الله من الباض فروجين وهناك محان تري الفروجان وتم الخلق
لان الفرخ انما يخلق من البياض والصفرة غذاء الفرخ قال ويقال ذقط الطاير يذقط
ذقطا وسفد يسفد سفادا وهما واحد ويكون السفاد للكلب والشاة ويقال قمط الحمام
يقمط قمطا ويقال ذرق الطاير يذرق ذرقا ويقال ذلك للانسان فاذا اشتق له من
المدب نغفه ومن اسمه الذي هو اسمه قيل خرى ويعد الخرو والجرء ويقال للحافر راث يروث
وللمعز والشاة والظبي بعر يبعر ويقال للنعام صام وللطير عرّ واسم نجو النعام الصوم واسم
نجو الطير العرة وقال الطرماح   في شناظي اقن بينها   عرة الطير كصوم النعام
ويقال للصبي عقا ماخوذ من العقي ويقال لحمة الطاير ويقال لحم طايرك الحاما اي
اطعمه لحما واتخذه له ويقال هي لحمة النسب ويقال الحمت الثوب الحاما والحمت الطاير
الحاما وهي لحمة الثوب ولحمته بالفتح والضم ومن خصال الديك المحموده قولهم في الشراب
اصفى من عين الديك واذا وصفوا عين الحمام الفقيع بالحمرة او عين الجراد قالوا هذا
عين الديك واذا قالوا اصفى من عين الغراب فانما يريدون حدة النظر ونفاذ البصر
وفي عين الديك يقول الاعشى   وكاس كعين الديك باكرت حدها   بفتيان صدق والنواقيس تضرب
عنها لغاتها   وقال الحكمي   وكاس كعين الديك باكرت حدها   بفتيان صدق والنواقيس تضرب
وقال عدي بن زيد   قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافها الراووق   وقال احمد
ثلاثة احوال وشهر محرما   تضيء كعين العنتريس الحاوب   والعنتريس من اسماء

الديك وسماه بالمجاوب كما سماه بالمعترفان واذا وصفوا الماء والشراب بالصفاء قالوا كانه
الدمع وكانه ماء قطر وكانه ماء مفصل وكانه لعاب الجندب الا ان هذا الطاعن قال •
مطبقة ملانه بابليه • كان حبابها عيون الجنادب • وقال اخر • وما قرقف من اذرعات كانها
اذا سكنت منه بها ماء مفصل • والمفاصل مابين السهل والجبل وقال ابو ذويب •
مطافيل ابكار حديث نتاجها • تشاب بماء مثل ماء المفاصل • وقال ابن نجيم انما عنوا
مفاصل فقار الجمل فان لكل مفصل منها مستنقع فيه ماء لا تجد ماء ابدا اصفى ولا احسن منه والى
روق والاول قول اصحابنا وقال مره قطرب وهو محمد بن المستنير النحوي وانه لعلاه بحر من كلب
واسمع من كلب واثم من كلب فقيل له من ذلك فانشد قوله • يا ربه البيت قومي غير صاغره •
ضمي اليك رحال القوم والقربا • في ليلة من جمادى ذات اندية • ما يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
وانشد هذا البيت من نقوب بعره والشعر لمره بن محكان السعدي ثم انشد في شوف السمع •
خفي السرى لا يسمع الكلب وطاءه • اتى دون نبح الكلب والكلب دايب • قال ابو الحسن قال نصر
بن سيار الليثي كان عظماء الترك يقول للقايد العظيم القياده لا بد من ان يكون فيه عشر خصال
من اخلاق الحيوان سخاء الديك وتحنن الدجاجه وقلب الاسد وحمله الخنزير وروغان الثعلب
وختل الذيب و قد كتبنا هذا في باب مالالدجاج والديك لان صاحب هذا الكلام قسم هذه
الخصال فاعطى كل جنس منها خصلة واحده واعطى جنس الدجاج خصلتين عباد بن ابرهيم
عن عبد الرحمن بن زيد قال كان مكحول يسافر بالديك وعنه في هذا الاسناد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الديك صديقي وصديق صديقي وعدو عدو الله يحفظ داره واربع ادور
من حواليه والمسيب بن شريك عن الاعمش يحسبه عن ابرهيم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تدعوا الديك فان الشيطان يعرفه قال وليس جناح الا وفيه عشرون ريشه فاربع
قوادم واربع مناكب واربع كلا واربع خواف ويقال سبع قوادم وسبع خواف
وساير ذلك لغف قال وكل شي من ذوات الاربع فركبتاه في يديه وركبتا الانسان في رجليه
قال والانسان كفه في يده والطاير كفه في رجله قال وفي الفم ثنيتان ورباعيتان
وضاحكان واربع ارحا سوى نحو ضرس الحلم والنواجذ والعوارض سواء وشبهها

اسفل

اسفل قال صاحب الديك والدجاجه يتفاءل بذكرها قال ولذلك لما ولد لسعيد
بن العاص عنبسه بن سعيد قال سعيد لابنه يحيى اي شي تنحله قال دجاجه بغراريجها يريد احتقاره
بذلك اذ كان ابن امة ولم يكن ابن حره فقال سعيد او قيل له ان صدق الطير ليكونن
اكثرهم ولدا فهم اليوم اكثرهم ولدا وهم بالكوفه والمدينه وقال الاخر •
غدوت بشربه من ذات عرق • ابا الدهنا امن حلب العصير • واخرى بالعقنقل ثم رحنا
نرى العصفور اعظم من بعير • كان الديك ديك بني نمير • امير المومنين على السرير
كان دجاجهم في الدار رقطا • بنات الروم في قمص الحرير • فبت ارى الكواكب دانيات
ينلن اناملا ارحل القصير • اذا عطفن بالكفين عطفا • وامسح جانب القمر المنير
قال ويوصف بالدعاء وبالمنطق قال لبيد بن ربيعه • وصدحهم منطق الدجاج عن القصد
وضرب الناقوس فاجتنبا • وقال • لدن ان دعا ديك الصباح بسحره • الى قدر وس د
الخامس المتاوب • قال ابو الحسن حدثني اعرابي كان نزل بالبصره قال قدم على اعرابي
من البادية فانزلته وكان عندي دجاج كثير ولي امراه وابنان وابنتان منها
فقلت لامراتي بادري واشوي لنا دجاجه وقدميها الينا نتغداها فلما حضر
الغداء جلسنا جميعا انا وامراتي وابناي وابنتاي والاعرابي قال فدفعنا اليه
الدجاجه فقلنا اقسمها بيننا نريد ان نضحك منه فقال لا احسن القسمه فان رضيتم
بقسمتي قسمتها بينكم قلنا فانا نرضى فاخذ راس الدجاجه فقطعه وناولنيه وقال
الراس للرييس وقطع الجناحين وقال الجناحان للابنين ثم قطع الساقين فقال الساقان
للابنتين ثم قطع الزمكي فقال العجز للعجوز وقال الزور للزاير واخذ الدجاجه باسرها
وسخر بنا قال فلما كان من الغد قلت لامراتي اشوي لنا خمس دجاجات فلما حضر الغداء
قلنا له اقسم بيننا قال اني اظن انكم وجدتم في انفسكم قلنا لا لم نجد فاقسم قال اقسم
شفعا او وترا قلنا اقسم وترا قال انت وامراتك ودجاجه ثلاثه ثم رمى الينا بدجاجه
ثم قال وابناك و دجاجه ثلثه ورمى اليهما بدجاجه ثم قال وابنتاك ودجاجه ثلثه
ثم رمى اليهما بدجاجه ثم قال انا ودجاجتين ثلثه فاخذ دجاجتين وسخر بنا قال

فرآنا ونحن ننظر الى دجاجته فقال ما تنظرون لعلكم كرهتم تسمية الوتر لا نحن الا
هكذا ومثلكم في قسمة الشفع قلنا نعم فضم الديك اليه ثم قال انت وابناك ودجاجة
اربعة ورمى الينا بدجاجة ثم قال والعجوز وابنتاها ودجاجة اربعة ورمى اليهن
بدجاجة ثم قال وانا وثلث دجاجات اربعا وضم اليه الثلث ورفع يديه الى السما وقال
اللهم لك الحمد انت فهمتنيها قال صاحب الكلب من اعظم مفاخر الديك والدجاج على
سائر الحيوان ان الفروج يخرج من البيضة كاسيا كاسبا يكفى نفسه ثم يجمع كيس الحلقة وكيس
المعرفة وذلك كله مع خروجه من البيضة فقد زعم صاحب المنطق ان ولد العنكبوت ياخذ
في النسج ساعة يولد وعمل العنكبوت عمل شاق عسير عجيب ولطيف دقيق لا يبلغه الفروج
ولا ابو الفروج على ان ما مدحوا الفروج به من خروجه من البيضة كاسيا قد شركه في حاله
غير جنسه وكذلك اولاد ذوات الاربع كلها تولد كواسي كواسب كولد الـ[illegible] ، وفراخ
القبج والدراج وفراخ البط الصيني في ذلك كله لاحقة بالفراريج وتزيد على ذلك انها
تزداد حسنا كلما كبرت قال فقد سقط هذا الفخر ومن الشعر الذي قيل في الديك ما يكتب
للهزل ليس للجد والفائدة قول ابى الشمقمق • هنيئا ام حفص • ثم قال من بيتك •
فبحت وجار جيبا • مثل صحراء العتيك • فيه وز وفيه بط • فيه دراج وديك •
قال وما فيه ذكر الدجاج وليس من شكل ما بنينا عليه كلامنا ولكنه يكتب لما فيه من العجب
قال قال العامري صاحب الاهواز ما رايت قوما اعجب من الوهب اتيت الاحنف بن قيس فكلمته
في حاجة لي الى ابن زياد وكنت قد طلبت في خراج فكلمه فاحسن الى وحط عنى فاهديت اليه
هدايا كثيرة فغضب وقال انا لا ناخذ على معونتنا اجرا فلما كنت في بعض الطريق سقطت من زادي
دجاجة فلحقني رجل منهم فقال هذه سقطت من زادك فامرت له بدرهم ثم لحقني بالاخرى
فقال انا صاحب الدجاجة فامرت له بدرهم ثم لحقني بالاهواز فقال انا صاحب الدجاجة فقلت له
ان رايت زادي بعد هذا كله قد سقط فلا تعلمني ويحك قال صاحب الكلب كان يقال
لابي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولابنه كنانة بن الربيع جرو البطحاء وقال صاحب الديك لصاحب الكلب

وسنضرب

وسنضرب لك المثل الذي ضربه المورياني للديك والبازي وذلك ان خلاد بن يزيد
الارقط قال بينا ابو ايوب المورياني جالس في امره ونهيه اذ اتاه رسول ابي جعفر
فامتقع لونه وطار عصافير راسه واذن بيوم باسه وذعر ذعرا نقض حبوته واستطار
فواده ثم عاد طلق الوجه فتعجبنا من حاليه وقلنا له انك للطيف الخاصة قريب المنزلة
فلم ذهب بك الذعر واستفزك الوجل قال ساضرب لكم مثلا من امثال الناس زعموا
ان البازي قال للديك ما في الارض شيء اقل وفاء منك قال وكيف قال اخذك اهلك بيضة
فحضنوك ثم خرجت على ايديهم فاطعموك على اكفهم ونشأت بينهم حتى اذا كبرت صرت
لا يدنو منك احد منهم الا طرت ههنا وههنا وضججت وصحت واخذت انا مسنا من الجبال
فعلموني والفوني ثم يخلى عني فآخذ صيدي في الهواء فاجيء به الى صاحبي فقال له
الديك انك لو رايت من البزاة من سفافيدهم مثل ما رايت من الديوك كنت انفر مني ولكنكم
انتم لو علمتم ما اعلم لم تتعجبوا من خوفي مع ما ترون من تمكن حالي قال صاحب الكلب
ذكر محمد بن سلام عن سعيد بن صخر قال ارسل مسلم بن عمرو ابن عم له الى الشام ومصر
ليشتري له خيلا فقال لا علم لي بالخيل وكان صاحب قنص قال الست صاحب
كلاب قال بلى قال فانظر كل شيء تستحسنه في الكلب فاستعمله في الفرس فقدم بخيل
لم يكن في العرب مثلها قال محمد بن سلام استاذن رجل على امراة فقالت له ما حاجته قالت
الجارية لا يريد ان يذكر حاجته قالت لعلها حاجة الديك الى الدجاجة محمد بن سلام عن
سلام ابي المنذر قال صبي خالد بن عبد الله القسري بن يزيد وكانت ام انه تلطف اليه
في ثياب وهيئة حتى غرها السوانون فلبس يوما ثيابها وخرج عليهم فسمع شعره
السوابق النواح وسمى خالدا المخنث فقال • خرجت خروج العدج قدح ابن مقبل •
على الرغم من تلك النوائح والمخلى • على ثياب الغانيات وتحتها • صريمة عزم اشبهت
سله النصل • قال واخبرنا خثيم قال سمعت فلانا الثقال يسائل الحسن قال ان
الصبيان يأتوني ببيضتين مكسورتين وياخذون مني واحدة صحيحة قال ليس به باس
محمد بن سلام عن بعض اشياخه قال قال مصعب بن الزبير على منبر البصرة لبعض بني ابي بكرة

انما كانت اكم مثل الكلبة بنيهوا عليها الاعفر والاسود والابقع فتودى الى كل كلب شبهه
وبهذا من هذا الموضع هجاء واصحاب الكلاب يرون ان هذا باب من ابواب النجابة وان
ذلك من صحة طباع الارحام حين لا تختلط النطف فتجىء جوارح الاولاد مختلفة
مختلطة **قال صاحب الكلب** فى وصية عثمان الخياط لشطار اللصوص اياكم
وحب النساء وسماع ضرب العود وشرب الزبيب والمطبوخ وعليكم باتخاذ الغلمان
فان غلامك هذا انفع لك من اخيك واعون لك من ابن عمك وعليكم بنبيذ التمر
وضرب الطنبور وما كان عليه السلف واجعلوا النقل باقلا وان قدرتم على الفستق
والريحان شاهسفرم وان قدرتم على الياسمين ودعوا لبس العمايم وعليكم بالقناع
والقلنسوة كفرو لحف شرك واجعل لهوك الحمام ويارش بالكلاب واياك والكباس
واللعب بالصقور والشواهين واياكم والبزاة والفهود فلما انتهى الى ذكر الديك
قال والديك فلا تعقر فى اتخاذه فان له جراة ونجدة وروغانا وتدبيرا واعمالا
للسلاح وهو يشهد بهذا الشجاع ثم قال وعليك بالنرد ودع الشطرنج لاهلها ولا
تلعب بالنرد الا بالطويلتين والودع راس مال كبير واول منافعه الحذق باللقف
ثم حدثهم بحديث يزيد بن مسعود القيسى **وقال صاحب الديك** ذكر محمد بن سلام
عن يحيى بن النضر عن ابى امية عبد الكريم المعلم قال كان يحيى وابرهيم يكرهان صيد
الكلب الاسود البهيم وانشد صاحب الكلب قول احمد بن زياد بن كريم فى صفة
صيد الكلب قصيدة طويلة اولها **لما** وغبّ غمام من قرقه عن سمائه •
شابيه صفاء جوف السماء • مواحد طلق لم ترد جهامه • تذاوب ارواح الصبا والجنائب
بعثت واثواب الدجى قد تقلصت • لغرة مشهور من الصبح ثاقب • وقد لاح ناعى الليل حتى كانه
لسارى الدجى فى الحى قنديل راهب • بها الليل لا يثنيهم عن عزيمة • وان كان جم الرشد لوم القرايب
لتجنيب غضف كالقداح لطيفة • مشرطة اذانها بالمخالب • تخال سياطا من صلاها منوطة
طوالا لهوادى كالقداح شوازب • اذا افترشت خبتا اثارت بمتنه • عجاجا وبالكذان نار الحباحب
تفوت خطايا الطرف سبقا كانها • سهام مغال او رجوم الكواكب • طوال الهوادى لاحها كل شتوة
بطامسة الارجاء مرت للسارب • تكاد من الاحراج تنسل كلما • رات شبحا لولا اعتراض المناكب
تسوفي وتوفى كل نشز وفدفد • مراهيف ابناء السباق الارانب • كان بها ذعرا يطير قلوبها
اينق المكاكى او صرير الجنادب • تدير عيونا ركبت فى براطل • تجمم العفص خزرا ذرب الانايب
اذا ما استحثت لم يحط بدها • لبنت طراء او مجارى المذانب • وان باعها حلت متوى لظرف سكت
عليه بدون الجهد سبل المذاهب • تكاد تغرى الاهب عنها اذا انثنى • لنباه شحت الحلم عارى الزواجب
كان غصون الخيزران متونها • اذا هى جالت فى طراد الثعالب • كواشر عن انيابهن كوالح
مزملقة الاذان شوس الحواجب • كان نبات العرفجى تغوتت • عذبة عنها بالمنايا الشواعب
ثم وصف الفهود فقال • بذلك ابغى الصيد طورا وتاره • بمحطمة الاكفال رحب الترايب
مرققة الاذناب نمر ظهورها • مخططة الاماق غلب الغوارب • مدرنزرق كان عيونها
حواجل تستدمى متون الرواكب • اذا قلبتها فى الفجاج حسبتها • سنا ضرم فى ظلمة الليل ثاقب
مولعة فطح الجباه عوابس • تخال على اشداقها خط كاتب • نواصب اذان لطاف كانها
مداهن للاجراس من كل جانب • ذوات اشاق ركبت فى اكفها • نوافذ فى صم الصخور نواشب
ذرات بلا زهيف فيهن كانها • تعقرب اصداغ الملاح الكواعب • فوارس ما لم تلق حربا ورجلة
اذا انست بالبيد شهب الكتايب • ترود بتسكين نكون دريه • لهن بذى الاسراب فى كل لاعب
تفادى حتى ما تكاد تبينها • عيون لدى الطرات غير كواذب • حواسى تقوت البرق امكت جرحها
طراء مبلاة بطول التجارب • تو سد اجياد الفرايس ادرعا • مرملة يحكى عناق الحبايب
قال دعبل اكلنا عند سهل بن هارون فلم نبرح حتى كدنا نموت من الجوع
فلما اضطر رناه نادى يا غلام غدنا قال فاتينا بقصعة فيها مرق وفيه لحم ديك
ليس قبلها ولا بعدها غيرها وكان ديكا عضلا لا يجرفيه السكين ولا تؤثر فيه
الاضراس فاطلع فى القصعة وقلب بصره فيها ثم اخذ قطعة خبز يابس فقلب جميع
ما فى الصحفة حتى فقد الراس من الديك وحده ثم رفع راسه الى الغلام فقال
اين الراس قال رميت به قال ولم رميت به قال لم اظنك تاكله قال ولاى شىء
ظننت انى لا اكله فوالله انى لامقت من يرمى برجليه ثم قال له لو لم اكره ما صنعت

الا للبطرة هذا الفار لكرهته الراس ريش وفيه لراس ومنه يصدح الديك ولولا
صوته ما اريد وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي بها يضرب المثل يقال شراب
كعين الديك ودماغه يحسن لوجع الكلية ولم ار عظما قط اهش من الاسنان
من عظم راسه فهلا اذ ظننت اني لا اكله ظننت ان العيال يأكلونه وان كان بلغ
من نبلك انك لا تأكله فان عندنا من يأكله او ما علمت انه خير من طرف
الجناح ومن الساق ومن العنق انظر اين هو قال لا والله لا ادري اين رميت
به قال لكني ادري رميت به في بطنك والله حسيبك

تم وكان الفراغ من نسخه في اليوم الخامس عشر من شهر صفر
الخير من شهور سنة ست وسبعين والف من الهجرة
النبوية والحمد لله اولا وآخرا وذلك على
يد افقر العباد حسين بن مصطفى [illegible]
الحسيني العقيلي الحلبي [illegible]
[illegible] وغفر له
ولوالديه والحمد لله
والصلاة
على رسوله